مجلة
تحـالف الحضـارات

دورية عملية متخصصة ومحكمة سنوية تصدر عن اللجنة القطرية لتحالف الحضارات
العدد الثاني - يناير 2023

تعزيز تحالف الحضارات في عالم متغيِّر: دولة قطر والهند أنموذجاً — أ. د. مفيد الزيدي

أدوار المجتمع المدني في تعزيز الحوار الحضاري: دراسة في الأسس والنماذج والممارسة — أ. د. عزالدين معميش

قِيَم التفاعل الحضاريّ في ظلّ اتجاهات جديدة للنظام العالميّ — د. منجد الخشالي

تحالف الأمم المتحدة للحضارات وبناء السلام — د. حنان ملاعب

دور ظاهرة الهجرة الدوليَّة في بناء الحضارة الأمريكيَّة — أ. م. د. خضير عباس أحمد النداوي

التَّعَارُفُ الْحَضَارِيُّ فِي التُّراثِ الإِسْلَامِيِّ بَيْنَ التَّنْظِيرِ والْمُمَارَسَةِ — د. عبدالكريم القلالي

اللجنة القطرية لتحالف الحضارات
Qatar Committee for Alliance of Civilizations

مجلة
تحالف الحضارات

مَجَلَّةُ تَحَالُفِ الحَضَارَاتِ

دَوْرِيَّةٌ عِلْمِيَّة مُتَخَصِّصَةٌ وَمُحَكَّمَةٌ سَنَوِيَّةٌ تَصْدُرُ عَنِ اللَّجْنَةِ القَطَرِيَّةِ لِتَحَالُفِ الحَضَارَاتِ

رئيس التحرير	د. أحمد بن حسن الحمادي	الأمين العام لوزارة الخارجية - دولة قطر نائب رئيس اللجنة القطرية لتحالف الحضارات
هيئة التحرير	أ. د. إبراهيم بن صالح النعيمي	رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان
	أ. د. عائشة يوسف المناعي	مديرة مركز محمد بن حمد آل ثاني لإسهامات المسلمين في الحضارة بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة حمد بن خليفة
	أ. د. دين محمد	أستاذ بجامعة حمد بن خليفة
	أ. د. نوزاد عبد الرحمن الهيتي	استشاري بوزارة الخارجية - دولة قطر
	أ. د. عز الدين معميش	أستاذ كرسي تحالف الحضارات بجامعة قطر
سكرتير التحرير	السفير/ عبد الله أحمد السادة	أمين سر اللجنة القطرية لتحالف الحضارات
الهيئة الاستشارية	السفير/ ناصر عبد العزيز النصر	الممثل السامي السابق للأمم المتحدة لتحالف الحضارات
	الأستاذة/ سعاد السائحي	مدير إدارة الثقافة وحوار الحضارات بجامعة الدول العربية
	الدكتور/ كارل أرنست	أستاذ بجامعة نورث كارولينا - الولايات المتحدة
	أ. د. إبراهيم محمد زين	أستاذ بجامعة حمد بن خليفة - دولة قطر
	السفير/ رومان بليكوا	سفير الوساطة وحوار الثقافات - إسبانيا
التصميم والإخراج الفني	هيثم الطيب محمد	خبير تصميم جرافيك بوزارة الخارجية - دولة قطر

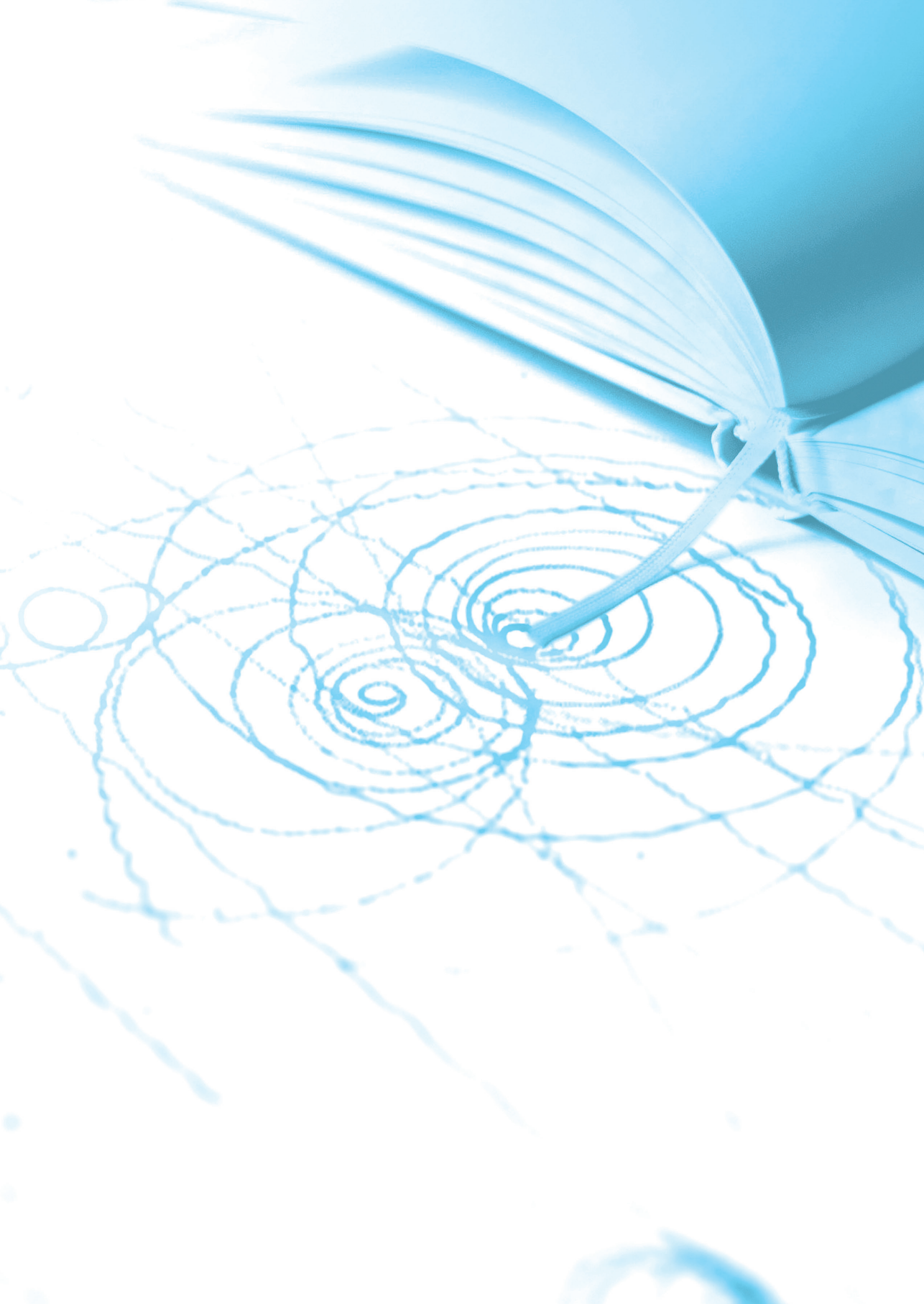

المحتويات

نبذة تعريفية عن المجلة (الرسالة، الأهداف)	6
أبواب المجلة	7
قواعد النشر	8
كلمة التحرير	10
الدراسات والأبحاث	
تعزيز تحالف الحضارات في عالم متغيِّر: دولة قطر والهند أنموذجاً أ. د. مفيد الزيدي	12
أدوار المجتمع المدني في تعزيز الحوار الحضاري: دراسة في الأسس والنماذج والممارسة أ. د. عزالدين معميش	42
قِيَم التفاعل الحضاريّ في ظلّ اتجاهات جديدة للنظام العالميّ د. منجد الخشالي	80
تحالف الأمم المتحدة للحضارات وبناء السلام د. حنان ملاعب	108
دور ظاهرة الهجرة الدوليَّة في بناء الحضارة الأمريكيَّة أ. م. د. خضير عباس أحمد النداوي	144
التَّعَارُفُ الْحَضَارِيُّ فِي التُّراثِ الإِسْلَامِيِّ بَيْنَ التَّنْظِيرِ والْمُمَارَسَةِ د. عبدالكريم القلالي	180
تقارير	
تقرير عن: مؤتمر الدوحة الرابع عشر لحوار الأديان "الأديان وخطاب الكراهية بين الممارسة والنصوص"	210
عرض رسائل جامعية	
التعايش السلمي بين الحضارات والأديان: جهود اللجنة القطرية لتحالف الحضارات أنموذجاً الباحثة: العنود فهد النعيمي	216
قراءة في كتاب	
إعادة النظر في النظام الدولي الجديد المؤلف: يروغ سورنسن، المترجم: أسامة الغزولي، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سنة النشر: 2020	219

تحالف الحضارات.. دورية علمية متخصصة محكمة

الرسالة:

مجلة رائدة في مجال البحث العلمي في تحالف وحوار الحضارات ومتميزة في خدمة المجتمع الإنساني بما يعزز من ثقافة التعايش السلمي المرتكز على القواسم المشتركة بين الحضارات والثقافات، وتكون نافذة بحثية حقيقية تسهم في تنمية التفكير الإيجابي التواصلي وصقل شخصية الإنسان المنفتح، وتعزيز المواطنة العالمية، والتأكيد على قيم التسامح والسلام والتضامن بين الشعوب.

الأهداف:

تسعى المجلة لتحقيق الآتي:

- المساهمة في طرح رؤى ومعالجات لمختلف قضايا الحوار الحضاري والتنوع الثقافي للمجتمع الإنساني وذلك من خلال تركيز اهتمام المجلة في المجالات ذات الصلة.
- نشر الوعي المتحرر من مفردات الاختزال والأحكام النمطية وتدعو إلى الانفتاح والحوار والتلاقي ومد جسور التعارف بين الحضارات والثقافات.
- نشر البحوث والدراسات الجادة التي تستهدف تحليل وبحث القضايا ذات العلاقة بمضامين وتطبيقات تحالف الحضارات، والتعريف بالتجارب الرائدة في هذا المجال.
- توفير منبراً للتواصل مع المهتمين وإقامة حوارات بناءة من شأنها توثيق الروابط الفكرية ونشر الثقافة العلمية بين الباحثين العرب والأجانب والتواصل العلمي الهادف بينهم.
- نشر مراجعات الكتب والاصدارات العلمية المتخصصة بحوار الحضارات والتعددية الثقافية الصادر عن مراكز الأبحاث والدراسات ودور النشر المعروفة.
- نشر متابعات المؤتمرات العلمية الدولية ذات العلاقة بموضوعات تحالف الحضارات والحوار الحضاري والتعددية الثقافية بغية التعريف بها للباحثين والدوائر المعنية بهذا الشأن.

أبواب المجلة

الدراسات والأبحاث:

ترحب بالنتاج العلمي للباحثين والخبراء من دراسات وبحوث باللغتين العربية والإنجليزية، وفق الشروط التالية:

- أن تتسم بالإصالة والموضوعية، وأن تعالج موضوعاتها بشكل معمق ومفصل نسبياً، وألا يكون قد سبق نشرها ورقياً أو إلكترونياً.
- تتناول البحوث والدراسات القضايا والمسائل ذات الأبعاد المهمة للجهود المبذولة على الصعيدين العالمي والعربي في مجالات تحالف الحضارات الأربعة (التعليم، الشباب، الهجرة، الإعلام) لاسيما الموضوعات التي تكون نتائجها ذات مضامين لتعزيز الحوار الحضاري والتنوع الثقافي.
- الحرص على تطبيق منهجيات تتصف بالموضوعية والدقة في العرض، والدعم بالبيانات والمعلومات الدقيقة والبراهين والمصادر والمراجع الكافية.
- الالتزام بالدقة والسلامة من الناحية اللغوية، وأن تتراوح عدد الكلمات ما بين (6000 - 8000) كلمة، بضمنها الهوامش والمصادر، وأن يكون مطبوعاً.

تقارير:

تنشر المجلة أيضاً التقارير عن الندوات والمؤتمرات العلمية والورش التي تنظمها اللجنة القطرية لتحالف الحضارات أو مؤسسات وطنية أو عربية أو دولية، وتفرد لكل من هذه التقارير مساحة لا تزيد عن 1500 كلمة، يتم خلالها بيان أهداف، ومحاور، هذه الندوة أو المؤتمر، وملخصات وجيزة لأهم الأوراق العلمية المقدمة خلاله، وأهم التوصيات، مع ضرورة ذكر عنوان المؤتمر ومكانه وتاريخه.

عرض رسائل جامعية:

يتناول هذا القسم تقديم عرضاً مختصراً لأحدى رسائل الماجستير المتميزة التي تم مناقشتها ضمن برنامج الماجستير في حوار الحضارات والأديان على أن يتم التنسيق في اختيارها مع أستاذ كرسي حوار الحضارات بجامعة قطر، وأن يكون تاريخ مناقشة الرسالة في السنتين الأخيرتين. وأن يتناول العرض أبرز محتويات الرسالة والنتائج التي توصل إليها الباحث، شريطة ألا يتجاوز العرض (1500) كلمة.

قراءة في كتاب:

تفسح المجلة المجال لنشر مراجعات للكتب الصادرة حديثاً، وبخاصة الكتب العالمية المهمة، وينبغي أن تأتي المراجعة أو العرض للكتاب بصورة مختصرة وملمة لما يتضمنه من أفكار رئيسية، على ألا يتخطى عرض الكتاب (1000) كلمة، وأن يرفق مع المادة صورة غلاف الكتاب، علاوة على البيانات الأساسية للكتاب وفق الآتي:

- عنوان الكتاب.
- تاريخ النشر واسم جهة النشر.
- عدد الصفحات.
- الرقم الدولي المعياري للكتاب "ردمك".

قواعد النشر في مجلة تحالف الحضارات:

- تقبل المجلة البحوث والدراسات من مختلف المدارس الفكرية، ويكون معيار النشر هو الموضوعية والتقيد بالمنهج العلمي الدقيق في إعداد وكتابة البحوث، على أن يتراوح عدد الصفحات بين (6000 - 8000) كلمة.
- تنشر المجلة مراجعات وعروض للكتب التي لم يمض على صدورها أكثر من عامين، كما تنشر ملخصات الرسائل الجامعية بشرط ألا يكون قد مضى عليها أكثر من ثلاثة سنوات. على أن تكون بحدود (1500) كلمة.
- تنشر المجلة تقارير عن المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية التي تعقد داخل دولة قطر وخارجها حول موضوعات تخص مجالات تحالف الحضارات، وألا يزيد حجم التقرير عن (1500) كلمة.
- تقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، وفي حالة البحث المكتوب باللغة الإنجليزية، يتعين أن يرفق ملخص له باللغة العربية، بشرط لا تزيد عدد كلماته عن (600) كلمة.
- يقدم الباحث إقراراً خطياً بألا يكون البحث منشوراً أو قبل للنشر في جهة أخرى.
- يشار إلى الملحوظات (الهوامش)، ومصادر الاقتباس، والمراجع بأرقام تسلسلية تكتب في أعلى الحرف الأخير من الفقرة أو الجملة أو الكلمة التي تخصها (Superscript) في نهاية الورقة حسب تسلسل الترقيم، وتعطى التفاصيل الخاصة بالمصادر والمراجع وفق أسلوب جامعة شيكاغو، كما في الأمثلة التالية:

– الكتب: صلاح هاشم، العدالة والمجتمع المدني، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 2006)، ص 140.

– المجلات: نهى الجبالي، الآثار الاقتصادية لبروتوكول كيوتو، مجلة السياسة الدولية، العدد 145 (الأهرام: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، يوليو 2011)، ص 200.

– التقارير: المنتدى العربي للبيئة والتنمية، الاقتصاد الأخضر في عالم متغير (بيروت: 2020)، ص 21.

- تلتزم المجلة بتقويم أي مساهمة تصل إليها من قبل محكمين من ذوي المكانة العلمية في مجال التخصص، ويتم إخطار الباحث بنتيجة التحكيم خلال شهرين من استلامها. والمساهمات التي تعتذر المجلة عن نشرها لا ترد إلى الباحث.
- في حال قبول البحث للنشر، يلتزم الباحث بتعديله ليتناسب مع مقترحات المحكمين، وأسلوب النشر في المجلة.
- تمنح المجلة مكافأة مالية للبحوث والمواد المنشورة تقدرها هيئة التحرير.
- ترسل إلى الباحث نسختين من عدد المجلة المنشور بها بحثه.
- ترسل الأبحاث إلى رئيس التحرير عن طريق البريد الإلكتروني على العنوان التالي:

aalsada@mofa.gov.qa
nalhiti@mofa.gov.qa

للاتصال:

أ. عبدالله أحمد السادة: 40111883
أ. د. نوزاد عبدالرحمن الهيتي: 40111880

كلمة التحرير

يسرنا أن نقدم للقارئ الكريم العدد الثاني من مجلة تحالف الحضارات التي كان من أبرز أهدافها نشر البحوث والدراسات الجادة التي تستهدف تحليل وبحث القضايا والمسائل ذات الصلة بمضامين وتطبيقات تحالف الحضارات، والتعريف بالتجارب الرائدة في هذا المجال، وتوفير منبراً للتواصل مع المهتمين بموضوعات حوار الحضارات ونشر الثقافة العلمية بين الباحثين من مختلف دول العالم.

في هذا العدد حاولنا أن ننشر أكبر عدد ممكن من الأبحاث المقدمة للمجلة باللغتين العربية والإنجليزية من الباحثين من داخل قطر وخارجها، حيث جاء البحث الأول بعنوان "تعزيز تحالف الحضارات في عالم متغير: دولة قطر والهند أنموذجاً"، والبحث الثاني بعنوان "أدوار المجتمع المدني في تعزيز الحوار الحضاري: دراسة في الأسس والنماذج والممارسة". والبحث الثالث "قيم التفاعل الحضاري في ظلِّ اتجاهات جديدة للنظام العالمي". أما البحث الرابع فتناول موضوع "تحالف الحضارات وبناء السلام"، بينما استعرض البحث الخامس "دور ظاهرة الهجرة الدولية في بناء الحضارة الأمريكية"، واختتم القسم العربي من المجلة ببحث "التَّعارف الحضاري في التراث الإسلامي بين التنظير والممارسة".

وفي القسم الإنجليزي من المجلة تم نشر بحثين، تناول البحث الأول "دور الهجرة في الحوار بين الحضارات ونبذ الكراهية والتطرف"، والثاني بعنوان "تحالف الحضارات وحماية حقوق الإنسان".

كما شمل هذا العدد تقريراً عن مؤتمر الدوحة الرابع عشر لحوار الأديان "الأديان وخطاب الكراهية بين الممارسة والنصوص" نظمه مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان يومي 24-25 مايو 2022.

وضمن الأبواب الثابتة في المجلة التي تتناول قراءة في كتاب، تناولنا كتاب "إعادة النظر في النظام الدولي" لأستاذ العلاقات الدولية البارز يروغ سورنسن، وفي باب عرض رسالة جامعية تم تقديم ملخصاً لرسالة الماجستير الموسومة "التعايش السلمي بين الحضارات والأديان: جهود اللجنة القطرية لتحالف الحضارات أنموذجاً" المقدمة من الباحثة العنود فهد النعيمي الطالبة في كلية الدراسات الإسلامية بجامعة حمد بن خليفة.

ونأمل أن يكون هذا العدد بما تضمنه من الموضوعات التي تم نشرها، قد شكّل إضافة لرصيد العلم والمعرفة آملين من الباحثين الكرام رفد المجلة بما تجود به أقلامهم مساهمة منهم في إثراء الجانب الفكري والتطبيقي المتعلق بمسائل حوار وتحالف الحضارات والمشاركة الفاعلة فيه.

ومن الله تعالى التوفيق والسداد

رئيس التحرير
الدكتور أحمد بن حسن الحمادي
الأمين العام لوزارة الخارجية
نائب رئيس اللجنة القطرية لتحالف الحضارات

تعزيز تحالف الحضارات في عالم متغيِّر: دولة قطر والهند أنموذجاً

أ. د. مفيد الزيدي
أستاذ التاريخ المعاصر - جامعة بغداد

الملخَّص:

تَكْتَسِبُ الدِّراساتُ الآسيويَّة أهميةً متزايدةً في عمليَّةِ استقراءِ المجتمعاتِ الإنسانيَّةِ في التَّاريخِ المُعاصرِ، معَ الحاجةِ إلى قراءةِ العَلاقَاتِ العربيَّة – الآسيويَّة الَّتي تضربُ بجذورِها في أعماقِ التَّاريخِ، إلى جانبِ الرَّوابطِ الحضاريَّة والثقافيَّة الَّتي تجمعُ بينَ الشُّعوبِ العربيَّة والآسيويَّة.وتُعتَبرُ دولةُ قطرَ واحدةًمن أبرزِ دولِ الخليجِ الَّتي انفتحتْ على الثَّقافاتِ الآسيويَّة، بحُكْمِ التقاربِ الجغرافيِّ، والعَلاقاتِ التاريخيَّة والتجاريَّة والثقافيَّة، الَّتي ارتبطتْ بها مع الدُّولِ الآسيويَّة، وأكّدت دولةُ قطرَ على التَّواصلِ الحضاريّ مع الآسيويينَ، ومنها الهندُ من خلالِ اتفاقياتٍ وتعاونٍ ثقافيّ في مجالاتِ الفنونِ والآدابِ والآثارِ، والتُّراثِ الشعبيّ والموروثِ الثقافيّ، ويُمثِّلُ التَّاريخُ والتُّراثُ الثقافيّ في قطرَ جزْءاً من مجتمعٍ يسيرُ نحوَ التَّغييرِ دُونَ أنْ يتركَ هُويَّتَهُ وإرثَهُ الشعبيّ والحضاريّ، والمتأملُ للطبيعةِ السُّكَّانيَّةِ المتنوِّعةِ للمجتمعِ القطريّ يجدُ تأثيرَها الواضحَ على الثَّقافةِ، إذ تعيشُ جالياتٌ آسيويةٌ في مقدِّمتها الجاليةُ الهنديَّة.

يهدفُ هذا البحثُ إلى دراسةِ تعزيزِ تحالفِ الحضاراتِ بينَ دولةِ قطرَ والهندِ، والتَّعمُّقِ بالدِّراسةِ لدولةٍ كبيرةٍ مثل الهندِ، لها مكانتُها في قلب آسيا ودُولِ الخليجِ على مرِّ التَّاريخِ، تلكَ الدَّولةُ الَّتي تؤمنُ بالديمقراطيَّةِ والعلمانيَّةِ وبتطبيقِها في كافَّةِ مجالاتِ الحياةِ، إلى جانبِ الاحتفاظِ بقِيَمِها الثقافيَّة والحضاريَّة والموازنة بين التُّراثِ والحداثةِ، وهذا ما جعلَها واحدةً من بين أكثر الدُّولِ الآسيويَّة نجاحاً في المُزاوجةِ بينَ الحضارةِ والحداثةِ.

Strengthening the Alliance of Civilizations in a Changing World: Qatar and India as a model

Prof. Mufeed Al-Zaidi
Professor of Contemporary History - University of Baghdad - Iraq

Abstract:

Asian studies are of increasing importance in the process of extrapolating human societies in contemporary history, with the need to read the Arab-Asian relations that extend back centuries, as well as the civilizational and cultural ties that bring together the Arab and Asian peoples.

The State of Qatar is one of the most prominent Gulf countries that has opened up to Asian cultures, due to the geographical proximity, and the historical, commercial and cultural relations with which it has been associated with Asian countries. The State of Qatar has emphasized cultural communication with Asians, including India, through agreements and cultural cooperation in the fields of arts and literature. Antiquities, folklore and cultural heritage. Qatar's history and cultural heritage are part of a society that is moving towards change without leaving its identity and popular and civilized heritage. The diverse demographic nature of Qatari society has a clear impact on culture, as Asian communities live in the forefront of which is the Indian community.

The research aims to study the strengthening of the alliance of civilizations between the State of Qatar and India, and to study in depth a large country which is India, which has its place in the heart of Asia and the Gulf states throughout history, a country that believes in democracy and secularism and its application in all areas of life, in addition to preserving its cultural and civilizational values and balancing between Heritage and modernity, as it has become one of the most Asian countries in this marriage between civilization and modernity.

المقدِّمة:

تعتبر قارة آسيا من أكبر القارات في العالم من ناحية المساحة الجغرافية، وهي تضم العديد من الدول والشعوب والأمم، وفيها جغرافيات متنوعة وعدد سكان كبير بل ربما هائل لاسيما الأربع الكبار (الصين والهند وإندونيسيا وماليزيا)، وهم بذلك يمثلون حوالي ثلثي سكان العالم، وفي القارة أعراق وأقليات متنوعة، وأديان وحضارات وعادات وتقاليد، ولغات ولهجات وطنيَّة وأخرى محليَّة، وهم يعملون في حِرَفٍ وصناعات متنوعة، وكانت هناك صلات تاريخيَّة بين العرب والآسيويين بحكم التجارة والجوار الجغرافي، وانتقلت الثقافة قبل ظهور الإسلام ثم بعد انتشاره إلى مناطق واسعة من القارة الآسيويَّة، في نهر السند والهند والبنغال والصين وغيرها في الفتوحات الإسلاميَّة، أو عن طريق التجّار العرب والدعاة، وأسهم ذلك في إقامة صلات ثقافيّة وتجاريَّة بين العرب والآسيويين، ونشأت علاقات اجتماعيَّة بينهم.

وتمثل الدراسات الآسيويَّة أهميةً متزايدةً في عملية استقراء المجتمعات الإنسانية في التاريخ المعاصر، مع الحاجة إلى قراءة العلاقات العربيَّة - الآسيويَّة الَّتي تضربُ بجذورِها في أعماقِ التَّاريخِ، إلى جانب الروابط الحضاريَّة والثقافيَّة التي تجمع بين الشعوب العربيَّة والآسيويَّة. وتهتم هذه الدراسة في موضوع تحالف الحضارات بين دولة القطر والهند، فالهند بلد يوصف بأنه بلد العجائب والأساطير وأنه حجر الأساس للقارة الآسيويَّة، وله علاقات تاريخيَّة عريقة مع العرب منذ العصور الإسلاميَّة الأولى، إذ أعطى العرب والمسلمون ما عندهم من علوم وآداب وثقافات ولغات إلى الهند، بحيث اتخذ الهنود من اللغة العربيَّة والخط العربيّ رسماً لهم، ويؤكد ذلك أحد أبرز العلماء الهنود، ومن المتخصصين بالدراسات الإسلاميَّة، وهو مقبول أحمد بقوله: "إنَّه من المحتمل لا الصين ولا الإغريق، ولا الرُّومان أعطوا الهند علماً ومعرفةً بذلك القدر الذي أعطاهم به العرب".

وتعتبر دولة قطر واحدةً من أبرز دول الخليج التي انفتحت على الثقافات الآسيويَّة، بحكم التقارب الجغرافي، والعلاقات التاريخيَّة والتجاريَّة والثقافيَّة، التي ارتبطت بها مع الدول الآسيويَّة، وأكّدت دولة قطر على التواصل الحضاريّ مع الآسيويين، ومنها الهند من خلال اتفاقيات وتعاون ثقافيّ في مجالات الفنون والآداب والآثار، والتراث الشعبيّ والموروث الثقافيّ، لاسيَّما أنَّ دولة قطر تتمتع بتراث شعبيّ عريق، وثقافة وطنيَّة وتاريخيَّة من خلال ثقافة اللؤلؤ، فضلاً عن التجارة البحريَّة، والغوص وصيد الأسماك، والتقاليد البدويَّة والغناء الشعبيّ، وموسيقى البحر والرَّقص الشعبيّ مثل (رقصة العرضة) التي تعدّ من أبرز الثقافات الخليجيَّة والقطريَّة التقليديَّة، ويمثل التاريخ والتراث الثقافيّ في قطر جزءاً من مجتمع يسير نحو التغيير دون أنّ يترك هويته وإرثه الشعبيّ والحضاريّ، وإنّ الطبيعة السكانيَّة المتنوعة للمجتمع القطريّ لها تأثيرها الواضح على الثقافة؛ إذ تعيش جاليات آسيويَّة في مقدمتها الجالية الهنديَّة[1].

ويهدف هذا البحث إلى دراسة تعزيز تحالف الحضارات بين دولة قطر والهند، والتعمق بالدراسة لدولة كبيرة مثل الهند التي لها مكانتها في قلب آسيا ودول الخليج على مَرِّ التاريخ، تلك الدولة التي تؤمن بالديمقراطية والعلمانية وبتطبيقها في كافة مجالات الحياة، إلى جانب الاحتفاظ بِقِيَمِها الثقافيَّة والحضاريَّة والموازنة بين التراث والحداثة، وهذا ما جعلَها واحدةً من بين أكثر الدُّولِ الآسيويَّة نجاحاً فِي المُزاوجةِ بينَ الحضارةِ والحداثةِ.

أولاً: الهند/ حضارة أمة

تقع الهند في جنوب قارة آسيا، وهي سابع أكبر الدول مساحة في العالم، والثانية في السكان، وهي بلد متعدد الدِّيانات واللغات والأعراق، نسبة الهندوس فيها 80,5% والمسلمين 13,4% والمسيحين 2,3%، وكان للهند صلات مع أقدم

1. رولف كيليوس "الحداثة والتقليد: تأملات في الموسيقى التقليدية في قطر"، مكتبة قطر الوطنية، 17/10/2014، شوهد في، http//www.qdl.qa/

الحضارات في التاريخ، وصاحبة تأثير ثقافيّ في التاريخ والجغرافيا، وعلى أرضها نشأت إمبراطوريات في جنوب آسيا ووسطها، وهي إحدى دول العالم القديم، وبذلك ورث الهنود هذا الشعور بالتميُّز الحضاريّ والتاريخي[2]، والهند نموذج الدولة/ الأمة متعددة الثقافات والأعراق والدِّيانات والتعدُّد في الفنون والآداب، ولها قيم دينية وفلسفية ارتبطت بفكرة السلام مع الذَّات والعالم الخارجي، وبذلك قدّمت الهند نفسها للعالم كدولة تنصهر فيها التعدديَّة والتنوعات الثقافيَّة واللغات[3].

وأثّرت جغرافيا الهند في تاريخها وثقافتها، وعلاقاتها التاريخيَّة مع الدول العربيَّة لاسيَّما مع دول الخليج، وهي دولة معاصرة لها رؤية عالمية لا تنهي القطيعة مع التقاليد المتوارثة، وإنما تعتمد العصرية والحداثوية في استمرارية الكشوفات العلميّة والتكنولوجيَّة المتطورة، وتراجم الفلسفة والآداب والثقافات والمجتمعات، وهذه التقاليد الدينيَّة لها جذور قويَّة في البيئة الاجتماعيَّة الحديثة، وإن الثقافة الهنديَّة في غالبها ثقافة روحيَّة ومثاليَّة، فالوحدويَّة لها الأولويَّة على التعدديَّة، وعناصر الثقافة الأجنبيَّة لدى احتكاكها بالمعتقدات الدينيَّة الفرعيَّة حافظت على صفاتها واستجابت للأوضاع الثقافيَّة المحليَّة، فظهرت إلى الوجود فكرة "الوحدة في التعدديَّة"، وهذا يتمثل في الديانات الهنديَّة كالبوذيَّة والسيخيَّة وغيرها، والديانات التي نشأت في بيئات أخرى ودخلت الهند، كالإسلام والمسيحيَّة والزرادشتيَّة، وإن تعدد الأديان والمعتقدات انعكس على نمط الحياة الهنديَّة، وتُشكّل الهند وحدة اندماجية بين الهندوس والمسلمين والسيخ[4].

وحاولت العلمانيَّة في الهند تعزيز سلطة الدولة عبر إبرازها وإظهارها كحامية للطوائف الدينيَّة جميعها، وتعتبر الكلمة السنسكريتيَّة للعلمانيَّة

2. مالك عوني، الديناميات اللاقطبية لنشوء قوى كبرى هندية، مجلة دراسات دولية، تحولات الصعود الهندي"، العدد 217، (القاهرة، مؤسسة الاهرام، يوليو 2019)، ص 5.

3. أسامة فاروق مخيمر، التمدد الحضاريّ رهانات عصرنة القوة الناعمة لتعزيز الصعود الهندي، مجلة السياسة الدولية، تحولات الصعود الهندي"، العدد 217، (القاهرة، مؤسسة الاهرام، يوليو 2019)، ص 25.

4. نير بهائي سينغ "المجتمع الهندي المعاصر وتعددية الأديان"، مجلة ثقافة الهند، المجلد 68،3، (نيودلهي:1997)، ص 1-6.

(سامسارا)، شعاراً لقوة العقيدة الدينيَّة ورقابة الدولة وتمتعها بالحريَّة التي تبتعد عن التعصب الدينيّ، فلا يعترف الدستور بديانة معينة رسميَّة للدولة، فتبتعد العلمانيَّة بالدين عن السياسة وعن مهامِّ الدولة[5].

وتعتمد الهند على المجلس الهنديّ للعلاقات الثقافيَّة (ICCR)، وله دور مهم في المجالات الثقافيَّة والدبلوماسيَّة وإبراز الوجه الحضاريّ للبلاد، وكان الهدف من تأسيسه عام (1950)، إقامة وتعزيز العلاقات الثقافيَّة والتفاهم بين الهند والدول الأخرى، ويوجد حوالي (35) مركزاً ثقافيّاً في العالم تعمل ضمن البعثات الهنديَّة الدبلوماسيَّة، وتعتبر الجالية الهنديَّة خارج البلاد من أكبر الجاليات في العالم نظراً لكثافة السكان، والحاجة المالية للعمل في الخارج، ولاسيَّما في دول الخليج، وأصبحت الجاليات الهنديَّة في الخارج توصف بما يمكن لها أن توصف بأنها تعزِّز "القوة الناعمة" للهند[6].

وأخذت مكانة الهند تنمو باعتمادها على العلم والتعليم والتكنولوجيا، وحدثت قفزةً كبيرةً في زيادة فرص التعليم العامّ، ليس في التوسعة الكمية بل في نظام التعليم العالي، والعلوم الهندسيَّة، والاتصالات والتكنولوجيا، والأبحاث العلميّة والفيزياء والطاقة النوويَّة وتجارب الفضاء، إذ أصبحت ثالث أكبر القوى العلميّة والتكنولوجيَّة في العالم، وتعتبر الثالثة في أضخم قطاع تعليم عالٍ في العالم (بعد الصين، والولايات المتحدة الأمريكية)، وتمتاز بمؤسسات التفوق العلميّ في العلوم والتكنولوجيا، والطب والأعمال، والمعترف بها عالميّاً والأفضل على مستوى آسيا، ومن الدول النامية التي حققت طفراتٍ مهمَّةً في التعليم والتعليم العالي، ويلتحق بها أكثر من (20) دولة من العالم وخاصةً من الدول العربيَّة، كالعراق وليبيا وفلسطين وسوريا والأردن وغيرها[7].

5. نير بهائي سينغ "المجتمع الهندي المعاصر وتعددية الأديان"، المصدر السابق ص 6.

6. مفيد الزيدي، العلاقات العراقية - الهندية: الروابط المتجذرة والفرص المتاحة، الطبعة الأولى، (ألمانيا: دار نور للنشر والتوزيع، 2017)، ص 5.

7. مفيد الزيدي، المصدر نفسه، ص 5-6.

وتعتبر الهند أنموذجاً للدول الآسيويَّة الناهضة على طريق التقدم والوصول إلى مصافِّ الدول المتقدمة في العالم، لاسيَّما مع تأكيد المراقبين بأن القرن الحادي والعشرين سيكون قرناً آسيويّاً تؤدي فيه دولٌ مثل، الصين والهند وسنغافورة وماليزيا دوراً آسيويّاً ودوليّاً في المجالات الاقتصاديَّة والتجاريَّة والتعليميَّة والعلميّة والتكنولوجيَّة، مع إضفاء علاقات دوليَّة متعدِّدة ومتكافئة، وتتبع الهند اليوم صناعة تكنولوجيَّة رائدة في السباق العالميّ على الثورة التكنولوجيَّة والمعلوماتية، وحققّت في السنوات الأخيرة إنجازاتٍ مهمَّةً وأصبحت تجارتها المحرِّك الأساسيَّ للنمو الاقتصاديّ للهند، وأدَّى هذا إلى تدفُّق أموال الاستثمار، وإنشاء الشركات الجديدة وتوفير فرص العمل، وبالتالي تدير الهند سياساتٍ ناجحةً في مجال الكفاءات من خريجي الجامعات والمعاهد العليا، وتوظفهم في اختصاصات البرمجة والتكنولوجيا والمعلوماتيَّة.

ويرى صانع القرار الهنديّ أنَّ "التقاليد الثقافيَّة والقِيَم الروحيَّة والإرث المشترك"، تدعم السياسات الخارجيَّة للهند مع دول الخليج، فالعلاقات الثقافيَّة هي الأعمق والأطول بينهما، كما ترى الهند أنَّ الهُوِيَّة لها تأثيرٌ أكثرُ وضوحاً من تأثير القِيَم على سياستها الخارجيَّة، فالهُويَّةُ هي المحرِّك والهدف الأكبر بشكل أو بآخر من القِيَمِ، والتي تغذي الهُوِيَّة القوميَّة الهنديَّة اليوم[8].

ثانياً: الرَّوابط الحضاريَّة بين العرب والهند

تعود علاقات العرب بالهند إلى العصور التاريخيَّة القديمة، والحضارات التي نشأت على أرض العرب والهند، فكانت هناك روابط تجاريَّة وثقافيّة واجتماعيَّة مع الهند، إذ قام العرب باستيراد الأسماك عن طريق بحر الهند والخليج العربيّ، وجلبوا اللؤلؤ والذهب والعاج والخشب والعطور والأحجار الكريمة من الهند، وظلَّت هذه العلاقات التجاريَّة قائمةً حتى ظهور الإسلام، وربطت

8. كديرا بيثاغودا "التعامل مع دلهي: كيف ترسم الثقافة سياسة الهند تجاه الشرق الأوسط"، (الدوحة: مركز بروكنجز الدوحة، 2015)، ص 1-2.

التجارة العربيَّة والعالميَّة الهند وجزر الهند الشرقيَّة والصين بالعالم القديم، وكان التجّار العرب والمسلمون يتاجرون مع الشرق الأقصى عبر البحر، وكان للعرب مراكز تجاريَّة على سواحل كلكتا ومليبار ومدراس وسيلان، وانتشرت الجاليات العربيَّة هناك على الطريق البحريّ وسواحل الهند[9].

وكان للعرب والهند صلات حضارية وثقافيّة، فكما كان للعرب تأثيرهم في الثقافة الهنديَّة، كان للهند تأثيرها في الثقافة العربيَّة أيضاً، والتي بدأت مع عهد الخليفة العباسيّ أبو جعفر المنصور (54) هجريّ/(771) ميلادي، الذي استقبل في بلاطه علماء الهند للاستفادة من علومهم، وأشهرهم العالم مانكا ورسالته في الفلك وتسمى (السدهانت) وعرفها العرب (السند هند)، وشمل مجالات أخرى كالحساب والفلك والتصوف والطب والكيمياء والعقائد والفلسفة والآداب، والتقت الثقافات العالميَّة اليونانيَّة والهنديَّة والفارسيَّة، مع الثقافة العربيَّة في بلاط الخلفاء العباسيين، وترجمت كتب عِدَّة من اللغة الهنديَّة إلى اللغة العربيَّة مثل، (كليلة ودمنة) و(السندباد الكبير) و(أدب الهند والصين) و(هابل في الحكمة) في قصة هبوط آدم عليه السلام، والديك الهنديّ في الرجل والمرأة، وحدود منطقة الهند وغيرها، وأشار العلماء المسلمون إلى فضل الهند في الآداب والعلوم، ومنهم الجاحظ وابن قتيبة والمسعوديّ وتفاعلت الحضارتان معاً، وأثّرت الثقافة الهنديَّة في الشِّعر العربيّ، واهتم المؤرِّخُون العرب ببلاد الهند في رحلاتهم وكتاباتهم مثل، سليمان السيرافيّ السائح صاحب كتاب (سلسلة التاريخ)، والمسعوديّ والإصطخريّ وابن حوقل والمقدسيّ وغيرهم، فكان التبادل الثقافيّ والتلاقُح الحضاريّ بين العرب والهند في العلوم والآداب والفنون[10].

وساعدت الكتب الهنديَّة في حركة الأدب في العصر العباسيّ، ونالت عجائب الهند موضوعاتٍ مهمَّةً في الأدب العربيّ، مثل كتاب الجاحظ بعنوان (الحيوان)،

9. فيصل السامر، الأصول التاريخيّة للحضارة العربيّة الإسلاميّة في الشرق الأقصى، (بغداد: وزارة الإعلام، 1977)، ص 13-14.

10. مفيد الزيدي "تأثير الهند في الثقافة العربيّة وآدابها"، مجلة ثقافة الهند، المجلد 51، العدد 3، (نيودلهي، 2000)، ص 133-134.

الذي وصف أشهر الحيوانات في الهند والطيور مثل الطاووس والفيل والببغاء والدجاج والكركدن والديك الهنديّ، وأشار ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار) إلى الهند وما فيها من أشجار وورود، ثم المؤرِّخ المسعوديّ في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) والمعلومات التي ذكرها عن رحلاته، وكتب عن الفيل والشطرنج والزمرد في الهند، وضمّن الشعراء العرب تجاربهم عن الهند في أشعارهم، وكذلك الأمثال السائدة والحكم الهنديَّة، وبالتالي حدث تفاعل بين الثقافتين الهنديَّة والعربيَّة ومنهم الشاعر البارز أبو نُوَاسٍ. وفي النثر العربيّ تم التأثُّر بالأدب الهنديّ وأعجب الشعراء بنظرية التناسخ مثل، صفوان الأنصاريّ والمتنبي وأبي العتاهية وأبي العلاء المعري[11].

ونالت الهند الاهتمام في كتب المؤرخين والرحّالة العرب والمسلمين مثل، السائح سليمان السيرافيّ الذي ساح في الهند عام (237) هجريّ، وفي كتابه (سلسلة التواريخ) ونقل تقاليد وعادات الهنود وحكمهم، وبروك بن شهريار السائح إلى الهند عبر الصين، والذي سجّل مشاهداته عبر الهند وكجرات في عام (300) هجريّ، وأبو إسحاق الإصطخري في رحلاته في بلاد الهند عام (340) هجريّ في كتابه (الأقاليم والمسالك والممالك)، وأبو حوقل الذي رحل من بغداد إلى الأندلس وصقلية، ثم وصل إلى الهند ووصفها بشكل كامل في خارطته الشهيرة، في مساكنها ومناطقها مثل كشمير والتبت وغيرهما، وكان شمس الدين أبو عبدالله المقدسيّ من الرحّالة العرب في قرطبة، وهو جغرافيٌّ رحل إلى الهند ووصف السند والملتان في عام (537) هجريّ، وأيضاً أبو ريحان البيرونيّ عالم الفلك والرياضيات والرحّالة، وله فضلٌ كبيرٌ في التأثير على الفكر الهنديّ، ووصف الهند وصفاً دقيقاً أدبيّاً وعلميّاً في كتابه (تحقيق ما للهند)، والذي يعتبر مصدراً مهمّاً للدراسات عن الهند، وظل في الهند عشر سنوات، وتعلم فيها اللغة السنسكريتية، وترجم بعض الكتب الهنديَّة إلى اللغة العربيَّة. أما أحمد بن يعقوب المتوفَّى (293) هجريّ، وهو صاحب كتاب (تاريخ اليعقوبيّ)،

11. مفيد الزيدي "تأثير الهند في الثقافة العربية وآدابها"، ص 134-135.

والذي كتب في وصف الهند، وأيضاً ابن خرداذبة في كتابه (المسالك والممالك)، ووصف الطرق النهريَّة في الهند إلى جانب علماء وجغرافيِّين ومؤرِّخين آخرين أمثال، قدامة بن جعفر وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي وأبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني[12].

وكان للجامعات والمؤسَّسات العربيَّة والإسلاميَّة في الهند دورها المتميز في الحوار الحضاريّ العربيّ - الهنديّ، مثل الجامعة النظاميَّة التي تخرج منها الشيخ سيد إبراهيم الرضويّ، وأبو الوفاء الأفغانيّ، والدكتور محمد حميد الله وغيرهم، فضلاً عن دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد التي عرفها الباحثون العرب، وأصبحت الصحف والمجلات المتبادلة بين العرب والهند - والتي يكتب بها أيضاً الكتّاب والعلماء العرب في المجلات الهنديَّة - وسيلةً لتعزيز العلاقات والحوارات بين الأمَّتين، وكان من أبرزها (الرَّابطة الشرقيَّة)، و(صوت الشرق) في مصر، و(مجلة ثقافة الهند) في نيودلهي وغيرها من المجلات، وبهذا كان التحالف الحضاريّ بين العرب والهند قائماً في العصور الإسلاميَّة وما بعدها عبر الرحلات والسفر والكتابات والدروس، والترجمات وتناقل العلوم، وتبادل الآداب والحكمة والفلسفة[13].

ومن بين أبرز مظاهر تأثير العرب في ثقافة الهند وحضارتها تأثير اللغة العربيَّة التي حملها العرب إلى الهند، وانتشرت في لهجاتها وأدبها، وغَزَت الثقافةَ الهنديَّة وحضارتَها، ونشأت في الهند مدرسة حضارية فكرية علمية أنجبت العلماء والأدباء والمثقفين، ويقول مقبول أحمد: "أمَّا الثقافة العربيَّة فلا يزال الشعب الهنديّ متمسكاً بها ومحافظاً عليها ومنتجاً فيها. وتدل الآثار والقرائن على تكوّن مدرسة أدبيَّة خاصة بها، في الأدب العربيّ والكتابة الإسلاميَّة..."[14].

12. مفيد الزيدي، المصدر نفسه، ص 135.

13. الحافظ سيد بديع الدين الصابري "العلاقات الهندية - العربية من خلال الأدب العربي الحديث"، مجلة ثقافة الهند، المجلد 50، العدد 3، (نيودلهي 1999)، ص 14-24.

14. أن عبد الجبار "تاريخ التبادل الثقافيّ والحضاريّ بين الهند والعرب"، 2015/11/03، https://islamstory.com/ar/artical/23988/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A، شوهد في 2022/04/23.

وفي العصر الحديث، يعتبر الخليج العربيّ أحد أهم المناطق المائيَّة بين آسيا وأفريقيا وأوروبا، والممر الرئيسيّ بين بلاد الشرق وبلاد الغرب، وقناة الاتصال للعرب وأهل الخليج مع العالم الخارجي، وبالتالي برز الخليج طريقاً بحريّاً وتجاريّاً لنقل البضائع والسلع من بلاد الشرق الأقصى والهند عبر المحيط الهنديّ والبحر العربيّ إلى شمال الخليج، ومن أبرز تلك العمليَّات التجاريَّة بين أهل الخليج والهنود، كانت تجارة اللؤلؤ التي نقلها التجّار الخليجيون عبر السفن إلى بومباي في الهند لبيعه بأثمان عالية، وهناك الطواويش وهم صغار تجّار اللؤلؤ، الذين كانوا يشترونه من البحّارة الذين استخرجوه، ثم يعملون على بيعه إلى التجّار الكبار، والذين يبيعونه بدورهم الى التجّار في أسواق الهند وشرق أفريقيا وزنجبار، وأدت هذه التجارة إلى جلب عادات وتقاليد وثقافات وحضارات تلك الشعوب إلى أهل الخليج وخصوصاً الهند، وتأثروا بلغاتهم وأزيائهم ومأكولاتهم وحُلِيِّهم وزينتهم وغيرها، وحدث العكس أيضاً فقد انتقلت العادات واللغات والتقاليد الخليجيَّة إلى بلاد الهند وشعوبها[15].

وكان العامل التجاريّ مهمّاً في عملية التبادل الحضاريّ بين أهل الخليج والهنود، فقد عاش إنسان الخليج في ظل معاناة قاسية في حقبة ما قبل اكتشاف النفط نتيجة الظروف الصعبة الاقتصاديَّة، وقلة موارد العيش، واعتماده على البحر مورداً للرزق عن طريق الغوص على اللؤلؤ، أو صيد الأسماك، أو التجارة وصناعة السفن وشباك الصيد[16]، وكانت التجارة أساس العلاقات بين أهل الخليج وبلاد الهند منذ القرن السابع عشر الميلادي، ومنها دولة قطر في تجارة المرور كميناء مطل على الخليج، والحصول على الرسوم المفروضة على التجّار العرب والهنود القادمين عبر أراضيها، وكانت تمرُّ التجارة البحريَّة بالسلع والبضائع من مسقط من ساحل الهند الغربيّ، إلى قطر والبحرين والإحساء ثم

15. مفيد الزيدي، بدايات النهضة الثقافيَّة في منطقة الخليج العربي في النصف الأول من القرن العشرين، سلسلة دراسات إستراتيجية، العدد 15، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات الإستراتيجية، 1998)، ص 9-16.

16. بدر الدين عباس الخصوصي،"العامل الاقتصادي وأثره على إنسان الخليج العربي في العصر الحديث"، في: الموسم الثقافي (السابع والثامن: 1974-1975) الخليج في مواجهة التحديات: محاضرات الموسمين الثقافيين، (الكويت: جمعية الاجتماعيين، 1975)، ص 409-411.

إلى البصرة. أما الطريق البريّ فكان يمرُّ من مسقط إلى قطر والموانئ الأخرى، وكان اللؤلؤ أهم المصادر من السلع الشرقيَّة التي يحصل عليها التجّار من قطر، فضلاً عن الخيول الأصيلة[17].

وكان المجتمع القطريّ كبقيَّة مجتمعات الخليج بسيطاً، والنمط الأساسيّ للعمل فيه هو الغوص على اللؤلؤ وصناعته، ويقول الشيخ محمد بن ثاني يصف اللؤلؤ في عام (1862) بقوله: "إنَّنا جميعاً من أكبِرنا إلى أصغرِنا عبيدُ سيدٍ واحدٍ هو اللؤلؤُ"، وكان المورد الأول للناس ومصدر العمل والعمال ولقمة العيش، والمحرِّك التجاريّ والاقتصاديّ، ورمز الحياة الاجتماعيَّة والثقافيَّة التي انعكست في التقاليد والعادات كأحد مصادر الثقافة، ومعه كان البحر في حياة القطريّين مصدراً للغوص على اللؤلؤ، وعلى صيد الأسماك، والتواصل مع العالم الخارجيّ، كالهند وشرق أفريقيا والصين في تلك المرحلة، وينقل أحد الباحثين المثل الشعبيّ الذي كان شائعاً آنذاك بقوله: "جاور بحر ولا تجاور غنيّ"، إلى جانب عمل الناس في الرَّعي والصيد والزِّراعة، والبيع والشراء في السلع والمواد الحياتيَّة والمعيشيَّة، فضلاً عن العمل في التجارة بالداخل، أو التجارة مع الخارج[18].

وتبع ذلك مرحلةٌ جديدةٌ في تطوُّر العلاقات بين العرب والهند في التاريخ المعاصر بعد الحرب العالميَّة الثانية عام (1945)، وتنامي المصالح التجاريَّة والاقتصاديَّة والنفطيَّة والثقافيَّة والعلميَّة بين أهل الخليج والهند، وازدادت مكانة وشعبية الزعامات التاريخيَّة الهنديَّة مثل، المهاتما غاندي، وجواهر لال نهرو، وأنديرا غاندي في الأوساط المثقفة والناس عموماً في الخليج من جهة، وكانت الملاحة البحريَّة مهمة والوصول إلى الهند وجزر الهند الشرقيَّة عن طريق الجنوب العربيّ ورأس الرجاء الصالح من جهة أخرى، وكانت للهند علاقات تاريخيَّة مع الدول العربيَّة في هذه الحقبة، والسنوات التي تلتها في مواقف الهند إلى جانب العرب وأهل الخليج، ونشأة العلاقات الاقتصاديَّة والتجاريَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة بينهم.

17. مفيد الزيدي، تاريخ قطر المعاصر، 1913-2018، الطبعة الأولى، (عمّان: دار المناهج للنشر، 2011)، ص 18-20.

18. مفيد الزيدي، المصدر نفسه، ص 20.

وهكذا فإنَّ عناصر التلاقح الحضاريّ للهند مع أهل الخليج كانت تاريخيَّة، وتمتد منذ قرون طويلة مستفيدة من القرب الجغرافي، والصلات الحضاريَّة، والمبادلات التجاريَّة وحركة التجّار والسائحين والرحّالة، ونقل السفن والطرق البحريَّة بين الجانبين والتي انعكست في الوقت الرَّاهن على بنية التحالف بين الحضارات بين دولة قطر والهند.

ثالثاً: دولة قطر وتحالف الحضارات

يعتبر التواصل بين الحضارات على مرِّ التاريخ من العناصر البارزة في تاريخ التطوُّر الحضاريّ للإنسانية، وبرز التلاقح الحضاريّ بين حضارة وأخرى، فقد استفاد الإغريق من الحضارة المصرية، وتعلم الرُّومان من الحضارة الإغريقية، واستفاد العرب من الإمبراطورية الرُّومانية، وتعلمت أوروبا في العصر الوسيط من الحضارة العربيَّة والإسلاميَّة، فكان هذا الحوار بين الحضارات قديم عبر التاريخ لم يقتصر على حضارة واحدة بل امتدَّ إلىثقافات وحضارات أخرى سادها التلاقح الحضاريّ[19].

وفي العصر الرَّاهن، يسعى مفهوم تحالف الحضارات إلى محاربة حالة العداء والكراهية بين البشريَّة، وإلى تحديد مصالح مشتركة بين الأمم والشعوب، لتحقيق أهداف وطموحات هذه المجتمعات، وإنَّ المعرفة المتبادلة من قِبَلِ أصحاب تحالف الحضارات يدعم فكرة التواصل الفعّال من أجل وضع خطاب مشترك لتحقيق أهداف التحالف، ويعتبر التعليم له الدور الرئيسي في زيادة التفاهم تمكيناً للحوار الحضاريّ فيما بين شعوب العالم، وتتجلى العديد من الطرق في التعليم لمحاربة التطرف والتعصب والغلو والكراهية سواء في الدين، أو المذهب أو العرق أو القومية، ممّا يخلق التعليم بيئةً مناسبةً للحوار التي يسعى تحالف الحضارات إلى اتخاذ الطرق الكفيلة بمنع الأفراد والجماعات من اللجوء إلى

19. جمال محمد مصطفى، "دور الجامعات العربية والإسلامية في تعزيز الحوار بين الحضارات"، https://members.imamu.edu.sa/staff/gmmustafa/fileslibrary/Pages/%D8%AF%D9%88%D8%B1%20% شوهد في 2022/04/22.

التطرف والعنف، في مواجهة تداعيات صدام الحضارات أو صراع الحضارات، والذي يخلق حالةً من الخوف وعدم الاستقرار لدى الشعوب في العالم[20].

وتعمل مبادرة (تحالف الحضارات) التي أطلقتها "اليونسكو" في عام (2006) لمكافحة الإرهاب والتطرف، في مواجهة هذه التحديات والاعتماد على التعليم في العلوم الإنسانية والاجتماعيَّة، بمساعدة التكنولوجيا المتطورة في مجال الاتصالات، في إيجاد "إطار تعليميّ لتعزيز أمن البشريَّة ومنع النزاعات"، والتأكيد على أن نشر العلم والمعرفة من شأنه أن ينهض بالمعرفة والثقافات من خلال العلوم الإنسانيَّة، وإيجاد الظروف الملائمة للتعاون العالميّ في حلِّ المشكلات العلميَّة والتكنولوجيَّة التي تواجهها المجتمعات في الغرب أو الشرق[21].

ومن جهة أخرى، يعتبر التعاون الإنمائيّ الدوليّ من القضايا التي لاقت اهتماماً متميزاً من دولة قطر؛ لأنَّه ينبع من فلسفة الدولة في التضامن الإنسانيّ، التي ترى أنَّ الإنسان في أيِّ مكانٍ يوجد فيه هو هدفٌ وأداةٌ في التنمية المستدامة، وكذلك رؤية قطر الوطنيَّة (2030) التي أشارت في الغايات المستهدفة في مجال التعاون الدولي إلى تعزيز دور دولة قطر الإقليميّ على الصعد الاقتصاديَّة والسياسيَّة والثقافيَّة، خصوصاً في إطار مجلس التعاون الخليجيّ وجامعة الدول العربيَّة ومنظمة التعاون الإسلاميّ والأمم المتحدة، والمساهمة في تحقيق الأمن والسِّلم العالميَّين، ومن خلال مبادرات سياسية ومعونات تنمويَّة وإنسانيَّة وإغاثيَّة، بادرت دولة قطر ولا تزال في مجال التعاون والدعم للدول العربيَّة والإسلاميَّة في سعيها لتحقيق التنمية والازدهار الاقتصاديّ والرفاهية للشعوب كافةً[22].

20. تحالف الحضارات قاعدة بحوث لتقرير الفريق الرفيع المستوى التعليم: التحليل والمبادرات الحالية تقديم سوزان دوغلاس، باحثة أقدم، أمانة تحالف الحضارات، (نيويورك: الأمم المتحدة، 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2006)،ص 2-3، https://www.unaoc.org/repository/thematic_education_ARA.pdf، شوهد في 2022/04/22.

21. تحالف الحضارات قاعدة بحوث لتقرير الفريق الرفيع المستوى التعليم: التحليل والمبادرات الحالية، تقديم سوزان دوغلاس، المصدر نفسه، ص 4.

22. عبدالعزيز محمد الحر ونوزاد عبدالرحمن الهيتي، التعاون الإنمائي دولة قطر أنموذجا، (الدوحة: المعهد الدبلوماسي، 2022)، ص 157.

وتجسّد اهتمام دولة قطر بقضيَّة (تحالف الحضارات) في رؤية قطر الوطنيَّة (2030)، التي أكّدت رعاية ودعم حوار الحضارات والتعايش بين الأديان والثقافات المختلفة، وبالتالي تم تأسيس (اللجنة القطريَّة لتحالف الحضارات) عام (2010)؛ للنهوض بتحالف الحضارات كأداة للقوة الناعمة الدبلوماسيَّة الوقائيَّة لدى دولة قطر، والتعاون مع الأطراف الإقليميَّة والدوليَّة كافةً، وتسعى دولة قطر من خلال تحالف الحضارات إلى أن تكون أداة دبلوماسيَّة وقائيَّة للتخفيف من التوترات بين أصحاب الديانات والثقافات، بدمج موضوع تحالف الحضارات في المناهج التعليميَّة والتدريسيَّة، واللقاءات والندوات والمؤتمرات مع النخب الفكريَّة والمثقفة والشباب، والتأكيد على دور وسائل الإعلام لتصحيح الصور النمطيَّة للشعوب والحضارات، وبالتالي تبقى دولة قطر سبّاقة في دعم حوار الحضارات، بديلاً عن صراع الحضارات، وتعدُّد الثقافات وتحالف الحضارات على الصعد كافة، من خلال البرامج والقرارات والتعليمات والمشروعات، ووضع خطة تحالف الحضارات لتعزيز الحوار الحضاريّ وتحقيق الأمن والسَّلام والتعايش المشترك بين الشعوب[23].

وقرّرت القيادة القطريَّة تأسيس اللجنة القطريَّة لتحالف الحضارات، بموجب قرار مجلس الوزراء رقم (8) لعام (2010)، وقال الدكتور حسن بن إبراهيم المهندي نائب رئيس اللجنة القطريَّة لتحالف الحضارات (السابق): "إنَّ اللجنة تسعى للنهوض بأهداف تحالف الحضارات بوصفه أداة من أدوات القوة الناعمة للدبلوماسية الوقائية، وذلك من خلال التعاون مع كافة الأطراف الفاعلة على الصعيدين الإقليميّ والدوليّ، وإن رسالة اللجنة تعتمد تعزيز دور دولة قطر في إبراز مساهمات الحضارة الإسلاميَّة، إلى جانب الحضارات العالميَّة الأخرى، في التقدم الإنسانيّ ودورها في تعزيز الحوار، وحلِّ الصراعات والنِّزاعات والتأكيد على قِيَم التسامح والتضامن والسلام بين الشعوب ومحاربة التطرف

23. محمد بن عبدالرحمن آل ثاني، "دولة قطر وتحالف الحضارات"، مجلة تحالف الحضارات، (الدوحة: ديسمبر/ كانون الأول 2021)، ص 11-15.

والتعصب، وأنَّ رؤية اللجنة تقوم على تعاون أوثق بين الأعراق والديانات والثقافات، وإرساء قواعد التضامن وتبادل الخبرات والمنافع بين الشعوب على أساس قيم الحق والعدالة والمساواة"[24].

وتقوم مهامُّ اللجنة القطريَّة لتحالف الحضارات على عدَّة قضايا هي:

1. الإشراف على تطوير خطة عمل الدولة لتحالف الحضارات، ومتابعة مساهمات الدولة في هذا التحالف، والإشراف على المشروعات الخاصة بالدولة القائمة والمقترحة في هذا الإطار.
2. متابعة برامج التوعية الجماهيريَّة بضرورة احترام الحضارات كافةً وأهمية التحالف فيما بينها، وذلك باستخدام الوسائل الممكنة كافةً.
3. اقتراح موضوعات الدراسات المتعلقة بقضايا تحالف الحضارات وغيرها من المهامِّ ذات العلاقة[25].

وأكّد الدكتور نوزاد عبد الرحمن الهيتي، الخبير بأمانة سر اللجنة القطريَّة لتحالف الحضارات في محاضرة له، على الدور الذي تؤديه دولة قطر في مجال تحالف الحضارات، والمكانة التي تحتلها على الصعيد العالميّ، والتي جعلت الأمين العام للأمم المتحدة (السابق) "بان كي مون" يختار السفير ناصر بن عبد العزيز النصر؛ ليكون ممثِّلاً سامياً للأمم المتحدة لتحالف الحضارات، وكشف الدكتور نوزاد عن عددٍ من مجالات تحالف الحضارات والمتمثلة بالتعليم والشباب والهجرة والإعلام، ومن أبرز المبادرات القطريَّة التي تمَّ تنفيذها في إطار تحالف الحضارات:

1. دعم مشروعات الشباب لإحداث التغيير، من خلال صندوق التضامن الشبابي الذي يقدم منحاً بقيمة (30) ألف دولار أمريكي للمنظمات الشبابية التي تنشط في مجال تفاهم الحضارات.

24. وزير الخارجية: إبراز الدور الرائد لقطر في مجالات تحالف الحضارات, 21 يونيو 2016، https://al-sharq.com/article/21/06/2016/%D9%88%D8%B2%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC%D9%8A، شوهد في 2022/04/12.

25. وزير الخارجية: إبراز الدور الرائد لقطر في مجالات تحالف الحضارات، المصدر السابق.

2. مشروع خلق مجتمعات تحقق الاندماج، ويهدف إلى تعزيز آفاق اندماج المهاجرين في جميع أنحاء العالم، وتحسين العلاقات بين هؤلاء المهاجرين الجدد والمجتمعات التي تستقبلهم.
3. البرامج التعليمية المتعلقة بالديانات، والتي تتكون من بوابة إلكترونية للمصادر المتعلقة بالتربية والتعليم حول الديانات.
4. تشجيع الإبداع من خلال المرفق العالميّ للإبداع في مجال التعدُّد الثقافيّ، والذي تأسّس بشراكة مع شركات تجاريَّة وصناعيَّة[26].

واتخذت دولة قطر العديد من المبادرات في مجال التعليم والشباب والهجرة والإعلام، وتعزّزت هذه المبادرات مع انطلاق مشروع (تحالف الحضارات)؛ لذلك تعتبر تلك المبادرات جزءاً من خطتها لتحالف الحضارات، التي أضيف إليها العديد من المبادرات للفترة بين عامي (2007-2009)، وتعتبر دولة قطر من الدول الفاعلة في مجال تعزيز الأمن والسلم الدوليين، فضلاً عن جهودها الدبلوماسيَّة وعلاقاتها العربيَّة والإقليميَّة والدوليَّة المتميزة، بحيث أصبحت قادرة على تسوية مختلف الأزمات، لاسيَّما في المنطقة العربيَّة والشرق الأوسط عموماً، وعلى الرَّغم من أن دولة قطر تعتبر جيوبولتيكيا من "الدول الصغيرة" في المنطقة، أو التعداد السكاني المتميز؛ إلا أنَّها تؤدي أدواراً سياسيَّةً مهمَّةً، وهذا ما أشار إليه سموّ أمير دولة قطر في افتتاح جلسات الحوار الوطنيّ اللبنانيّ بقوله: "قطر ليست دولة كبيرة؛ ولكنها تسعى لأن تكون ساحة للقاء"[27]. وحقّقت الدولة إنجازات مميزة على هذا الصعيد، ومن أهمها نجاحها في نزع فتيل الأزمة بين الفرقاء اللبنانيين، ووقف النزاع المسلح في اليمن عامي (2008 - 2009)، والمساهمة في توقيع اتفاق حسن النوايا بين الحكومة السودانيَّة

26. ورشة تحالف الحضارات، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، الدوحة، https://qnc.edu.gov.qa/Ar/NewsAndEvents/News/Pages/%D9%88%D8%B1%D8%B4%D8%A9%20%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%84%D9%81%20%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA.aspx)، شوهد في 2022/04/15.

27. دولة قطر/ وزارة الخارجيّة، خطة عمل دولة قطر لتحالف الحضارات، https://www.unaoc.org/wp-content/uploads/Qatar-National-Strategy-Arabic1.pdf تاريخ الدخول للموقع 2022/04/20.

والمتمردين في دارفور في مطلع عام (2009)، وتسعى دولة قطر لتحقيق تقارب الحضارات للتخفيف من حدَّة التوترات بين أصحاب الأديان السماويَّة والثقافات المتنوعة، وذلك عبر خطة تقوم على دمج قضايا (تحالف الحضارات) في مناهجها التعليميَّة والتدريسيَّة بمختلف المراحل العلميّة، وتكثيف اللقاءات بين ممثلي الأديان والنخب الفكريَّة والمثقفين والشباب، فضلاً عن الدور الفعَّال للإعلام القطريّ الجديد في تصحيح الصور التقليديَّة وغير الواقعيَّة للشعوب والحضارات العالميَّة، إذ إن دولة قطر التي تستقبل أكثر من مليون شخص على أراضيها من المقيمين والعاملين في مختلف المجالات، ينحدر أغلبهم من دول ومناطق لها أديان وثقافات تختلف عن دين وثقافة دولة قطر وهو الإسلام، وعلى الرغم من ذلك يعيش الجميع فيها في سلام وأمان وانسجام، دون تعارض مع ثقافة ودين البلد الذي يقيمون فيه، ودون أن يفقد أو يتأثر أيٌّ من هؤلاء المقيمين هُوِيَّتَه وخصوصيته الثقافيَّة أو انتماءه الدينيّ أو المذهبيّ أو العرقيّ[28].

وأطلقت جامعة قطر (جائزة قطر العالميَّة لحوار الحضارات) بالتعاون مع اللجنة القطريَّة لتحالف الحضارات في وزارة الخارجيَّة، وكرسي الإيسيسكو لتحالف الحضارات بكلية الشريعة والدراسات الإسلاميَّة في جامعة قطر، وتم اعتماد مقرر جامعيّ باسم (تحالف الحضارات)، مع توجُّه من الجامعة لفتح برنامجين لدراسة الماجستير والدكتوراه في مجال حوار الحضارات، ويأتي اهتمام دولة قطر ودعمها لجهود حوار الحضارات، انطلاقاً من نجاحها في استقطاب واحتضان سلسلة من المؤتمرات الحوارية، مثل الحوار بين الثقافات، والحوار بين الأديان، والحوار بين المذاهب، وكانت الدوحة هي عاصمة للحوار، وأثمر ذلك إنشاء (مركز الدوحة الدوليّ للحوار بين الأديان) وهو مركز نشط يقوم بتنظيم مؤتمرات حواريَّة كلَّ عام لتعزيز هذا المفهوم الفكريّ والثقافيّ لحوار الحضارات الذي بالتأكيد سيصل بتحالف الحضارات إلى الغاية الأسمى التي تتجسد فيها تلك الرؤية التي تحتضنها دولة قطر وتسعى إلى تحقيقها.

28. دولة قطر/ وزارة الخارجيّة، خطة عمل دولة قطر لتحالف الحضارات، المصدر نفسه.

رابعاً: دولة قطر والهند/ نموذج تحالف الحضارات

قبل الحديث عن تحالف الحضارات بين دولة قطر والهند، لابد أن نتطرق الى الجهود الكبيرة التي بذلتها دولة قطر ولا تزال في ميدان تحالف الحضارات كمفهوم، وكأداة للحوار والتعاون بين الحضارات في عالم اليوم، وهي فلسفة دولة لدى صانع القرار القطريّ ينتهجها لتعزيز دور الدولة على الصعد الإقليميَّة والآسيويَّة والدوليَّة، وتتجسد حالة تحالف الحضارات في أحد جوانبها في تلك العلاقة بين دولة قطر والهند من خلال عدَّة معطيات على أرض الواقع عملية لهذا التحالف وهي:

1. التفاعل الثقافيّ:

يرجع التفاعل الثقافيّ في العلاقات بين دولة قطر والهند إلى فترات تاريخيَّة قديمة، وهناك مكتشفات أثريَّة في مدينة (الزُّبارة) في شمال قطر، حيث العملة المعدنيَّة الهنديَّة وهي الروبيَّة، والزخارف الهنديَّة والمعادن والأباريق، ومقتنيات هنديَّة قديمة في منطقة (رويضة)، وأخرى في منطقة (فريحة) في شمال قطر، وفي الدوحة القديمة مثل، العاج والأخشاب والسقوف والخزف ومدابس التمر[29].

كما أسهم النشاط التجاري في نشر الوعي الثقافيّ بين سكان الخليج ومنهم أهل قطر، إذ تعامل التجّار مع دول أخرى كالهند، وكانت بومباي أحد مصادر التجارة الرئيسية للقطريين، وأصبحت مقرّاً لعائلات خليجية تجاريَّة معروفة، ونشأت المدرسة العربيَّة في بومباي، وأدَّت هذه العلاقات إلى بروز التبادل والتفاعل الثقافيّ والحضاريّ بين أهل الخليج والهنود، وأسهم ذلك في انتشار الثقافات والأفكار واللغات واللهجات والعادات والتقاليد، وما يتعلق بالعلوم والمعارف والمهن والحرف من أجل المعيشة، الأمر الذي جعل الهند تحتل مكانةً بارزةً في موروثات أهل الخليج ودولة قطر الشعبيّة والاجتماعيَّة لفترة طويلة.

29. معين صادق،"العلاقات الهنديّة - القطريّة من القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين"، ورقة قدّمت أعمال مؤتمر (العرب والهند: تحولات العلاقة مع قوة ناشئة ومستقبلها)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 5-2021/05/6، تاريخ الدخول للموقع 2021/10/02، http//www.almodon.com//arabworld/2018/5/5

ومن جهة أخرى احتلت دول الخليج ودولة قطر أهميَّةً كبيرةً ومتميزة بالنسبة للهند لعوامل الموقع الجغرافيّ الذي لا يفصل بينهما إلا بحر العرب، وروبط تجاريَّة واجتماعيَّة أيضاً[30].

2. المأثورات الشعبيّة:

هناك عوامل ثقافيّة متبادلة بين أهل الخليج ودولة قطر والهند، كالأطعمة وإعداد المأكولات والأزياء والملابس، والتوابل والعطور، والفنون والآداب، وقد تأثرت الملابس في دول الخليج، سواء من ناحية الخام المستخدم، أو الألوان أو النقوش، بالفنون والنقوش والألوان المستخدمة في الهند للتطريز والتفصيل، فضلاً عن صناعة الحُلِيّ الذهبيَّة والفضيَّة والمجوهرات، كما أنَّ هذا التأثير شمل ملابس الرجال إلى حدٍّ ما، وظهرت وانتشرت الملابس التي تعرف بـ(الململ)، و(الصديري)، و(الوزار المليباري)، و(الكوفيَّة المشجرة) ضمن أزياء الرجال في الخليج، وامتدَّ التأثير الهنديّ إلى الأثاث والمفروشات وقطع الديكور في البيوت والغرف والمجالس والديوانيَّات الخليجيَّة والقطريَّة أيضاً، ويمكن الإشارة إلى سرير النوم الهنديّ وفيه الأعمدة النحاسيَّة رمّانيَّة الشكل، واللوحات الزجاجيَّة ذات الرسومات الطاووسيَّة، والمرايا الدائريَّة الصغيرة التي كانت تزيَّن بها غرفة الزواج، والمساند المزيَّنة بتطريزات ونقوش يدويَّة هنديَّة، وكلها تجدها في البيوت والمجالس القطريَّة والخليجيَّة متأثرة بالفنون والأزياء الهنديَّة[31].

وامتدَّ التعاون بين الحضارتين القطريَّة والهنديَّة عبر فترات التاريخ القديمة، إذ أشار إقامة معرض بعنوان: "أحجار كريمة ومجوهرات من البلاط الملكيّ الهنديّ" في متحف الفن الإسلاميّ في الدوحة في تشرين الأول/ أكتوبر(2019)، إلى ذلك التعاون والتبادل الحضاريّ بين البلدين، وكان عرش ملك منغوليا شاهداً على هذا الترابط، فالصقر المرصع بالجواهر الذي تربّع على تاج سلطان

30. مفيد الزيدي، التيارات الفكريَّة في الخليج العربي، 1938-1971، الطبعة الثانية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص 58.

31. مهند النداوي، العلاقات الاقتصاديَّة بين الهند ودول الخليج الواقع والتحديات والفرص، الطبعة الأولى، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2017)، ص 11-20.

بافناغار في راجستان من الطيور الملكيَّة، وهو من أبرز المظاهر التراثيَّة في دولة قطر – وهناك الكثير من الأمثلة التي تدلُّ على التبادل الثقافيّ بينهما- كما أنّ الحُلِي الذي تتزيّن به المرأة مهمٌّ في الثقافتين القطريَّة والهنديَّة، وربطت العلاقات التجاريَّة والاقتصاديَّة أيضاً بين الشعبيّن، وعلى الرَّغم من انتشار اللؤلؤ في خليج منار الواقع بين الهند وسيرلانكا، فإن أكبر اللآلئ وأجملها كانت تأتي إلى الهند من البحار المحيطة بشبه الجزيرة العربيَّة، وضمَّ المعرض المذكور أربعة أقسام رئيسيَّة وهي:

أ. أحجار كريمة، وتبرز الأهميَّة الثقافيَّة والاقتصاديَّة للأحجار الكريمة في الهند.

ب. البلاط الملكيّ، ويستكشف الزائر فيه دور الأحجار الكريمة والمجوهرات في التعبير عن ثراء البلاط الملكيّ ومكانته.

ت. ما وراء البلاط الملكيّ، الأغراض الشخصيَّة والخاصة والتعبيريَّة للمجوهرات.

ث. لآلئ من الذهب، حيث كان للمجوهرات دورها في توثيق العلاقات الثقافيَّة والتجاريَّة الممتدّة تاريخيّاً بين دولة قطر والهند، ومدى تأثُّر هذه العلاقات بالمجوهرات في دولة قطر، وأنّ التجّار القطريّين الذين سافروا إلى الهند منذ القدم لمبادلة الذهب باللؤلؤ، وظل هذا الأمر حتى بداية القرن العشرين حين تراجعت صناعة اللؤلؤ بشكل كبير بعد اكتشاف اللؤلؤ الصناعيّ وانتشاره على نطاق واسع[32].

3. الجالية الهنديَّة:

تمثل الجالية الهنديَّة في قطر عاملاً مهمّاً في توثيق العلاقات بين البلدين، والتي تعمل في مختلف المجالات الخدمية والعمرانية والتجاريَّة والإدارية والثقافيَّة، وأشاد بي كوماران، سفير الهند لدى دولة قطر، بعلاقات بلاده القويَّة والتاريخيَّة مع دولة قطر، ومنها نشاط الجالية الهنديَّة في مركز

32. "السفير الهندي: العلاقات القطريّة - الهنديّة تاريخيّة وقويّة"، صحيفة "الشرق"، (الدوحة: 2018/12/17).

الرياضات الهنديّ، والذي يقوم بالترويج للعلاقات الرياضيَّة بين البلدين، ودعوة عدد من الفرق الرياضيَّة من الهند لزيارة دولة قطر، مشيراً إلى أنَّ الرَّوابط الثقافيَّة والمجتمعيَّة بين البلدين تعود إلى سنوات طويلة نظراً للتواجد الكبير للجاليات الهنديَّة في دولة قطر، فضلاً عن الزيارة التي قامت بها سوشما سواراج وزيرة الشؤون الخارجيَّة الهنديَّة، إلى دولة قطر وشهدت التوقيع على إعلان لإنشاء لجنة مشتركة بين البلدين، كما تم اختيار عام (2019) ليكون (عام الثقافة بين قطر والهند)، وتنظيم سلسلة من الأحداث والفعاليات الثقافيَّة والحضاريَّة خلال هذا العام، وكان موقف دولة قطر ودعمها للجالية الهنديَّة في السنوات السابقة قد أدَّى إلى ازدياد أعداد الجالية الهنديَّة في قطر ليصل إلى ما يقارب سبعمائة ألف شخص عام (2019)، والذين يسهمون بشكل كبير في عملية نمو وتطور دولة قطر[33].

وعلى هذا الأساس، يعود التفاعل الثقافيّ في العلاقات بين دولة قطر والهند إلى فترات تاريخيَّة قديمة، ازدادت وتطورت بمرور الزمن في مختلف المجالات الثقافيَّة والحضاريَّة بينهما، وتتجسد اليوم كأنموذج لهذا الحوار الحضاريّ القائمة على أساس الاحترام المتبادل والتعايش والسلام والتنمية ورفاهية الشعوب، والتي تصبّ جميعها في مفهوم تحالف الحضارات في عالم يشهد متغيراتٍ متسارعةً في القِيَم والثقافات والمعطيات الفكريَّة والإرهاصات الحضاريَّة.

4. العام الثقافيّ القطريّ - الهنديّ:

تم اتخاذ قرار الاحتفال المشترك بعام الثقافة بين دولة قطر والهند عام (2019) خلال زيارة رئيس وزراء الهند ناريندرا مودي، إلى دولة قطر في حزيران/ يونيو (2016)، وهو برنامج للتبادل الثقافيّ، تنظِّمه متاحف قطر، وأظهر (بهاراتا فاسترام) ضمن الفعاليات الثقافيَّة التي تستضيفها المدينة التعليميَّة من أجل الاهتمام بالتعاون في المجالات الثقافيَّة والتعليميَّة والفنيَّة

33. عبد الله المدني،"العلاقات الخليجيّة - الهنديّة.. خصوصيّة وتميُّز عبر التاريخ"، صحيفة "الاتحاد"، (أبوظبي، 2017/01/26).

والحضاريَّة بين البلدين، والفعاليات التي تنوّعت بين عروض فنيَّة ومعارض ثقافيّة وفعاليَات رياضيَّة، وكان هناك أكثر من عشرين فعالية تنظّم في دولة قطر، وعشرين فعالية أخرى تنظَّم في الهند، ويشمل برنامج العام الثقافيّ من المعارض والمسابقات والفعاليات الرَّامية لتعزيز التفاهم المتبادل، وفي دولة قطر عُقِدَ مهرجانٌ ثقافيّ متنوعُ الأطياف، ودشّنت متاحف دولة قطر عرضاً مسرحيّاً شهيراً بعنوان (رحلة إلى هوليوود) في أولى فعاليَات العام الثقافيّ قطر - الهند (2019)، وذلك في الحيّ الثقافيّ (كتارا)، وسلَّط الضوءَ على هوليوود أحد أكبر مراكز صناعة الأفلام على مستوى العالم، ومن بين الفعاليات التي شهدتها الهند عرض (زفاف مونسون الموسيقي) في يناير/ كانون الثاني (2019) في نيودلهي، ومعرض الفنّ المعاصر في قطر الذي يعتبر واحداً من أبرز المعارض القطريَّة التي تسلّط الضوء على التحوُّل الثقافيّ والاجتماعيّ من منظور مجموعة من فناني دولة قطر، وكان للهند حضورها أيضاً في معرض الدوحة الدوليّ للكتاب عام (2019)، وكانت ضيف شرف المعرض، ممّا أتاح للجمهور القطريّ فرصةَ أفضل للتعرُّف عن قرب على الثقافة والحضارة الهنديَّة العريقة[34].

وقال الرئيس التنفيذيّ بالوكالة في متاحف قطر أحمد النملة: "إنَّ الثقافة من أقوى الوسائل للتقريب بين الشعوب، وسيكون العام الثقافيّ قطر الهند (2019) عاماً للاحتفاء بالقواسم المشتركة والاختلافات بين البلدين من خلال المشاركة الواسعة في الفعاليات التي ستقام في البلدين، ويمزج شعار العام الثقافيّ قطر الهند (2019) بين (خط الدفاناجاري) أحد أشهر الخطوط الهنديَّة، و(الخط العربيّ)، إذ يتداخل الخطَّان مع بعضهما، ليشكِّلا رسماً يجسّد المكانة التي تحتلها المهرجانات لدى الشعب الهنديّ"[35].

وحظيت (مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع) بإشادة تُضاف

34. "قلادة عائشة.. تروي قصة الترابط الحضاريّ بين قطر والهند"، "الجزيرة نت"، 24 أكتوبر 2019، https://almawqeapost.net/art-culture/44978، تاريخ الدخول للموقع 2021/08/03.

35. "العام الثقافي قطر والهند ينطلق بـ"رحلة إلى بوليوود"، صحيفة "الشرق"، 2019/02/05 https://al-sharq.com/article/05/02/2019/%D8%A7%D9%84%D8%B9

إلى رصيدها باعتبارها منصةً عالميةً للتبادل الثقافيّ، وذلك من خلال فعالية مخصَّصة لعرض الأزياء الهنديَّة، أكّدت التنوع الثقافيّ الذي تتميز به مختلف المدن والولايات الهنديَّة، مشاركةً منها في العام الثقافيّ قطر - الهند (2019)، وذلك بالتركيز على الزيّ التقليديّ للمرأة، وتم تنظيمه بالتعاون مع السفارة الهنديَّة في دولة قطر، وجامعة فرجينيا كومنولث، كلية فنون التصميم في دولة قطر إحدى الجامعات الشريكة لمؤسسة قطر التي استضافت العرض[36].

واستضافت (مكتبة قطر الوطنيَّة) معرضاً بعنوان (قطر والهند والخليج: التاريخ والثقافة والمجتمع)، بهدف التعرُّف على العلاقات التاريخيَّة بين دولة قطر والهند ومنطقة الخليج العربيّ، والتي تجسدت في قواسم مشتركة، شاركت في الملامح التاريخيَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة، في اطار فعاليَات الاحتفال بالعام الثقافيّ قطر - الهند (2019)، الذي استكشف أبعاداً متعدّدة للصلات الاقتصاديَّة والسياسيَّة والثقافيَّة بين الشَّعبين، والتأثير اللغوي المتبادل في النظام الكتابيّ والمفردات والأمثال والحكم، وصولاً إلى الطبخ وإعداد المأكولات الذي شهد أيضاً تفاعلاً كبيراً على مدى قرون ماضية، كما يخصّص المعرض قسماً بشأن العلاقات بين الهند ودولة قطر، إذ تشير وثائق المكتبة إلى وصول سفينتي (ديسكفري) و(سايكي) التابعتين لـ(شركة الهند الشرقيَّة) إلى قبالة الساحل الشرقي لدولة قطر، لإجراء مسحٍ تفصيليّ لمدينة البدع (الدوحة حاليّاً) ومياهها الساحليَّة عام (1822)، إلى جانب العثور على مكتشفات أثريَّة في مدينة الزبارة في شمال قطر منها العملة المعدنيَّة الهنديَّة (روبيَّة)، وزخارف ومعادن هنديَّة وأباريق، ومقتنيات هنديَّة قديمة في منطقتي رويضة وفريحة، وأيضاً في الدوحة القديمة مثل العاج والأخشاب والسقوف والخزف ومدابس التمر[37].

36. "العام الثقافيّ قطر والهند ينطلق بـ"رحلة إلى بوليوود"، المصدر نفسه.

37. "قطر والهند والخليج": صلات عبر اللغة والأرقام والبحر"، الدوحة 04 نوفمبر 2019 https://www.alaraby.co.uk/%22%D9%82%D8%B7%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF-، شوهد في 2022/04/14 .

وعَقَدَ أيضاً الملتقى القطريّ للمؤلفين بالتعاون مع الجالية الهنديَّة في الدوحة ندوةً بعنوان: (التبادل الثقافيّ بين الهند وقطر) بمشاركة أدباء وكتّاب هنود، وتناول اهتمام الباحثين من الهند بالكتابة عن العرب ودولة قطر، وجرى الحديث عن الهند في مسرحيات غانم السليطي، ودور الهنود في المسرحيات العربيَّة والخليجيَّة والقطريَّة، باعتبار أنَّ المسرح هو المغبِّرُ عن هُوِيَّة المجتمع ويعبّر عن الظواهر الثقافيَّة والحضاريَّة والفنيَّة والاجتماعيَّة للشعوب، وكجزء من الحوار الحضاريّ بين دولة قطر والهند أيضاً[38].

وفي ذات السياق شاركت دولة قطر في أعمال الدورة الثالثة بعنوان: (منتدى التعاون العربيّ الهنديّ)، الذي عقد في جامعة الدول العربيَّة في القاهرة عام (2021)، ومثّل دولة قطر في هذا المنتدى السفير حسن بن أحمد المطوع نائب المندوب الدائم لدولة قطر لدى جامعة الدول العربيَّة، وتمَّ فيه عرض وجهات النظر حول القضايا الإقليميَّة والدوليَّة ذات الاهتمام المشترك، وسبل تعزيز مسيرة التعاون العربيّ – الهنديّ، والذي يستمد مقوماته وجذوره من الروابط التاريخيَّة والحضاريَّة التي تجمع العرب مع الهند، والعلاقات التجاريَّة والثقافيَّة التي ساهمت في تعزيز الروابط بين الجانبين، والتواصل التاريخيّ والحضاريّ بين العرب والهند، وتعزيز علاقاتهم مع الهند في مختلف المجالات والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة من خلال تفعيل آليات منتدى التعاون العربيّ – الهنديّ، الذي أنشئ في ديسمبر/ كانون الأول (2008)، وأصبح إطاراً مؤسسيّاً لتطوير العلاقات العربيَّة – الهنديَّة في المستقبل[39].

38. "ملتقى المؤلفين يحتفي بالأدب الهندي"،2019/12/12، شوهد في 2021/10/02، http//www.mcs.gov.qa

39. قطر تشارك في منتدى التعاون العربي الهندي 2021/01/13،
https://www.al-watan.com/news-details/id/253203/%D9%82%D8%B7%D8%B1-%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%83-، شوهد في 2022/4/28.

الخاتمة:

الهند أُمَّة لها تجربتها وتفردها الآسيويّ ومقوماتها التاريخيَّة والحضاريَّة مما يشير إلى أهميَّتها لدى العرب، وإن العرب بحاجة إلى إستراتيجيَّة عربيَّة تعتمد التعاون بين العرب والهند، والإفادة من خبرات الهند الفنيَّة لاسيما المجال النوويّ، واعتماد الاستثمار العربيّ في الهند للحصول على المصالح الاقتصاديَّة المشتركة يسهم في تغيير المواقف الهنديَّة من القضايا العربيَّة بسبب العوائد الاقتصاديَّة والاستثماريَّة والماليَّة التي ستحصل عليها الهند، لاسيَّما أن أكثر من (8) ملايين عامل هنديّ يعملون في الدول العربيَّة وخاصةً دول مجلس التعاون الخليجيّ، وكلها عوامل تسهم في التعاون والتقارب العربيّ – الهنديّ لدعم الموقف العربيّ في منطقة الشرق الأوسط.

والهند بلد له تجربته الخاصة وتفردها الآسيوي وثقلها السياسيّ والتكنولوجيّ والمعلوماتيّ والصناعيّ، مع تشابكها بالإرث التاريخيّ والتنوع الثقافيّ والجذر الحضاريّ والتجربة الديمقراطية، وهذا يشير إلى أهمية الهند بالنسبة لدول مجلس التعاون وفي مقدمتها دولة قطر[40].

وتقوم السياسة القطريَّة على إستراتيجيَّة توسيع علاقاتها السياسيَّة والاقتصاديَّة مع العديد من دول العالم، وتعتبر الهند واحدةً من أكبر الاقتصادات "الصاعدة" في القرن الحادي والعشرين، وخامس أكبر اقتصاد على مستوى العالم، وأدى العامل الجغرافيّ دوراً مهمّاً في التقارب بين الهند ودولة قطر تاريخيّاً منذ عهد تجارة اللؤلؤ الذي كانت تعرف به منطقة الخليج العربيّ، ثم بعد اكتشاف النفط والغاز الطبيعيّ واستثماره في قطر.

في الجانب الثقافيّ الذي يعتبر من المجالات الحيويَّة في علاقات الهند مع ودولة قطر خاصةً، بحكم الأواصر والصلات الحضاريَّة والرَّوابط والجذور التاريخيَّة القديمة، والعوامل التجاريَّة والمعيشيَّة وحياة البحر التي عاشها الخليجيُّون،

40. مفيد الزيدي، صراع الحضارات وحوار الثقافات نحن والآخر، (عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2005)، ص 45-46.

ومنهم القطريّون في عهود سابقة، لاسيَّما مع رغبة كبيرة من الهند في تطوير علاقاتها الثقافيَّة مع دولة قطر نتيجة العلاقات التاريخيَّة العريقة، والسعي لإقامة الملتقيات الثقافيَّة، والزِّيارات المتبادلة للفرق الفنيَّة والأدباء والكتّاب، والمتخصصين بالخطوط والنقوش والمتاحف والأزياء والحُلِيّ والمجوهرات، والرسم والموسيقى والغناء والسينما، وحاجة المجتمع إلى خبرات الهنود، والاستفادة من وجود جالية هنديَّة كبيرة تقدم الخدمات، وبالإضافة إلى ذلك هناك عوامل ثقافيّة مشتركة ومتبادلة بين قطر والهند، منها إعداد المأكولات والأطعمة، والأزياء والملابس، والتوابل والعطور، والفنون والآداب.

وأصبح التحالف الحضاريّ بين دولة قطر والهند في تطور متنامٍ في مجالات عدَّة أساسها المصالح المتبادلة في الجوانب الاقتصاديَّة والثقافيَّة مع ضخامة العمالة الهنديَّة في دولة قطر، والعلاقات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، والتفاعل الثقافيّ بين الطرفين، وفي إطار نمو العلاقات القطريَّة – الهنديَّة في الألفيَّة الثالثة، فإن من المتوقع أن يتطور النموذج الحضاريّ في هذه العلاقات لعوامل بنيويَّة راسخة بين البلدين والشعبيّن، ربَّما تتجه لها سياسة قطريَّة عقلانيَّة وواقعيَّة تقوم على الانفتاح على الدول الصاعدة في عالم اليوم وفي مقدمتها الهند.

ويعود التفاعل الثقافيّ في العلاقات بين دولة قطر والهند إلى فترات تاريخيَّة قديمة تطورت في مختلف المجالات الثقافيَّة والحضاريَّة بينهما، وتتجسد اليوم كنموذج لهذا التحالف بين الحضارات القائمة على أساس تعزيز تحالف الحضارات، والاحترام المتبادل، والتعايش السلمي، والتنوع الثقافيّ، والتنمية، ورفاهية الشعوب، والتي تصبّ جميعها في مفهوم التحالف بين الحضارات في عالم يشهد متغيرات في القِيَم والثقافات والمعطيات الحضاريَّة.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر باللغة العربيَّة

1. عبدالعزيز محمد الحر ونوزاد عبدالرحمن الهيتي، التعاون الانمائي دولة قطر أنموذجاً، (الدوحة: المعهد الدبلوماسي، 2022).
2. فيصل السامر، الأصول التاريخيَّة للحضارة العربيَّة الإسلاميَّة في الشرق الأقصى، وزارة الإعلام، بغداد، 1977.
3. مفيد الزيدي، بدايات النهضة الثقافيَّة في منطقة الخليج العربيّ في النصف الأول من القرن العشرين، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد 15، مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية، أبو ظبي، 1998.
4. مفيد الزيدي، تاريخ قطر المعاصر، 1913-2018، الطبعة الأولى، دار المناهج للنشر، عمّان، 2011.
5. مفيد الزيدي، العلاقات العراقيَّة - الهنديَّة: الروابط المتجذرة والفرص المتاحة، الطبعة الأولى، (ألمانيا: دار نور للنشر والتوزيع، 2017).
6. مفيد الزيدي، التيارات الفكرية في الخليج العربيّ، 1938-1971، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، بيروت، 2004.
7. مفيد الزيدي، صراع الحضارات وحوار الثقافات نحن والآخر، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان، 2005.
8. مهند النداوي، العلاقات الاقتصاديَّة بين الهند ودول الخليج الواقع والتحديات والفرص، الطبعة الأولى، مركز الجزيرة للدراسات، 2017.

ثانياً: البحوث والدراسات

1. أسامة فاروق مخيمر، التمدد الحضاريّ رهانات عصرنة القوة الناعمة لتعزيز الصعود الهنديّ، مجلة السياسة الدوليَّة، تحولات الصعود الهنديّ"، العدد 217، (القاهرة، مؤسسة الأهرام، يوليو 2019).
2. بدرالدين عباس الخصوصي، "العامل الاقتصادي وأثره على إنسان الخليج العربيّ في العصر الحديث"، في: الموسم الثقافيّ (السابع والثامن: 1974 - 1975) الخليج في مواجهة التحديات: محاضرات الموسمين الثقافيّين، جمعية الاجتماعيين، الكويت، 1975.
3. تحالف الحضارات قاعدة بحوث لتقرير الفريق الرفيع المستوى التعليم: التحليل والمبادرات الحالية، تقديم سوزان دوغلاس، المصدر السابق، 2006.
4. الحافظ سيد بديع الدين الصابري، "العلاقات الهنديَّة - العربيَّة من خلال الأدب العربيّ الحديث"، مجلة ثقافة الهند، المجلد 50، العدد 3، (نيودلهي: 1999).
5. "السفير الهنديّ: العلاقات القطريَّة - الهنديَّة تاريخيَّة وقوية"، صحيفة الشرق، (الدوحة: 2018/12/17).

6. عبدالله المدني،"العلاقات الخليجيَّة - الهنديَّة.. خصوصية وتميُّز عبر التاريخ"، صحيفة الاتحاد، (أبو ظبي، 2017/01/26).

7. كديرا بيثاغودا،"التعامل مع دلهي: كيف ترسم الثقافة سياسة الهند تجاه الشرق الأوسط"، (الدوحة: مركز بروكنجز الدوحة، 2015).

8. مالك عوني، الديناميات اللاقطبية لنشوء قوى كبرى هنديَّة، مجلة دراسات دولية، تحولات الصعود الهنديّ"، العدد 217، (القاهرة، مؤسسة الأهرام، يوليو 2019).

9. محمد بن عبدالرحمن آل ثاني، دولة قطر وتحالف الحضارات، مجلة تحالف الحضارات، (الدوحة: ديسمبر/ كانون الأول 2021).

10. مفيد الزيدي، "تأثير الهند في الثقافة العربيَّة وآدابها"، مجلة ثقافة الهند، المجلد 51، العدد 3، نيودلهي، 2000.

11. مفيد الزيدي "تأثير الهند في الثقافة العربيَّة وآدابها"، مجلة ثقافة الهند، المجلد 51، العدد 3، نيودلهي 2000.

12. نير بهائي سينغ،" المجتمع الهنديّ المعاصر وتعددية الأديان"، مجلة ثقافة الهند، المجلد 68، 3، (نيودلهي: 1997).

ثالثاً: المصادر الإلكترونية

1. أن عبدالجبار،" تاريخ التبادل الثقافيّ والحضاريّ بين الهند والعرب"، 2015/11/03، https://islamstory.com/ar/artical/23988/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A-، شوهد في 2022/04/23.

2. جمال محمد مصطفى، "دور الجامعات العربيَّة والإسلاميَّة في تعزيز الحوار بين الحضارات"، https://members.imamu.edu.sa/staff/gmmustafa/fileslibrary/Pages/%D8%AF%D9%88%D8%B1%20%، شوهد في 2022/04/22.

3. تحالف الحضارات قاعدة بحوث لتقرير الفريق الرفيع المستوى التعليم: التحليل والمبادرات الحالية تقديم سوزان دوغلاس، باحثة أقدم، أمانة تحالف الحضارات، الأمم المتحدة، نيويورك 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2006، ص 2-3، https://www.unaoc.org/repository/thematic_education_ARA.pdf، شوهد في 2022/04/22.

4. دولة قطر/ وزارة الخارجيَّة، خطة عمل دولة قطر لتحالف الحضارات، https://www.unaoc.org/wp-content/uploads/Qatar-National-Strategy-Arabic1.pdf، شوهد في 2022/04/20.

5. رولف كيليوس، "الحداثة والتقليد: تأملات في الموسيقى التقليدية في قطر"، مكتبة قطر الوطنيَّة، 2014/10/17، شوهد في 2022/04/22، http//www.qdl.qa/.

6. "العام الثقافيّ قطر والهند ينطلق بـ"رحلة إلى بوليوود"، صحيفة "الشرق"، https://al-sharq.com

7. "قطر والهند والخليج": صلات عبر اللغة والأرقام والبحر"، الدوحة، 04 نوفمبر 2019، https://www.alaraby.co.uk/%22%D9%82%D8%B7%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF-، شوهد في 2022/04/14.

8. "قلادة عائشة.. تروي قصة الترابط الحضاريّ بين قطر والهند"، الجزيرة نت، 24 أكتوبر 2019، https://almawqeapost.net/art-culture/44978. شوهد في 2021/08/03.

9. معين صادق، "العلاقات الهنديَّة - القطريَّة من القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين"، ورقة قدّمت أعمال مؤتمر (العرب والهند: تحولات العلاقة مع قوة ناشئة ومستقبلها)، المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 5-2021/05/6، شوهد في 2021/10/02، http//www.almodon.com// arabworld/2018/5/5

10. "ملتقى المؤلفين يحتفي بالأدب الهنديّ"، 2019/12/12، تاريخ الدخول للموقع 2021/10/02، http//www.mcs.gov.qa قطر تشارك في منتدى التعاون العربيّ الهنديّ 2021/01/13، https://www.al-watan.com/news-details/id/253203/%D9%82%D8%B7%D8%B1-%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%83-، شوهد في 2022/04/28.

11. ورشة تحالف الحضارات، اللجنة الوطنيَّة القطريَّة للتربية والثقافة والعلوم، (الدوحة: https://qnc.edu.gov.qa/Ar/NewsAndEvents/News/Pages/%D9%88%D8%B1%D8%B4%D8%A9%20%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%84%D9%81%20%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA.aspx)، شوهد في 2022/04/15.

12. وزير الخارجيَّة: إبراز الدور الرائد لقطر في مجالات تحالف الحضارات،21 يونيو 2016، https://al-sharq.com/article/21/06/2016/%D9%88%D8%B2%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC%D9%8A%، شوهد في 2022/04/12.

أدوار المجتمع المدني في تعزيز الحوار الحضاري: دراسة في الأسس والنماذج والممارسة

أ. د. عزالدين معميش
رئيس كرسي الإيسيسكو لحوار الحضارات
كلية الشريعة والدرسات الإسلامية - جامعة قطر

الملخَّص:

تبحث هذه الدراسة في الجذور العميقة للمصطلح، والدلالات الجديدة التي يحملها، والأدوار التي يقوم بها عبر شبكة القوى المشكلة له، مع البحث في شرعيته الدينية والمؤسسية منذ النشأة الأولى، والتي يمكن استثمارها في تفعيل دوره في السياقات المعاصرة. فقد ارتبط مصطلح "المجتمع المدني" بتطور الأشكال والعلاقات الحضارية للاجتماع الإنساني منذ العصور المدنية الأولى للإنسان، وقد أعيدت فعاليته في العقود الأخيرة، ارتباطاً بتغيّر مفهوم الدولة والعلاقات الدولية والحوار الحضاري وطبيعة الدور المنوط بكل من المجتمع والدولة. وتؤدي الفئات التي تنضوي تحت مفهوم "المجتمع المدني" تأثيراً مهمّاً وبالغاً في توجيه السياسات الثقافية والاجتماعية، وفي مقدمتها؛ موضوع "الحوار الحضاري"، فيمكن أن تقوم المؤسسات والجمعيات الأكثر ملاءمةً بأدوار رائدة في نشر ثقافة التعايش والتسامح والسلام بين الحضارات والمجتمعات، وتنهض بمهام وأدوار تثقيفية وتعليمية ترتقي بجهود الدول ومؤسساتها الرسمية، واستثمارها في مجال الدبلوماسية الثقافية باعتبارها قوة ناعمة.

- الكلمات المفتاحية: المجتمع، المدنية، الدولة، الحوار، الحضارة، القوة.

The roles of civil society in promoting civilized dialogue: a study of foundations, models, and practice

Prof. Azzeddine Mamiche
Head of ISESCO Chair for Dialogue of Civilizations,
College of Sharia and Islamic Studies, Qatar University

Abstract:

This study examines the deep roots of the term, the new connotations it carries, and the roles it plays through the network of forces that form it, with an examination of its religious and institutional legitimacy since its first inception, which can be invested in activating its role in contemporary contexts. The term “civil society” has been linked to the development of civilized forms and relations of human society since the first civil ages of man, and it has been reactivated in recent decades, in connection with the change in the concept of the state, international relations, civilized dialogue and the nature of the role entrusted to both society and the state. The groups that fall under the concept of “civil society” play an important and profound influence in guiding cultural and social policies, foremost among them; The topic of “Civilizational Dialogue.” The most appropriate institutions and associations can play pioneering roles in spreading the culture of coexistence, tolerance and peace among civilizations and societies, and carry out educational and educational tasks and roles that advance the efforts of states and their official institutions, and invest them in the field of cultural diplomacy as a soft power.

• Keywords: society, civil, state, dialogue, civilization, power.

المقدّمة:

شهد الحوار الحضاري تطوراً لافتاً في العقدين الأخيرين، بفضل الجهود الوطنية والدولية الرسمية والشعبية، التي ما فتئت تتوسع لتشمل فئات ومجالات عدة، لعل أبرزها المؤسسات والجمعيات الأهلية؛ الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، التي عُرفت واشتهرت في الأوساط النخبوية والسياسية باسم "المجتمع المدني"؛ رغم التضارب أحياناً في مفهومه وأدواره، لارتباطه تاريخياً بمدارس فكرية متعددة وخلفيات دينية وإيديولوجية متعارضة في الشرق والغرب، منذ الثورة التي شهدها الغرب في القرن السادس عشر للميلاد؛ مروراً بمكيافيلي ومنظّري العقد الاجتماعي، ووصولاً إلى جوزيف ناي فيلسوف القوة الناعمة في العقود الأخيرة. وأدى المصطلح دوراً مهمّاً في صياغة سياسات جديدة ونظم شعبية على مسنوى العلاقات المحلية والدولية، تستمد في مشروعيتها منه وتستند في استراتيجياتها عليه. وتجلّت هذه الاختلافات والرؤى في صياغات متناقضة في صيغتي النظرية والتطبيق، مع أن الاتفاق قام على أساس أن نظرية الحكم الحديثة تعتمد على مستويين؛ مستوى السلطة، ومستوى المجتمع؛ المتمثل في كل الهيئات والجمعيات والنخب والوسائل غير الحكومية، حيث يكون عمل المجتمع مكملاً لعمل السلطة وموسعا لها، لتغطية كل الزوايا والمجالات التي تكون محلاً لخطط الدولة واستراتيجياتها.

وقد جاءت الكثير من الأحكام في تراثنا الإسلامي المتعلقة بوظيفة الفئات الاجتماعية؛ عامةً، منها ما يتعلق بـ(الجماعة)، و(المدينة)، و(القوم)، و(الفئة)...، فلم تُحدّد أشكالها، ولم تُصبّ في قالب ضيق، إنما تركت للبيئة الملائمة لكل زمان ومكان، لتحقق ذلك الطابع الاجتماعي الفعال في حياة الأمة، ليكون ذلك ليس في قمة الدولة فحسب؛ إنما في جميع المستويات والمجالات؛ شاملاً لكل جوانب الحياة العامة والخاصة، ومن هنا يمكننا مناقشة المستند الشرعي لمفهوم المجتمع المدني وأدواره، من خلال مبادئ الاجتماع الإسلامي المستخلصة من المرجعية الإسلامية. كما عرف الغربُ "المجتمع المدني" منذ

العقد الاجتماعي، حيث فُتح الباب واسعاً لمستويات أخرى خارج السلطة الرسمية لممارسة ما يُعرف بالإدارة المدنية في إطار ما يضمنه لها هذا العقد، وبذلك فهو شكل اجتماعي جديد وفعال؛ بديل للنموذج الاجتماعي الكنسي.

وعلى كل فإن المصطلح ذو جذور قديمة، يرتبط بتطور الأشكال والعلاقات الحضارية للاجتماع الإنساني منذ العصور المدنية الأولى للإنسان، وقد أعيدت فعاليته في العقود الأخيرة، ارتباطاً بتغيّر مفهوم الدولة والعلاقات الدولية والحوار الحضاري وطبيعة الدور المنوط بكل من المجتمع والدولة، لذلك فمن الصعب تحديد ماهية أو حقيقة معيّنة للمصطلح، وكل ما في الأمر مقاربات متأثرة بالعوامل الثقافية والسياسية والحضارية، قد تكون موضوعية وقد تكون انتقائية في نقل المفهوم، أو متحيّزة، أو مبالغة في قيمته وأثره وشموليته[1].

لذا فمن البديهي؛ أن تكون المواقف متناقضة في التعامل مع مصطلح ومفهوم "المجتمع المدني" من جهتي التفكير والممارسة، فقد يكون مقبولاً شكلاً ومضموناً إذا انفصل عن الرواسب الإيديولوجية والخلفيات الوضعية، وقد يكون مرفوضاً إذا نحَا منحى اختزاليّاً؛ حين يُراد له أن يكون بديلاً للدولة، وقد يكون في موضع الوسائل لا المبادئ؛ حيث الأخذ بالمفيد والصالح على قاعدة المصالح المرسلة، كما هو الشأن عندنا نحن المسلمين؛ مع التفصيل وحسن التنزيل. وبما أننا سنبحث أدوار المجتمع المدني في خدمة الحوار الحضاري، فإنَّ أي إشكال من جهة المفهوم سيرتفع، وسيكون في دائرة الوسائل التي تستخدم لتحقيق المنافع وجلب المصالح للدولة والمجتمع وتعضيد جهود المؤسسات الرسمية التي يعوزها جهد المؤسسات المدنية؛ ثقافية واجتماعية واقتصادية، والتي تستطيع أن تقدم الإضافة والمشورة في صوغ أنماط السياسات ونماذج العلاقات الاجتماعية وأنظمة الإدارة وأشكال المؤسسات التنفيذية في قلب

1. أحمد شكر الصبيحي، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، ص 25.

المجتمع، والتي قد تشكل قوة ناعمة في التأثير على المعلومات والأفكار والقيم والنظم والتقاليد والمعتقدات وتحقيق التواصل الإنساني والحضاري.

وسنناقش مشكلات مهمة؛ أهمها:

ما حقيقة ومفهوم المجتمع المدني، وما الأدوار التي يؤديها تكملة لجهود الدولة ومؤسساتها في موضوع الحوار الحضاري؟ وما النماذج التي يمكن أن يتبلور فيها (الحوار الحضاري) كي يكون له التأثير الفعال؟ وما أشكال الامتداد الحضاري التي يمارسها استجابة لتحديات الواقع؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات، قسّمتُ البحث إلى ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: دلالة ومفهوم المجتمع المدني في السياق المعاصر.**
- **المبحث الثاني: الأسس الشرعية والمؤسسية لعمل المجتمع المدني.**
- **المبحث الثالث: أدوار المجتمع المدني في تعزيز الحوار الحضاري في الواقع المعاصر.**

- **أوّلاً:** الدور الثقافي والاجتماعي للمجتمع المدني في تعزيز الحوار الحضاري.
- **ثانياً:** العمل المدني في مجال الحوار الحضاري باعتباره قوة ناعمة: تطبيق نموذجي.

المبحث الأول:
دلالة ومفهوم المجتمع المدني في السياق المعاصر

يُعتبر كتاب ديفيد هارفي:"حالة ما بعد الحداثة: بحث في أصول التغيير الثقافي" الصادر في الولايات المتحدة سنة 2005م؛ التشريحَ المناسب الحالي لوضعية "المجتمع" ودوره في العالم الحديث والمعاصر[2]؛ حيث تم رصد

2. انظر: ديفيد هارفي، حالة مابعد الحداثة: بحث في أصول التغيير الثقافي، ترجمة محمد شيا، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2005م.

تطوره في مراحل الأزمنة الحديثة التي وُلدت بعد الحرب العالمية الثانية في أوروبا؛ وخاصة فرنسا، حيث قامت حملة ثقافية وإعلامية وقانونية كبيرة لثني السلطات الفرنسية عن قرارها المتعسّف في حق الضابط اليهودي "دريفوس"[3]؛ وهي القضية التي أسهمت في نشوء سلطة المجتمع المدني كواقع لا ينبغي تجاوزه؛ وتم إقرار جديد للعقد الاجتماعي؛ تجسّد في مفهوم "المواطنة" والذي يعني القيم المدنية الجديدة المؤسسة للجمهورية الفرنسية الثالثة، وهي قيم منفصلة كلّياً عن المرجعيات الدينية وعن سلطة مؤسسات الدولة؛ ولذا اكتنف الغموض مصطلحي "المجتمع المدني" و"المواطنة"، لتلبّسهما بهذا الفصل غير المبرر عند الكثيرين، خاصة في الدول الغربية المحافظة والدول الإسلامية، التي درجت تاريخيا على التكامل بين مكوّنات الدولة وعلى ارتباط عمل المجتمع بالمحافظة على وحدة الأمة.

وعودة إلى كتاب "هارفي" "حالة ما بعد الحداثة"؛ فقد رجع لكتاب المثقف والكاتب الأمريكي "جوناثان رابان" والموسوم بـ"المدينة الناعمة"[4] الذي لاقى قبولاً وانتشاراً كبيراً في سبعينيات القرن الماضي، حيث يتحدث الكتاب عن مجتمعات جديدة؛ سِمتها الأساسية الذوبان في المدن الزاحفة؛ فيكفي أن تقرر ما الشكل الذي تريد أن تكون عليه في المدينة فستجد نفسك وفقاً لما قررت[5]. هذه المدن قامت على تجاوز السلطة المركزية المعروفة تاريخيّاً في نظام الحكم السياسي، إلى التوافق الطبقي والفئوي والعمالي ولذا فقد أُعتبر الكتاب تأريخاً لنوع جديد من المجتمعات المدنية لا تتأسس على المواطنة أو ممارسة السلطة، وإنما تتأسس على الحرية المطلقة في الخصوصيات والسياسة والاجتماع والثقافة؛ كمظهر من مظاهر ما يصطلح عليه في منظومة ما بعد الحداثة: "مقاومة المركزيات"، ولذا برز ما نعرفه اليوم بـ: المثقف، والمفكر

3. انظر: محمد الشيخ، المثقف والسلطة: دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 1991، ص 14. وكرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، مرجع سابق، ص 252.

4. انظر: ديفيد هارفي، حالة مابعد الحداثة، المرجع السابق، ص 19.

5. المرجع نفسه، ص 21.

الحر، والجمعوي، وسيدة المجتمع... على حساب الرموز التقليدية: السياسي، ورجل الدين، والمؤرخ، والمناضل أو المفكر الملتزم.

لذلك فمن الصعب كما ذكرنا في المقدمة العثور على تعريف حدي يُبرِز ماهية مصطلح "المجتمع المدني" أو يؤصّل نظريّاً للمفهوم، ومع هذا برزت محاولات في الشرق والغرب، فكّكت التراكمات التاريخية والترسّبات الإيديولوجية، وأرادت إعطاء تعريف علمي يتجاوز الانتقائية في النقل، أو التحيّز، أو المبالغة في قيمة المفهوم.

فمن ناحية نشأة المفهوم، يَعتبِر بعض الباحثين أن مفهوم المجتمع بالاعتبار الغربي الذي يجعله أحياناً في مقابل السلطة السياسية؛ دخيلٌ على التراث الفكري والسياسي العربي الإسلامي؛ فلم يظهر في الخطاب السياسي إلاّ في العقود الأخيرة، وأن المصطلح بمعناه الحديث مرتبط بواقع التحوّلات والتطوّرات السياسية والفكرية في العالم الغربي الصناعي الرأسمالي[6]. وعند آخرين فإن المجتمع المدني في الغرب تَكوَّن نتيجة عملية نجح فيها الغربُ ودوله عن طريق الشبكات الاجتماعية الجديدة الكبيرة المسماة "مُدناً"؛ المركّبة من قوى ثقافية وعمالية ونسائية وإعلامية، بالتزامن مع تفكيك المقدّس؛ وما صاحبه من نفكّك الروابط الدينية والعقدية والأسرية والقبلية، حيث كانت النتيجة القضاء على أثر وتأثير هذه المنظومات والكيانات وعلى فاعليتها في حركية المجتمع وعلاقة الفرد بالفرد أو الفرد بالجماعة الصغيرة أو الكبيرة، وتم التأسيس لعلاقات جديدة قوامها كما ذكر "رابان" في كتابه "المدينة الناعمة" الرابطة المهنية والوظيفية والمادية، مع إشباعها بمنظومة ثقافية وقيمية مرتبطة بالمدن وقواها[7].

هذا على مستوى نشأة المفهوم وأصله، أما إن عدنا للدلالة اللغوية والاصطلاحية، فسنجد أول إشكال في طريق تحديد الدلالة؛ مسألة ترجمة

6. انظر: طارق عبد الله، المجتمع المدني ونظام الوقف بين المرجعية الإسلامية وأزمة العلوم الاجتماعية، مجلة الكلمة، بيروت، عدد 31، السنة الثامنة، ربيع 142هـ، ص 56. وانظر: رضوان السيّد، المدنية والحضارة في أفكار الإسلاميين المحدثين والمعاصرين ، مجلة التسامح، عدد 26، 2009م، ص 166.

7. انظر: ديفيد هارفي، حالة ما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص 21.

المصطلح؛ فالترجمة عن الانجليزية تختلف دلالتها عن الترجمة عن الفرنسية وهكذا... ففي الإنجليزية يُعرف "Governmental Organizatons" باسم المنظمات غير الحكومية، كمنظمة حراك اجتماعي جديدة يمكن أن تسد الفراغ الذي بدأ يظهر مع تخلي الدولة عن جزء من مسؤوليتها الاجتماعية والحاجة الملحة لحل عديد المشاكل الحياتية للأفراد[8]. ولهذا الإطلاق دلالة قوية من حيث مقابلته لعمل الدولة؛ فالصيغة غير الحكومية لهذه المؤسسات تعني- فيما تعنيه- قيامها على مستوى فعل اجتماعي يختلف نوعياً عن المستويات التي تشغلها الدولة، وحتى القطاع "The Third Sector" الخاص، ولذلك تم التأكيد على هذا النمط من خلال مصطلحات أخرى؛ كالقطاع الثالث (في مقابلة بين القطاعات الثلاثة في الأنظمة الرأسمالية الثلاثة: الخاصة - والحكومية - والتطوعية. كما يعبّر عن المفهوم للدلالة على انتفاء النفعية الضيقة الباحثة عن الربح الخاص.كما يُعبّر عنه: "Non Profit Sector".أما النقل عن الفرنسية؛ فإنه منقول عن مصطلح: "La société civile"، ويشترك جذره مع ألفاظ أوروبية ولاتينية عديدة؛ منها: [9] Cité- Civil- Civique- Citoyen.

ونلاحظ من جهة أخرى في لغتنا العربية؛ مصطلحات: المدينة، والمدنية، والتمدّن، التي تأخذ مفهوماً غير المنقول عن اللغات اللاّتينية؛ حيث يأخذ فيها المصطلح معنى المواطنة، ويخرج بذلك عن المدنية والمدني، ليستعير الوطن أساساً للاشتقاق[10]، مما يعني أن الدلالة لا تنحصر في إشكال اللغة فقط، بل تتعدى إلى الإشكال المفاهيمي المتأثر بالبيئة والمحيط والحضارة؛ حيث يرتبط مصطلحَا "المواطنة والمواطن" بنشأة الدولة القطرية الوطنية المرتبطة هي

8. انظر: عزمي بشارة، المجتمع المدني: دراسة نقدية مع إشارة للمجتمع المدني العربي، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، 2000، ص 13. وطارق عبد الله، المجتمع المدني ونظام الوقف بين المرجعية الإسلامية وأزمة العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص 57.

9. Mathieu Amourroux, La société civile globale: une "chimère insaisissable à l'épreuve de la reconnaissance juridique , Lex Electronica, vol.12 (Automne / Fall 2007.

Mathieu Hall, Accounting, non-governmental organization and civil society, Press publications, 2017, p3.
انظر أيضاً: وجيه كوثراني، مشروع النهوض العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1995م، ص 86.

10. انظر: المرجع نفسه، ص 86.

الأخرى بعقد اجتماعي توافقي، قُرّر له أن يكون مرجعاً ودستوراً وفق آلية التوافق ومنجزات العقد الاجتماعي[11]. وبذلك فهي تختلف عن دلالة المدينة والمدنية في العربية، التي تعني الحاضرة الكبيرة المأهولة في مقابل البادية؛ فهي تعبير عن نمط سكاني محدّد، كما تختلف عن دلالة المصطلح في الإنجليزية التي تأخذ فيها معنى المنظمات غير الحكومية التطوعية التي تشتغل على نسق غير النسق الرسمي.

ونظراً لوجود أزمة حقيقية في المفهوم، لتأثُّره بالبيئة والنمط والنسق العام الذي وجد فيه المصطلح؛ فإن مركز دراسات الوحدة العربية تبنّى تعريفاً جامعاً في ندوة "المجتمع المدني" عام 1992؛ نصه: "يُقصد بالمجتمع المدني: المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة، وفي استقلال عن سلطة الدولة لتحقيق أغراض متعدّدة، منها أغراض سياسية؛ كالمشاركة في صنع القرار على المستوى الوطني والقومي، ومثال ذلك الأحزاب السياسية، ومنها أغراض نقابية أو عمّالية؛ كالدفاع عن مصالح أعضائها، ومنها أغراض ثقافية؛ كما في اتحادات الكتّاب والمثقفين والجمعيات الثقافية التي تهدف إلى نشر الوعي الثقافي وفقاً لاتجاهات أعضاء كلِّ مجموعة، ومنها أغراض للإسهام في العمل الاجتماعي لتحقيق التنمية"[12].

وبذلك فإن مركز الوحدة العربية الذي يتبنى الطرح القومي رجّح المفهوم الأمريكي والإنجليزي للمصطلح على حساب المفهوم اللاّتيني، وإن كان بعضهم يتبنى مذهب الجمع[13]؛ ومؤدّى ذلك أن هذه المؤسسات لا تستطيع القيام بدورها سوى في إطار ميثاق تعاقدي قائم على المواطنة. ولكن مع هذا الجمع تبقى أوجه أخرى للخلاف؛ خاصة ما تعلّق بمسألة النفعية؛ إذ

11. انظر: كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، مرجع سابق، ص 145.

12. انظر: متروك الفالح، المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية، دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2002، ص 26.

13. انظر: مركز ابن خلدون، صيحة المجتمع المدني، مجلة يصدرها مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، 1988-1995، ص 4، 5، 6.

يعتبر شرط انتفاء النفعية في مضمون المجتمع المدني مقدمةً لإخراج الأحزاب السياسية من منظمات المجتمع المدني، لتَلَبُّسها بطريقة أو أخرى بالمنفعة السياسية في مسعاها للوصول إلى السلطة، ويعني ذلك أنها بديل للسلطة القائمة، بينما مضمون المواطنة والتطوعية قائم على أساس مساعدة السلطة السياسية في جوانب ومجالات قد لا تغطيها، وتحاول تدارك القصور والعجز الذي قد تتركه بعض المؤسسات الرسمية، ولها بذلك حق الاستشارة وتقديم المعونة في الشؤون العامة والخاصة، وهنا أستشهد بنص مفيد للدكتور طارق عبد الله في مقاله الذي يعالج مسألة "التطوعية" والتدارك الذي تقوم به مؤسسات المجتمع المدني؛ قال بعد أن تحدّث عن الهواجس التي قد يُخلِّفها مفهوم المجتمع المدني خاصة في قضية تقديمه كبديلٍ للنظام السياسي والاعتقادي كما ساد دهراً في الغرب: (ولقد طَرحت هذه المواقف دورَ الجهاز الحكومي في إدارة وترتيب العلاقات الاجتماعية؛ وبالتالي البحث في الدور المفترض لباقي سكان "المدينة"... ومحاولة خلق توازن مفترض داخل فضائها، يُعبِّر عن حالة المشاركة في تتبع شؤونها وتحديد اختيارات أفرادها. وفي هذا الإطار العام تبرز الدلالات القوية التي سوف يعكسها التاريخ الاجتماعي في الغرب من حيث تفسير نشوء مؤسسات التطوّع والمسار الذي سلكته والمستوى الذي وصلت إليه. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن فكرة التطوّع وما تفرّع عنها من مسميات ومستويات تنظيمية جاءت أساساً وليدة التغيّرات التي حصلت في التركيبة المجتمعية الغربية، ولم يكن بالتالي مصدرها الفكر المشجّع للعمل التطوّعي. بل على العكس خرج التطوّع باعتباره نقيضاً للتطوّرات الحداثية لحركية المجتمع التي تقوم على التنافر بين الإنسان وأخيه الإنسان، وما تلعبه المنفعة الشخصية في هذه العملية من دور لترتيب العلاقات بين الأفراد والمؤسسات)[14].

14. طارق عبد الله، المجتمع المدني ونظام الوقف بين المرجعية الإسلامية وأزمة العلوم الاجتماعية، مجلة الكلمة، بيروت، عدد 31، السنة الثامنة، ربيع 1432هـ، ص 56.

ومن هنا يمكننا أن نخلص إلى جملة تعاريف للمجتمع المدني باعتبارات محدّدة:

1. باعتبار وجوب انتفاء النفعية، وأن يكون العمل تطوعياً ومكمِّلاً لعمل المؤسسات السياسية الرسمية؛ وبذلك تخرج الأحزاب والجمعيات السياسية من مضمون المجتمع المدني.

2. باعتبار العقد الاجتماعي القائم على مفهوم المواطنة؛ وبذلك يدخل في مضمون المجتمع المدني كل المؤسسات والجمعيات التي تناضل وفق مرجعية العقد المتوافق عليه؛ أي الدستور، فعملها بذلك محكوم بالقانون والدستور المتوافق عليه وفقاً لميثاق المواطنة.

3. باعتبار التناقض مع المجتمع الديني؛ وبذلك فهو انعكاس لفلسفة الحداثة الغربية والأنوار؛ التي رهنت كينونة الدولة والمجتمع والفرد؛ بتحلّلها من المرجعيات الدينية والميتافيزيقية، وأن تكون رابطة المصلحة والمنفعة هي أساس مفهومها، والعلاقات الاجتماعية لا تتأسّس سوى في إطارها، والقيم لا تكون إلاّ منفصلة عن المرجعية الدينية، أي في ما عُرف في فرنسا باللائكية، ثم في أوروبا والعالَم بالعلمانية.

ولا شك أن الاعتبار الأول هو الأرجح والأكثر ملاءمة للصياغات الجديدة في إدارة الشأن العام، بمجالاته الواسعة، ويمكن أن نوطنه في سياق العقد الاجتماعي، فنضم الاعتبار الثاني، ليصبح عمل المجتمع المدني في سياق قانوني لا غبار عليه، ويخدم حقوق المواطن وينهض بالوعي بواجباته، سواء كان على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الدولي. ويتم إهمال الاعتبار الثالث، لعدم توافقه مع المعنى العميق لعمل المجتمع المدني، ولارتباط هذا الاعتبار بسياقات غربية خاصة، أدت إلى مناهضة المرجعيات والقيم الدينية.

المبحث الثاني:
الأسس الشرعية والمؤسسية لعمل المجتمع المدني

يرد لفظ المدينة ومشتقاتها في القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلّم؛ لكن بدلالات غير الدلالات والمفاهيم المعاصرة التي تم عرضها في المبحث الأول، فالمعنى الوارد في القرآن الكريم للمدينة: البلدة الكبيرة الآهلة، ويكاد يكون هذا هو المعنى المحوري للفظ في القرآن الكريم. أما في السنة النبوية، فأهم ما يشتهر هو إطلاق النبي صلى الله عليه وسلّم اسم المدينة على يثرب.

ومن النصوص المهمة الواردة في كتاب الله تعالى والمتحدثة عن بعض الأنماط الاجتماعية غير المقبولة في المجتمع الإسلامي، والتي أسّس عليها علماء السياسة الشرعية الغاية والمقصد من النشاط الاجتماعي أو الدعوي أو الثقافي؛ قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) (التوبة، الآية 107-108)

لقد تكلّم المفسّرون حول هذه الآية، وحاول بعضهم بناء نظرية عامة في الشكل الاجتماعي الإسلامي؛ مستندُه هذا النص وأمثاله في القرآن والسنة، وتجربة الرعيل الأول رضي الله عنهم؛ وفقاً لفعاليات هذا الاجتماع، فقد كان مجتمعاً تحكمه مرجعية عليا، ويعوّل في نشاطاته على شبكة من الفعاليات الأخلاقية والعلمية والتجارية والزراعية والرعوية، وإلى حدّ ما فعاليات إدارية، خاصة في عهد عمر "رضي الله عنه" فما بعد، لكن تخترقه أيضاً فعاليات ذات مصالح خاصة كانت تعمل ضد المصلحة الإسلامية، وتسعى باسم الدين لهدم الدين.

ورغم أن وثيقة النبي صلى عليه وسلّم في المدينة رسمت النموذج الأمثل

للشكل الاجتماعي الإسلامي[15]، إلاّ أن التطورات السياسية اللاّحقة التي ظهرت بعد وفاته صلى الله عليه وسلّم، وكذا تفرُّق الصحابة في الأمصار، وتوسّع الدولة الإسلامية إلى حدود كبيرة، ودخول أمم من مختلف الأجناس الإسلام؛ أسهم في ظهور نماذج جديدة من الفعاليات الاجتماعية، وصل الأمر ببعض الدارسين في رصده لتنوّع هذه الفعاليات أن يطرحَ سؤالاً استفهامياً: هل الاجتماع الإسلامي اجتماع أمة، أم اجتماع ملّة؟[16] ويقصد بذلك أن تشكيل المجتمع الإسلامي إمّا أن يكون اجتماعاً مليّاً عقديّاً خالصاً، لا يتضمّن من هم على غير ملته وعقيدته، أو هو اجتماع عموم من ارتضى العيش في جنباته، وفي ظل قانونه العام الناظم لعلاقات من فيه من عموم الأفراد والجماعات؛ أيّاً كان دينها أو عرقها أو لونها.

إن وثيقة النبي صلى الله عليه وسلّم قد فصّلت في أن هذا الاجتماع اجتماع عموم، أي باصطلاح ما يُعرف اليوم اجتماع مدني؛ محكوم بمرجعية الإسلام مع عدم الوقوع في المنحى الثيوقراطي الذي يفصّل مصالح الناس وعلاقاتهم العامة في الدولة على أساس الهوية الدينية: (يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم؛ إلاّ مَن ظلم وأثم)[17]، يقول لؤي صافي في كتابه العقيدة والسياسة: (أعلنت الوثيقة أن الأمة الإسلامية المتشكلة؛ مجتمع سياسي منفتح لجميع الراغبين في الالتزام بمبادئه وقيمه، والنهوض بتبعاته، وليس مجتمعاً منغلقاً تقتصر عضويته والتمتع بحقوقه وضماناته على فئة مختارة)[18]. وقد حدّدت الوثيقة مبادئ لهذا الاجتماع؛ من أهمها:

15. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وجماعته، دار الكنوز الأدبية، دون تاريخ، ص 501.

16. أنور أبو طه، الاجتماع الإسلامي: اجتماع أمة أم اجتماع ملة؟ مجلة الكلمة، بيروت، عدد 31، السنة الثامنة، ربيع 1422هـ، ص 120.

17. ابن هشام، المصدر السابق، ص 501.

18. لؤي صافي، العقيدة والسياسة: معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة، ط 2، 1419هـ، 1998م، ص 104.

1. المواطنة حق من حقوق الله، لذلك يكفل الاجتماع الإسلامي الحق للجميع في العيش بسلام وأمان، ما داموا راضين وملتزمين بالنظام والقانون الساري في الدولة.
2. تقرير العدل والمساواة بين جميع مواطني دولة الإسلام، ومكوّنات المجتمع الإسلامي.
3. الاحتكام إلى المرجعية العليا؛ في كل تنازع وخصام وتخالف، وقبول مبادئ النظام الإسلامي.
4. أن من تمام المواطنة والانتماء، الالتحاق بالنظام الإسلامي؛ عبر التعايش الإيجابي والمساهمة العملية لتحقيق مقاصد وأهداف الدولة.
5. الأمان التام وعدم الإيذاء والملاحقة لأهل المدينة داخلها وخارجها، ما داموا ملتزمين ببنود الوثيقة.

ومن هنا يمكننا مناقشة المستند الشرعي لمفهوم المجتمع المدني بالاعتبارات الثلاثة التي رأيناها، فمن خلال مبادئ الاجتماع الإسلامي المستخلصة من وثيقة المدينة ومثيلاتها يمكننا ترجيح الاعتبار الأول في مفاهيم المجتمع المدني الذي يتّسق وينسجم مع المرجعية الإسلامية، حيث التكامل بين المبادئ والغايات والمصالح، وحيث يكون المجتمع المدني امتداداً للدولة من حيث عمله التطوعي غير الربحي والذي يقوم بإنماء الفرد والأسرة والمجتمع، وتكون الدولة نابعةً من المجتمع والأفراد متساوين في الحقوق والواجبات؛ كما عبّر ابن حزم عن سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بُعث رسول الله بعثاً مستوياً لا تفرقة بين رجل ولا امرأة، ولا بين عبد أو حر؛ فالكل عند الله سواء)[19].

ويُعد ابن خلدون أولَ مبتدع في التاريخ الإسلامي لمصطلح "المواطنة"؛ حيث عبّر عنه في قوله: (وقد وقع في صدر الإسلام الانتماء إلى المَوَاطِن؛ فيُقال

19. ابن حزم الأندلسي، الأحكام في أصول الأحكام، نشر زكريا علي يوسف، القاهرة، ص 676. والنص مشار إليه في كتاب: في الفقه السياسي الإسلامي: الشورى العدل المساواة، فريد عبد الخالق، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 2007، ص 224.

جند قنسرين، جند دمشق، جند العواصم. وانتقل ذلك إلى الأندلس، ولم يكن لاطّراح العرب أمر النسب، وإنما كان لاختصاصهم بالمَوَاطن بعد الفتح حتى عُرفوا بها، وصارت لهم علامة على النسب يتميّزون بها عند أمرائهم، ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم، وفسدت الأنساب بالجملة، وفقدت ثمرتها من العصبية)[20]؛ وهو اقتباس من فكرة أرسطو في نظام الحكم القائم على المواطنة بدل الرعية أو الأفراد؛ فقد تحدّث أرسطو في كتابه "السياسة" عن فضيلة المُواطِن التي لا تلتبس تماماً بفضيلة الفرد؛ فالمواطن كالملاّح هو عضو جماعة؛ كما في السفينة، كل واحد له مهمة يؤديها؛ بأن يكون أحدهم جذافاً، والآخر رُبانًا، وهذا مساعداً وذاك مكلّفاً بعمل آخر، بما يرتّب لكل منهم فضيلة خاصة، ويشتركون جميعاً في تحصيل غاية مشتركة ؛هي سلامة السفينة التي يقيمون بها والتي يسعى كل واحد منهم إليها على السواء[21].

ويعني عقد المواطنة عند ابن خلدون؛ الشراكة التامة في الوطن والديار، واستحقاق كل أفراد الأمة للحقوق والواجبات على السواء؛ في كل الشؤون الدينية والدنيوية[22]. ولا يعني ذلك أن ابن خلدون قد طرح فكرة الوطن والمواطنة بديلاً عن مفهوم الأمة، ولكنه يشير إلى الواقع الذي كان يعيشه المسلمون في تعدد دولهم في عصره، ومن ثمة حاجتهم إلى مفهوم جديد يناسب البعد الاجتماعي الإقليمي للدولة؛ لأن الأمة في نظره تشير إلى الوحدة الدينية الشاملة للمسلمين دون وجود الآليات التي تحقق الوحدة السياسية أرضاً، وذلك يؤدي إلى تفكك عرى المبادئ السياسية الحاكمة، لذلك طرح مفهوم المواطنة بديلاً عن العصبية وليس بديلاً للأمة؛ فالوحدة الاجتماعية بين المسلمين تبقى وإن تعدّدت دولهم.

أما الإطار العام الذي يطرح فيه عقد المواطنة؛ فهو نظريته في العمران البشري وتنوع مجالاته؛ وأن تطور الدول مرهون بوحدة الجماعة السياسية

20. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الوحد وافي، طبعة لجنة البيان العربي، 1962، ص 882.

21. انظر: أرسطو طاليس، السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، منشورات الجمل، بغداد - بيروت 2009م، ص 195.

22. ابن خلدون، المقدمة، ص 882.

والاجتماعية والثقافية، وأن العمل المدني حق مشترك بين الأجيال؛ أي إنه يدعو إلى قيام مؤسسات تسهم في إدارة شؤون الدولة على أساس تمثيلي؛ بحيث يغطي التمثيل كل الفئات الراشدة. وهي لفتة مهمة في هيكلة المجتمع المدني وأهل الاختيار وهيئات النصيحة، لتعبير كل فئة عن رأيهم وتطلعاتهم وقرارهم.

ويمكن التأكيد على أن مفهوم المواطنة عند ابن خلدون، والذي يلتقي مع مفهوم المجتمع المدني بالاعتبار الأول، قد أخذ بُعداً سياسيّاً واجتماعيّاً وفلسفيّاً، ابتعد به عن المفهوم البسيط في مجرد النشاط والتكافل وتقديم النصيحة وإبداء الرأي. وذلك الذي سيعتمد عليه نظار عصر النهضة في بلورة رؤية مؤسساتية في مشروع الإصلاح الإسلامي؛ وقام النقاش فيه بالأساس حول طبيعة الدولة والدستور الحاكم (مشروع خير الدين التونسي)، وفكرة الجامعة الإسلامية لجمال الدين الأفغاني كآلية للتعاون بين الشعوب والمجتمعات الإسلامية.

بقي لنا أن نشير إلى أن التنظير للمجتمع المدني وتطوير مفاهيمه؛ استتبعه النظر في جملة مفاهيم ومصطلحات ووسائل، لتطبيق مثالي لهذا الاجتماع؛ كمصطلح الصفوة، وأهل الاختيار، وأهل الحل والعقد، وأهل النصيحة، وكذا مهامهم وشروطهم. وكانت النصوص الواردة في شروط الصفوة وأهل الاختيار وأهل الحل والعقد وأهل الرأي والنصيحة، غير قطعية وتحتمل تأويلات كثيرة سنرى بعض أمثلتها بعد حين؛ فأهل الاختيار عند البعض هيئة سياسية وليست اجتماعية؛ يحق لهم المداولة في القضايا الكبرى المصيرية، لذلك تم التشدّد والمغالاة في شروط عضويتهم؛ لكن البعض الآخر كالفارابي والفلاسفة يرون أن أهل الاختيار هم صفوة المجتمع الذي يعبّرون عن توجهاته العامة وإرادته[23]، لذلك كانت للشروط السابقة أكثر من قراءة ومن زوايا متعددة، وقد تجسّدت فعلا في التاريخ الإسلامي، فأهل الاختيار من منظور الفلاسفة المسلمين غير منظور أهل الحديث وهكذا. فالفارابي مثلاً وهو يتحدث عن أهل الحل والعقد

23. انظر: الفارابي، فصول منتزعة، دار المشرق، بيروت، 1971م، ص 65.

يضع تقسيماً للمراتب؛ يبدأ بالفلاسفة ثم الجدليين ثم الفقهاء ثم أهل الكلام ثم ممثلي الجمهور أو العامة[24]. وفي مكان آخر يتوسّع في تحديداته ليرى أن أهل الإرادة (مصطلح فلسفي للفارابي يعبر به عن أهل الاختيار أو فعاليات المجتمع المدني) هم: الأفاضل ذوو الألسنة والمقدّرون والمجاهدون والماليون[25].

وتلك صورة واضحة في غموض مفهوم المجتمع المدني تاريخياً وغموض موقعه المؤسساتي؛ وقد كانت المؤثرات التاريخية والسياسية والإيديولوجية أكبر عامل في توسّعه أو ضيقه، وبرزت خلال ذلك مصطلحات عديدة منذ النشأة الأولى من أبرزها: (الصفوة، أهل الاختيار،أهل الحل والعقد، أهل الإرادة، أهل الرأي والنصيحة)؛ مما يؤكد أن المسألة اجتهادية خالصة تخضع للتطور في إطار المبادئ العامة للشريعة الإسلامية وقوانين البلد، وأن تجاوز التركّز الاصطلاحي من جهة، والنظر في كيفيات وآليات العمل والممارسة من جهة أخرى من المسائل المشروعة بل الملحّة لبناء آفاق جديدة في السياسة والقضاء والإعلام والتعليم؛ يكون للمجتمع الدور الأكبر في تجسيدها؛ وفقاً لخصائص ومميّزات المجتمع الإسلامي وظروف كل بلد. يقول الدكتور طارق عبد الله: (لقد شهد الاجتماع الإسلامي خلال فترات مختلفة من تاريخه نماذج متعدّدة للتنافس بين إرادة المركزة التي حملت لواءها أجهزة الدولة السلطانية وإرادة مؤسسات اجتماعية أخرى؛ اختارت الارتباط بمفهوم فضفاض للمجتمع والالتحام بشرائحه الواسعة؛ مما أسّس لتعدّدية اجتماعية لم تلق حظّاً كبيراً من البحث والدراسة إلى حد الآن. فعلى سبيل المثال مثّلت طبقة العلماء - في مجملها- هذه النزعة، ولم تفلح الأجهزة الرسمية في تأسيس تعليم رسمي إلاّ في فترات متأخّرة جدّاً، وبقي القطاع التعليمي ولحقب طويلة خارج إرادة المرْكزة؛ مما سهّل استقلاليته ودعم دوره كوسيط اجتماعي بين السلطة وباقي المجتمع)[26].

24. المصدر نفسه.

25. الفارابي، السياسة المدنية، دار المشرق، بيروت، 1964م، ص 75.

26. طارق عبد الله، المجتمع المدني ونظام الوقف بين المرجعية الإسلامية وأزمة العلوم الاجتماعية، مجلة الكلمة، بيروت، عدد 31، السنة الثامنة، ربيع 1422هـ، ص 70.

فإذا صفّينا المصطلح من الخلفيات الفكرية الغربية، وأعطيناه البعد الشرعي والمؤسسي الذي جُسّد في الممارسة والخبرة الإسلامية، ثم في تقنين علماء الاجتماع ومفكري الفقه السياسي الإسلامي؛ أسهمنا في إنشاء أذرع متعددة للدولة والمجتمع؛ تسهم في التنمية البشرية والإنماء الحضاري والتربية النموذجية، بدل الصراع وإثارة الشبهات ومحاولة تفكيك القيم والأخلاق.

ومن أهم هذه الضوابط التي يمكن أن تحكم عمل المجتمع المدني ما يلي[27]:

1. الإقرار بسيادة مبادئ الهوية الوطنية والقوانين الأصيلة، وعدم استبدالها أو تجاوزها، حتى لا تكون النتائج بعكس المبادئ.
2. العمل التطوعي في إطار مفهوم العمران الحضاري، وعدم الإضرار بالدولة والمجتمع؛ أي أن لا يكون المجتمع المدني بديلاً للدولة.
3. أن يكون مفهوم المجتمع المدني جزءاً من مفهوم الأمة، حيث لا يكون بديلاً له، فيتشتّت المجتمع.
4. الإقرار بالتنوع والتعدد الخادم للمصلحة الجماعية في إطار الوحدة الوطنية والعقد الاجتماعي.

المبحث الثالث:

أدوار المجتمع المدني في تعزيز الحوار الحضاري في الواقع المعاصر

في مضامين مفاهيم المجتمع المدني التي رأيناها في المبحثين السابقين؛ تنبثق مهام وأدوار متعددة لهذا المجتمع، ليصبح قوة مكملة لجهود مؤسسات الدولة الرسمية، إقليمية أو دولية، ولعل الأدوار التي يمكن أن يؤديها في مجال الحوار الحضاري من أكثرها تأثيراً، لعلاقة الحوار الحضاري بعناصر حضارية مهمة، مثل التعايش والتفاهم والأمن والسلم والازدهار، ليصبح بذلك قوة ناعمة

27. انظر: لؤي صافي، العقيدة والسياسة، مرجع سابق، ص 102.

تتأسس على الجاذبية والتأثير النفسي وبمقدورها تغيير طبيعة القوة التي تعتمد الصلابةَ والإكراه والمساومة، وهي القيم المرتبطة بالقوة الصلبة.

أولاً: الأدوار الثقافية والاجتماعية للمجتمع المدني في سياق تعزيز الحوار الحضاري

إن الموقف الشرعي والمؤسسي من مفهوم المجتمع المدني الذي عرضناه سابقاً، موقفٌ عملي؛ يأخذ بالجانب التطبيقي في مسألة إنماء المجتمع ومساعدة الدولة بطريقة تطوعية غير ربحية؛ بما يزيد من تلاحم فئات المجتمع وطبقاته، والتنافس الشريف في تنمية كل جناح لقطاعه، كما أنه قد يكون له دور سياسي في إطار النسق المؤسساتي وفقاً لمبدأ الشورى؛ وهو ما يناقض المفهوم الليبرالي الذي يرى في نشاط المجتمع المدني تقزيماً لدور الدولة السياسي والاجتماعي[28]. كما يقبل فكرة المواطنة بالطرح الخلدوني[29] الذي يجعلها امتداداً لمبادئ الإسلام في العدالة والمساواة وتنمية المجتمع، واستحقاقهم لكل الحقوق والواجبات سواء بسواء في شتى الشؤون، وتحقيق الانسجام والتعايش بين أفراده.

وقد وجدت هذه الأفكار طريقها للشرح والمقارنة والتطبيق؛،لعل في بعض التجارب المعاصرة خير مثال على ذلك[30]؛ حيث تم قبول فكرة النقابات أو الجمعيات أو الاتحادات في معظم دول العالم الإسلامي، فقد أصبح بالإمكان رؤية نماذج حية لمجتمع مدني إسلامي لا يتعارض مع مبادئ الإسلام ولا يصطدم برؤية الدولة الوطنية ولا يكون بديلاً لها، وفي الوقت نفسه يقوم بدور فعال في تنمية المجتمع ومعاونة السلطة السياسية، وتجميع الطاقات

28. Mathieu Amourroux, La société civile globale: une “chimère insaisissable à l’épreuve de la reconnaissance juridique, Lex Electronica, vol.12 (Automne/ Fall 2007), p.08.
حسام شحادة، المجتمع المدني، نشر بيت المواطن للنشر والتوزيع، دمشق - سورية، ط 1، 2015، ص 12.

29. انظر: المبحث الثاني من هذه الدراسة.

30. انظر: ممدوح سالم (محرر)، المجتمع المدني ودوره في الإصلاح: أعمال الندوة الإقليمية حول المجتمع المدني في البلدان العربية ودوره في الإصلاح، الإسكندرية، يونيو 2004، نشر المنظمة العربية لحقوق الإنسان، القاهرة، ط 1، 2004، ص 97.

والإمكانات، وأداء النصيحة وإبداء الرأي، مع الالتزام بالقانون والخضوع لسلطة القضاء وقبول الرقابة التي قد لا يستسيغها العقل الغربي باسم الحرية المطلقة. ولا شك أن المجتمع المدني سيؤدي أدواراً كبيرة في الحوار الحضاري باعتباره المجال الأكثر ارتباطاً بفئات هذا المجتمع وعناصره، خصوصاً عند التقيّد بالمفهوم التأصيلي الذي رجّحناه، حيث يمكن لعمل المجتمع المدني أن يكون إيجابياً وفاعلاً ومتماشياً مع رؤية ومصالح الدولة ومصالح المجتمعات على أن لا تطغى عليه المنفعة السياسية.

والتقسيم التراثي للمجتمع المدني مبني على نظرة عميقة لبنية المجتمع والدولة، حيث بروز الفئات التي تشكّل تأثيراً مهمّاً وبالغاً في توجيه السياسات الثقافية والاجتماعية، وفي مقدمتها؛ موضوع "الحوار الحضاري"، ويمكن أن نجعل المؤسسات والجمعيات الأكثر ملاءمةً للقيام بأدوار رائدة في نشر ثقافة التعايش والتسامح والسلام بين الحضارات والمجتمعات، وتؤدي أدواراً تثقيفية وتعليمية ترتقي بجهود الدولة ومؤسساتها الرسمية، وذلك بقيامها بمهام الدبلوماسية الثقافية باعتبارها قوة ناعمة[31]، وتحقيق التعايش والسلام باعتبار قوة الاطمئنان الجماعية التي يتم استثمارها في مجال الحوار الحضاري ومن ثم الوصول إلى الأمن والازدهار، ويمكنها أيضاً التأثير على المعلومات والأفكار والقيم والنظم والتقاليد وتطويرها أو الحفاظ على أصالتها، وغيرها من جوانب الثقافة، بقصد تعزيز التفاهم المتبادل، مع الإسهام في تراجع الطابع المادي التعاقدي في العلاقات الذي كرّسته العولمة المادية والفلسفة الاستهلاكية، وترسيخ الطابع المعنوي والنفسي الأصيل، بمعنى سيادة القيم المعنوية، وهو ما يتيح تحويل الطاقة الثقافية إلى قوة نفسية دافعة، بإمكانها إبراز صورة إيجابية في وعي المتلقي عن حضارة وطن ما.

والحوار الحضاري، هو التبادل السلمي للأفكار والمعارف والمعلومات بغرض التواصل والاستكشاف، فمفهومه يتأسس على الدلالة العميقة للحوار،

31. سيأتي الحديث عن مصطلح القوة الناعمة في المبحث الثالث.

من حيث هو علاقة تواصلية متكافئة بين طرفين مختلفين لتحقيق الاستكشاف والتعارف والتعايش، ويمكن أن نعدّه بتعبير آخر وحسب خلاصات المفكر الألماني "هانس كوكلر" انفتاحاً مباشراً متبادلاً بين طرفين (الذات والآخر) للتعرف على الفضاء المشترك"[32]، فهو بذلك يبتعد عن المناظرة والجدل والصراع، لأن الجدل أو الصراع يقوم على مبدأ التنافي والتداعي وإفحام طرف لآخر وانقطاع أحدهما ولا يتحقق بينهما مجال للاستكشاف والتوجيه والتفاعل[33]، فلا وجود لعلاقة تواصلية، ومن ثمَّ يختلف كلياً عن الحوار في الرسالة والهدف، لأن الحوار يؤول إلى التعاضد والتعاون والتحالف في أمور متفق عليها، تكون في الغالب الأعم ناشئة عن تواصل أثمر تعارفاً وتفاهماً. ولذلك، فإن من أهم ثمرات الحوار الحضاري ولوازمه التي لا تنفك عنه في الغالب، تحقُّق الذات الإنسانية والشعور بقيمتها الفردية والجماعية، وتحقيق التواصل الإنساني الذي يفرز بدوره المثاقفة الحضارية وجلب المنافع والمصالح المتبادلة وإرساء السلم الاجتماعي المحلي والإقليمي والعالمي.

وقد تجسّد الحوار الحضاري اليوم بعد مراحل عدة مرّ بها في ما تم الاصطلاح عليه بتحالف الحضارات، وبروز دور الدول والمؤسسات الدولية، كالأمم المتحدة، من خلال تأسيس المفوضية السامية لتحالف الحضارات سنة 2005، وتم تكييف قضاياه تكييفاً سياسياً وقانونياً، ليصبح قابلاً للتفعيل والتطبيق والتزام الدول بمنظومته، وتحددت جملة أهدافه في هدف عام، تمثّل في السعي إلى تحسين التفاهم والعلاقات التعاونية بين الحضارات والأمم والشعوب عبر الثقافات والأديان، والمساعدة في مواجهة القوى التي تغذّي الاستقطاب والتطرف، مع أهداف جزئية، من أهمها: تطوير شبكة من الشراكات مع الدول والمنظمات الدولية، وجماعات المجتمع المدني وكيانات القطاع الخاص، التي

32. هانس كوكلر، تشنج العلاقة بين الغرب والمسلمين: الأسباب والحلول، نشر مطبعة جداول، بيروت، 2013، ص 148.

33. انظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط 2، 2000، ص 55-56.

تشارك تحالف الحضارات في الأهداف، من أجل تعزيز تفاعلها وتنسيقها مع منظومة الأمم المتحدة[34]. واشتملت موضوعاته أربعة مجالات مهمة، هي[35]:

1. مجال التعليم وإصلاح المناهج التعليمية وتطويرها المستمر لمعالجة الصور النمطية وبناء شخصية متوازنة.
2. قضايا الهجرة، وحقوق الأقليات.
3. الإعلام ودوره في نبذ الصور النمطية عن الآخر والحد من الكراهية وتعزيز التعايش.
4. الشباب، وسبل توجيههم وقيادتهم وتكوينهم.

وقد كان للمجتمع المدني النصيب الأوفر في شراكات الأمم المتحدة والدول، ومن ثم الإسهام في الارتقاء بمجالات العمل السابق ذكرها، ويمكن الإشارة إلى أهم فعالياته والتي تتماشى مع ما أُصطُلح عليه تراثياً بأهل الصفوة والاختيار والنصيحة، الذين يمكن لهم تقديم المشورة للدولة والمساعدة الثقافية والاجتماعية والعلمية، وتسهم بذلك في تنمية المجتمع، وأهمها ما يلي:

1. الجمعيات والمؤسسات الأكاديمية والثقافية والفكرية.
2. المؤسسات الدينية.
3. مؤسسات الإعلام.
4. الجمعيات العمالية (تضم الموظفين والعمال في مختلف القطاعات المهنية، وأصحاب المشاريع، والوسطاء... وغيرهم من أصحاب المهن).
5. الجمعيات النسائية.
6. المؤسسات الخيرية ومؤسسات التكافل الاجتماعي.

34. انظر: الأمم المتحدة، تحالف الحضارات: خطة التنفيذ (2007-2009)، منشورات الأمم المتحدة (https://www.unaoc.org/wp-content/uploads/implementation_plan)، ص 4.

35. انظر: المرجع نفسه.

وانتقل بذلك المجتمع الدولي ممثّلاً في النخب الفكرية والمنظمات والمؤسسات الدولية والإقليمية ذات الاهتمام المشترك، من مرحلة الحوار التي كانت تقتضي البدء بنشر ثقافة الحوار في مختلف الأوساط وزرع الثقة به في شتى المنتديات والمحافل وشدّ الانتباه إلى أهميته في التقريب بين وجهات النظر المتباينة وفي تحقيق التقارب بين المجموعات الحضارية والثقافية المتعددة التي تشكل الأسرة الإنسانية؛ إلى مرحلة التحالف بين الحضارات الذي يتطلب إقامة تعاون حضاري على أسس من الاحترام المتبادل والحرص على المصالح المشتركة، واستناداً إلى القوانين الدولية التي تساوي بين الدول، وتكفُل الحقوق المتساوية للأمم والشعوب، وتضع الضوابط لاستتباب الأمن والسلم في العالم. وقد استجابت المبادرة التي أعلنها الأمين العام للأمم المتحدة السابق "بان كي مون" بإطلاق نداء تحالف الحضارات، قصد تحقيق إجماع واسع بين الأمم والثقافات والأديان حول مبدأ أساسٍ: أنّ جميع المجتمعات تتكافل وتترابط فيما بينها فيما يتعلق بتطورها وأمنها وفي الأمن البيئي والرفاء الاقتصادي والمالي[36].

ويمكن أن نشير إلى نموذج ناجح قامت به مؤسسات المجتمع المدني الدولي، أثمر قوانينَ صارمة في موضوعات حساسة، فقد تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع بتاريخ 10 تشرين الثاني 2009 مشروع القرار المتعلق بمبادرة تحالف الحضارات والذي تقدمت به 96 دولة[37]، وتتعلق أهم بنود مبادرة الأمم المتحدة باحترام المقدسات والرموز الدينية وممارسة الشعائر وحماية الرموز الدينية في واقع القانون الدولي وتحالف الحضارات، وهي هي كل المبادئ والمعتقدات والشخصيات المقدسة ونمط التدين وأشكاله، فيعالج القانون الدّوليّ التعصّب الدّينيّ والأشكال الأخرى من التّحامل والتّعصب

36. انظر: سوزان دوغلاس، تحالف الحضارات: قاعدة بحوث لتقرير الفريق الرفيع المستوى، نشر أمانة تحالف الحضارات بالأمم المتحدة، 2006، (https://www.unaoc.org/repository/thematic_education)، ص 3.

37. انظر: موقع وزارة الخارجية التركية التي تقدمت بالمبادرة رفقة إسبانيا بعنوان: سياسة خارجية مبادِرة وإنسانية، قرار الجمعية العامة في الأمم المتحدة، https://www.mfa.gov.tr/medeniyetler-ittifaki-girisimi-ar.ar.mfa

بوصفها خطابَ كراهية. ويدعو العهدُ الدّوليّ للحقوق المدنيّة والسّياسيّة على سبيل المثال الحكوماتِ لحظرِ "الدّعوة إلى الكراهية القوميّة أو العنصريّة أو الدّينيّة التي تشكّل تحريضاً على التمّييز أو العداوة أو العنف"، وقد وَرَد في المادة (19): "من الأنسب حظر أشكال معيّنة من خطاب الكراهية، غير أنّ تقييد النّقاش في القضايا الخلافيّة، بما في ذلك الدّين، لن يعالج المشاكل الاجتماعيّة الكامنة وراء التّحامل والتّعصّب، والتي تقوّض المساواة. يحتاج الأمر بدلاً من ذلك إلى نقاشٍ مفتوحٍ حول هذه القضايا للتّعريف بالضّرر الذي قد يسبّبه التّحامل والتّعصب، ولمحاربة القوالب النّمطية السّلبيّة (أو التّعميم الزائد)"[38]. ولمعالجة الأسباب الجذريّة للتعصّب، بادرت بعض هيئات المجتمع المدني الدولي[39] إلى اقتراح مجموعةٍ أوسعَ من التّدابير السّياسيّة، مثل تكثيف التّعريف بالتّسامح والتّنوّع والحقوق المرتبطة بهما وتحديد دقيق لمفهوم الحرية وبيان حدودها، وقد أدّت هذه الاقتراحات إلى تبني مجلس حقوق الإنسان في الأمم المتّحدة قراراً تحدّث عن ذلك، بشكلٍ بنّاء عن سبل مكافحة التعصّب ومواجهة القوالب النّمطيّة السلبيّة (التعميم المفرط)، وتشويه السّمعة والتمّييز والتّحريض على العنف، والعنف الفعليّ ضدّ الآخرين على أساس الدّين أو المعتقد[40]. وقد تبنّى المجلس هذا القرار بناء على توصية تقدمت بها باكستان لصالح منظّمة المؤتمّر الإسلاميّ بناء على مشاورات واسعة مع منظمات مسلمة[41] تعنى بالدفاع عن حقوق الأقليات المسلمة في العالم وممارسة الشعائر الدينية ومواجهة خطاب الكراهية، مستلهمة نضالها من المواثيق القانونية الدولية، وخاصة إعلان

38. جامعة منيسوتا، العهد الدولي للحقوق المدنية، مكتبة حقوق الإنسان، http://hrlibrary.umn.edu/arab/b003.html

39. خصوصاً؛ منظمات حقوق الإنسان، والمفوضية السامية لتحالف الحضارات.

40. انظر: الأمم المتحدة، تقرير لجنة القضاء التمييز العنصري، الدورة السبعون فبراير - مارس 2007 والدورة الحادية والسبعون يوليو - أغسطس 2007، الجمعية العامة: الوثائق الرسمية، الملحق رقم 18، ص 17-30.

41. انظر: الأمم المتحدة، محضر الجمعية العامة للأمم المتحدة: الدورة الحادية والستون، الجلسة العامة 48، نوفمبر 2006، البند 44 من جدول الأعمال: ثقافة السلام، نيويورك، https://digitallibrary.un.org

القضاء على جميع أشكال عدم التسامح والتمييز القائمة على أساس الدين أو المعتقد، الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1965، قد وجاء فيه عدة مبادئ تحظر التمييز بين الأشخاص على أساس ديني، استناداً الى المادة الخامسة من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري[42].

فيمكن لهذه الجمعيات والمؤسسات أن تقدم أدوراً رائدة إذا التزمت بمعايير "العمل المدني" الذي توخينا الوصول إلى مفهومه في المبحثين الأول والثاني، حيث انتفاء النفعية وعدم تحوله إلى عمل موازٍ لعمل الدولة وأن يرتبط بالمصالح الوطنية والحضارية وجهود تحقيق التفاهم والتعايش، بدل إثارة النعرات وتأليب الرأي العام في قضايا خلافية. ومن أهم الوسائل التي يمكن أن تستعين بها لأداء رسالتها في موضوع الحوار الحضاري ومجالاته بالمفهوم الذي حدّدناه: استثمار التظاهرات الكبرى (المواعيد الحقوقية الدولية، المواعيد الرياضية الكبرى، الملتقيات والمؤتمرات الكبرى...)، والمواسم الدينية (الأعياد، أيام العبادة الجامعة: رمضان، الحج...)، والمتاحف والمدن الثقافية (البيوت الثقافية، المراكز الثقافية، المقاهي الأدبية)، والمدن التعليمية (المدينة التعليمية، مؤسسة قطر...)، ومحيط البيئة والعمران المتنوع.

ثانياً: العمل المدني في مجال الحوار الحضاري باعتباره قوة ناعمة "تطبيق نموذجي"

اتفق كثير من الباحثين والفاعلين أن الحوار الحضاري أسهم إلى حدّ ما في تغيير طبيعة القوة وصورها في العلاقات الدولية، بفضل ما اصطلح عليه بـ"القوة الناعمة"، وهو مفهوم جديد في العلاقات الدولية ابتدعه المفكر السياسي الأمريكي "جوزيف ناي"(Josef Nye)، سنة 1990 في مقال له منشور في مجلة السياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم طوّره عاماً من بعد ذلك إلى كتاب بعنوان "ملزمة بالقيادة: الطبيعة المتغيّرة للقوة

42. انظر: موقع المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق لإنسان: https://www.ohchr.org/ar.

الأمريكية"[43]؛ حيث عرّف القوة الناعمة بأنها: (القدرة على الحصول على ما تريد من خلال الإغراء بدلاً من الإكراه أو دفع الأموال)[44]. ويقوم الإغراء في القوة الناعمة حسب "ناي" على القيم والمؤسسات والسياسات الماضية (التاريخ السياسي) والثقافة، وقد جاء المفهوم بعد تأملات ودراسات واسعة حول تغير طبيعة القوة، وجاء أيضاً بعد النظرة التشاؤمية لعدد من الكتاب الأمريكيين حول تراجع قوة الولايات المتحدة في العالم، يتقدمهم المؤرخ الشهير "بول كينيدي"(Paul Kennedy) الذي تنبأ أن المرحلة القادمة ستكون فيها الحرب الباردة جيواقتصادية أكثر من كونها جيوسياسية، وقد استفز هذا الرأي عدد من المحافظين الأمريكيين، كان في مقدمتهم "ناي"، الذي ردَّ على ادّعاء تراجع تفوّق القدرات الأمريكية معتمداً على تفوق الولايات المتحدة في العناصر غير المادية للقوة؛ وهي: القيم، والثقافة، والمؤسسات والسياسات الماضية[45]. وتنقسم حسب "ناي" النعومة إلى قسمين[46]:

1. **نعومة آليات وأساليب ممارسة القوة:** وهي الآليات الجاذبة أو الاستقطابية.
2. **نعومة موارد القوة:** يحث تتم بها القدرة على تحقيق الأهداف المطلوبة بالاعتماد على جاذبية الدولة المستمدة من موارد يغلب عليها الطابع غير المادي؛ مثل الثقافة والمبادئ والقيم والسياسات الداخلية والخارجية، بما ينشئ صورة ذهنية إيجابية عن الدولة المعنية.

ويمكن للجدولين البيانيين الآتيين، أن يوضحا إلى حد بعيد مزايا القوة الناعمة بالمقارنة مع القوة الصلبة التي يعتمدها عدد من الدول:

43. نشر الكتاب في الأصل الإنجليزي:
Soft Power: The Means To Success In World Politics Paperback - April 27, 2005

44. جوزيف س. ناي، القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط 1، 2007م، ص 28.

45. انظر: المرجع نفسه، ص 27.

46. المرجع نفسه، ص 26.

الجدول (1): تصنيف "جوزيف ناي" للفوارق البنيوية
بين القوة الناعمة والقوة الصلبة[47]

	القوة الناعمة	القوة الصلبة
طيف أنماط السلوك	- جاذبية - وضع جدول الأعمال - تعاون طوعي	- الإغراء - الإرغام - الأمر/ التوجيه
أَرجَح الموارد المحتملة	- القيم الثقافية/ السياسات - المؤسسات	- المدفوعات/ الرشاوي - العنف/ العقوبات

الجدول (2): تصنيف جوزيف ناي لأنماط السلوك والسياسات
في القوة الصلبة والقوة الناعمة[48]

	أنماط السلوك	الموارد والتدفقات الرئيسة	السياسات الحكومية
القوة العسكرية	- الإرغام - الردع - الحماية	- القوة العسكرية - العنف	- الدبلوماسية القسرية - الحرب - التحالف
القوة الاقتصادية	- الإغواء - الإرغام	- الرشاوى - العقوبات	- المساعدة - الرشاوى - العقوبات
القوة الناعمة	- الجاذبية - وضع جدول الأعمال	- القيم - الثقافة - السياسات - المؤسسات	- الدبلوماسية العامة - الدبلوماسية الثنائية - الدبلوماسية متعددة الأطراف

47. جوزيف س. ناي، القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، مكتبة العبيكان، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط 1، 2007م، ص 28. (نشر الكتاب في الأصل الإنجليزي: (Soft Power: The Means To Success In World Politics Paperback - April 27, 2005

48. المرجع نفسه، ص 60.

ويتّسم مفهوم القوة الناعمة بقدر كبير من السيولة في تعريفاته، بحيث يقتصر أحياناً على موارد الجاذبية الثقافية والترفيهية، ويتسع أحياناً ليشمل مختلف صور القوة بما فيها الاقتصادية. وتم استعمال وتوظيف مفهوم القوة الناعمة من طرف الصين وروسيا، وبدرجة أقل من طرف الهند واليابان والبرازيل وتركيا وقطر والسعودية وإيران وتايلند... لكن بمضامين أخرى، حيث اشتد النقاش حول عناصر القوة الناعمة ومواردها وآليات ممارستها؛ حيث استند المفهوم الصيني للقوة الناعمة على الاقتصاد والتكنولوجيا والتاريخ، بينما اتجه النموذج الروسي إلى الاستثمار في الثقافة والطاقة والتاريخ؛ بينما أراد النموذج الهندي قلب مفهوم القوة الناعمة، حيث الاعتماد بالدرجة الأولى على القوة النفسية المنبعثة من الدين والعنصر البشري والتاريخ.

ويتميز نموذَج دولة قطر، باستثمار الحوار الحضاري كعنصر أساس من عناصر القوة الناعمة، حيث فسح مجالاً واسعاً لإدارة العلاقات الاجتماعية والدولية بحكمة وإتقان، باستخدام العناصر غير الصلبة التي تكون مصدرَ جذب، وتتحقق بجملة خصائص في سياق إدارة العلاقات الدولية والحضارية، من أهمها:

- الإحساس بالراحة والاطمئنان وانخفاض التوتر.
- عدم الشعور بالضغط أو المعاناة في حل المشاكل ومعالجة التحديات.
- يسر التوظيف والاستخدام.
- الرفق والتدرّج.

وبذلك تمكّن من امتلاك (القدرة على التأثير في الآخرين عبر الآليات الجاذبة أو الاستقطابية التعاونية من تأطير برامج العمل والإقناع وإثارة جاذبية قوية بما يحقق النتائج المنشودة).

ويمكن ذكر ثلاثة موارد أساسية يشترطها "جوزيف ناي" لفاعلية القوة الناعمة، حيث تم توظيفها في النموذج القطري لتحويل موضوع الحوار إلى قوة مؤثرة، وهي[49]:

1. ثقافة الدولة أو الفاعل؛ سواء النخبوية أو الشعبية، أي العناصر الجذابة في قيم المجتمع القطري، وممارساتها العليا أو النخبوية؛ كالأدب والفن والتعليم، أو الشعبية التي تركّز على ذوق الجماهير؛ كالسياحة والأسواق والرياضة والبيئة... وغيرها.
2. القيم السياسية للفاعل؛ وهو ما يُقاس غالباً بمؤشرات الحكم الرشيد أو الحوكمة والعدالة الاجتماعية، وهو متوفر في النموذج القطري، بل إن دولة قطر ترعى صندوقاً دولياً لمكافحة الفساد، وتقدمت التصنيف العالمي في التنمية البشرية والحكامة الرشيدة.
3. سياسات الفاعل الخارجية؛ عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية أخلاقية، وهو ما يرتبط بشكل عام بالعمل في إطار المؤسسات والأطر القانونية القائمة والبعد عن الانفرادية، وهو أيضاً متوفر في النموذج القطري، من خلال العمل وفق المؤسسات الشورية، في السياسة الداخلية والخارجية، بما انعكس على تقديم صورة إيجابية عامة يراها الآخرون ويتفاعلون معها؛ يقول بنجامين جولد سميث وزميله في التأليف يوزاكو هوريوشي: (نجد أن عُملات "ناي" للقوة الناعمة هي عوامل هيكلية أو أساسية، تُشكّل مصفاة يمكن من خلالها إدراك السياسات الخارجية الحالية لدولة من الدول، وليس العوامل ذات التأثير المباشر في قرارات صنّاع السياسة الخارجية. إنّنا نؤكّد أن القوة الناعمة في العلاقات الخارجية تتجلّى في الآراء التي يحملها الجمهور العام في الدولة (ب) حول السياسة الخارجية للدولة (أ)[50].

49. جوزيف س. ناي، القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية، المرجع السابق، ص 32.
50. جولد سميث، يوزاكو هوريوشي، في البحث عن القوة الناعمة: هل للرأي العام الخارجي أهمية في السياسة الخارجية الأمريكية، سلسلة دراسات عالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي، العدد 115، ط 1، 2014، ص 8.

ويمكن لهذا الجدول البياني تبيان استثمار دولة قطر للقوة الناعمة من خلال أنماط السلوك والموارد المستغلة والسياسات المتبعة:

الجدول (3): جدول بياني لقياس دور المجتمع المدني ومؤسساته في دولة قطر في تعزيز الحوار الحضاري باعتباره قوة ناعمة[51]

أدوات دولة قطر في الحوار الحضاري

القوة الناعمة

أنماط السلوك	الموارد والتدفقات الرئيسة	السياسات الحكومية
الجاذبية	**القيم**	**الدبلوماسية العامة**
- بيئة مستقرة. - كفالة ممارسة الشعائر الدينية لأتباع الأديان. - تصنيف متقدم في التنمية البشرية. - حكامة راشدة. - مدنية متطورة. - ثقافة أصيلة متفتحة. - دبلوماسية مؤثرة.	- الدين. - الدستور. - الحكامة الراشدة. - العدالة الاجتماعية. - حقوق الإنسان. - العلم والمعرفة.	- الدبلوماسية الثقافية (الدوحة عاصمة الثقافة الإسلامية، القرى الثقافية، الأيام المفتوحة على الدول، مهرجان التنوع الثقافي، الدوحة عاصمة الشباب الإسلامي...). - الدبلوماسية الدينية. - الدبلوماسية الرياضية (تنظيم كأس العالم/ أبرز حدث رياضي في الكون والفعاليات المرافقة). - الدبلوماسية التكافلية (منظمات خيرية كمؤسسة عيد، مؤسسة قطر الخيرية، الهلال الأحمر القطري، صندوق الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، مبادرة التعليم والقضاء على الأمية في العالم: تعليم 11 مليون طفل في أفريقيا...).

51. انظر في كل معلومات الجدول المراجع الآتية: وزارة التخطيط التنموي والإحصاء، تقرير التنمية البشرية الرابع لدولة قطر: تحقيق رؤية قطر الوطنية 2030؛ الحق في التنمية، الدوحة، 2015، https://www.psa.gov.qa/en/knowledge/Doc/HDR/Qatar_Fourth_National
وانظر: وزارة الثقافة والرياضة القطرية، تقرير التنوع الثقافي في دولة قطر، https://www.moc.gov.qa/
وانظر: اللجنة القطرية لتحالف الحضارات، خطة دولة قطر لتحالف الحضارات، الخطة الخمسية 2002-2018،
والتقرير السنوي الثامن للجنة القطرية لتحالف الحضارات 17، https://qcac.mofa.gov.qa/
وانظر: عبد العزيز بن محمد الحر ونوزاد عبد الرحمن الهيتي، العلاقات القطرية الصينية، منشورات المعهد الدبلوماسي، وزارة الخارجية القطرية، الدوحة، ط 1، 2022.

وضع جدول الأعمال

- رؤية قطر الوطنية 2013-2030.
- الخطط الخمسية لدولة قطر في تحالف الحضارات.

الثقافة

- تنوع ثقافي، جامع بين الأصالة والمعاصرة، ومحقق للانسجام بين الوطني والوافد.
- جلب المعارف والعلوم: مدينة تعليمية مفتوحة.
- انفتاح ثقافي: حي ثقافي بمواصفات عالمية (كتارا).
- بيوت الشباب الثقافية.

الدبلوماسية الثنائية (نماذج)

- منتدى أمريكا والعالم الإسلامي.
- العلاقات القطرية الصينية (العام الثقافي قطر-الصين).
- السنة الثقافية قطر تركيا.
- الأيام الثقافية الفرانكفونية(العلاقة مع فرنسا والدول الفرنكفونية).
- البيت العربي في برلين/ العام الثقافي قطر -ألمانيا.
- السنة الثقافية قطر- اليابان.
- التبادل الثقافي قطر- البرازيل.
- مسجد كوبنهاغن.
- الاستثمار في نادي باريس سان جرمان الفرنسي وما يمثله في مجال الحوار الحضاري في مجال الشباب (العلاقات القطرية الفرنسية).

السياسات

- القدرات الإعلامية (المؤسسات الإعلامية المقتدرة، صناعة المحتوى الإخباري المتميز، الإنتاج السينمائي، الوثائقيات...).
- التراث الأدبي المكتوب المترجم.
- الترويج السياحي.
- إنتاج المعرفة.
- الخطاب الديني المعتدل.
- إبراز التراث المتنوع (عمران، مخطوطات، زخارف، لغات الوافدين).
- قوة التماسك الاجتماعي.
- التجانس بين الحاكم والمحكوم (الحكامة الراشدة).
- انعدام الجريمة.
- صداقة البيئة (تأسيس بيئة خضراء في الدوحة -من أكبر المشاريع البيئية العالمية-).

الدبلوماسية متعددة الأطراف

- الإسهام الفاعل في مبادرة تحالف الحضارات منذ بداياتها، وتأسيس المفوضية السامية لتحالف الحضارات بالأمم المتحدة وتولي رئاستها لفترة خماسية.
- حل مشاكل دولية عديدة (الملف الأفغاني، أزمة إفريقيا الوسطى، أزمة تشاد، الملف السوداني، الملف اللبناني، القضية الفلسطينية، أزمة الطاقة...).
- دعم المنظمات الإقليمية والدولية (منظمة الأمم المتحدة وهياكلها، وعلى رأسها مفوضية تحالف الحضارات، منظمة اليونيسكو، منظمة الإيسيسكو، صندوق الأمم المتحدة لمكافحة الفساد.

المؤسسات
- اللجنة القطرية لتحالف الحضارات.
- مركز الدوحة لحوار الأديان.
- المؤسسات الإعلامية[52] الجزيرة، العربي، بيين سبورت، إذاعات الجاليات...).
- البرامج الأكاديمية والكراسي العلمية الدولية (كرسي الإيسيسكو لتحالف الحضارات في جامعة قطر)، الجوائز العالمية (جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات).
- جائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدولي.
- مكتبة قطر الوطنية.
- الحي الثقافي كتارا.
- بيت ثقافات العالم.
- صلتك (بيوت الشباب).
- متحف قطر الوطني/ المتحف الإسلامي.
- منتدى العلاقات العربية والدولية.
- القرية الثقافية.
- مركز وجدان الحضاري.

52. أردنا ذكر المؤسسات الخاصة التي لها دور في التنمية، ولم نذكر المؤسسات الرسمية كتلفزيون قطر، لعدم تعلقها بمفهوم المجتمع المدني.

الخاتمة:

يمكننا بعد هذا العرض المبني على استقراء وتحليل ومقارنة، استخلاص خلاصات مهمة في الأدوار التي يمكن لفعاليات المجتمع المدني أن تقوم بها، إذا التزمت بالسياقات التاريخية والواقعية وتدثّرت بالمآلات والأهداف ولم تجمد على المسميات والأشكال، ولعل من أبرز النتائج التي توصلتْ إليها هذه الدراسة؛ ما يلي:

- إن مفهوم المجتمع المدني دخيل على التراث الفكري والسياسي العربي الإسلامي؛ حيث لم يظهر في الخطاب السياسي إلاّ في العقود الأخيرة، وأن المصطلح بمعناه الحديث مرتبط بواقع التحوّلات والتطوّرات السياسية والفكرية في العالم الغربي الصناعي الرأسمالي، فالمجتمع المدني تكوّن نتيجة تطورات اجتماعية واقتصادية وثقافية، نجح فيها الغرب ودوله عبر الشبكات الاجتماعية الجديدة الكبيرة؛ المُشكِّلة للمدن، والمركّبة من قوى ثقافية وعمالية ونسائية وإعلامية.

- إن أقرب مفهوم مقبول في بيئتنا الإسلامية أن يُقصد بالمجتمع المدني المؤسسات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي تعمل في ميادينها المختلفة، وفي استقلال عن تمويل الدولة وعن النفعية الخاصة، لتحقيق أغراض متعدّدة، لدعم الاستقرار على المستوى الوطني والقومي، منها أغراض خيرية وتعليمية ونقابية ووقفية وحسبية، وقد برزت خلال مراحل التأسيس الشرعي والمؤسسي للمجتمع المدني مصطلحات عديدة منذ النشأة الأولى، يمكن استثمارها في سياقات معاصرة في مجال عمل المجتمع المدني، من أبرزها: (الصفوة، أهل الاختيار، أهل الحل والعقد، أهل الإرادة، أهل الرأي والنصيحة)؛ مما يؤكد أن المسألة اجتهادية خالصة تخضع للاجتهاد في إطار المبادئ العامة للإسلام، وأن تجاوز التركّز الاصطلاحي من جهة، والنظر في كيفيات وآليات العمل والممارسة من جهة أخرى من المسائل المشروعة بل الملحّة لبناء آفاق جديدة في السياسة والقضاء والإعلام والتعليم والوقف

والعمل الخيري؛ يكون للمجتمع الدور الأكبر في تجسيدها. وإن من أهم المؤسسات التي يمكن تخريجها وفقا للمدخل الشرعي التاريخي، مؤسسات مؤسسة عبر التاريخ كتلة واحدة، والواقع يقول إن المفهوم قد تغير تبعاً للوقائع والممارسات؛ تندرج ضمن هيئة "أهل الرأي والنصيحة والصفوة"؛ ويمكن تفسيرها بلغة الواقع في المنظمات والجمعيات الآتية:

- الجمعيات العمالية (تضم الموظفين والعمال في مختلف القطاعات المهنية، وأصحاب المشاريع والمال، والوسطاء... وغيرهم من أصحاب المهن).
- مؤسسات الإعلام.
- الجمعيات الحقوقية.
- رجال الدين أو العلماء؛ حسب خلفية الاصطلاح.
- الجمعيات الثقافية.
- الجمعيات النسائية.
- المؤسسات الخيرية ومؤسسات التكافل الاجتماعي.

ويعتبر شرط انتفاء النفعية المادية والسياسية في مضمون المجتمع المدني شرطا أساساً لخدمة الحوار الحضاري؛ حتى لا تكون بديلاً للدولة ويتحقق مضمون التطوعية القائم على أساس مساعدة السلطة السياسية في جوانب ومجالات قد لا تغطيها.

- يقوم المجتمع المدني المحلي والدولي ممثّلاً في النخب الفكرية والمنظمات والمؤسسات الوطنية والدولية والإقليمية ذات الاهتمام المشترك، بأدوار مهمة متنوعة، انتقلت بالحوار الحضاري من مرحلة التواصل التي كانت تقتضي البدء بنشر ثقافة الحوار في مختلف الأوساط وزرع الثقة به في شتى المنتديات والمحافل؛ إلى مرحلة التحالف بين الحضارات الذي يتطلب إقامة تعاون حضاري على أسس من الاحترام المتبادل والحرص على المصالح المشتركة. وهناك وسائل كثيرة يمكن أن تستعين بها لأداء رسالتها في موضوع الحوار

الحضاري ومجالاته؛ منها: استثمار التظاهرات الكبرى (المواعيد الحقوقية الدولية، المواعيد الرياضية الكبرى، الملتقيات والمؤتمرات الكبرى...)، والمواسم الدينية (الأعياد، أيام العبادة الجامعة: رمضان، الحج...)، والمتاحف والمدن الثقافية (البيوت الثقافية، المراكز الثقافية، المقاهي الأدبية)، والمدن التعليمية (المدينة التعليمية، مؤسسات التعليم الخاصة والأهلية...)، ومحيط البيئة والعمران المتنوع.

- هناك ثلاثة موارد ومؤشرات أساسية اشترطها "جوزيف ناي" (المفكر السياسي الأمريكي) لفاعلية القوة الناعمة، وقد تم توظيفها في النموذج القطري في تحويل موضوع الحوار إلى قوة مؤثرة؛ وهذه الموارد أو المصادر تتمثل في: ثقافة الدولة أو الفاعل؛ سواء النخبوية أو الشعبية، أي العناصر الجذابة في القيم وممارساتها، والقيم السياسية للفاعل؛ وهو ما يُقاس غالباً بمؤشرات الحكم الرشيد أو الحوكمة والعدالة الاجتماعية، سياسات الفاعل الخارجية؛ عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية أخلاقية، وهو ما يرتبط بشكل عام بالعمل في إطار المؤسسات والأطر القانونية القائمة والبعد عن الانفرادية؛ وقد مكّنت تلك الموارد من امتلاك القدرة على التأثير في الآخرين عبر الآليات الجاذبة أو الاستقطابية التعاونية من تأطير برامج العمل والإقناع وإثارة جاذبية قوية بما حقق نتائج منشودة مثبتة في الإحصائيات الوطنية والدولية لمجالات حوار وتحالف الحضارات.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر والمراجع العربية

1. أبو طه؛ أنور، الاجتماع الإسلامي: اجتماع أمة أم اجتماع ملة؟ مجلة الكلمة، بيروت، عدد 31، السنة الثامنة، ربيع 1422هـ.
2. بشارة؛ عزمي، المجتمع المدني: دراسة نقدية مع إشارة للمجتمع المدني العربي، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، 2000.
3. برينتون كرين، تشكيل العقل الحديث، ترجمة شوقي جلال، مهرجان القراءة للجميع - مكتبة الأسرة، القاهرة، ط 1، 2002.
4. بلقزيز؛ عبدالإله، الإصلاحية الإسلامية والصحوة الإسلامية، مجلة منبر الحوار، بيروت، عدد 39.
5. ابن تيمية؛ أحمد بن عبدالحليم، السياسة الشرعية، شرح محمد بن صالح العثيمين، الدار العثمانية - دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1425هـ - 2004م.
6. ابن حزم؛ علي بن أحمد، الأحكام في أصول الأحكام، نشر زكريا علي يوسف،القاهرة.
7. حماميد؛ حسينة، المجتمع المدني في الجزائر: الواقع والمعوّقات، مجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الجزائر، عدد 24، صفر 1433هـ.
8. ابن خلدون؛ عبدالرحمن، المقدمة، تحقيق علي عبدالوحد وافي، طبعة لجنة البيان العربي، 1962.
9. الرازي؛ فخرالدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، المجلد الخامس، الجزء العشر، دار الفكر العربي، بيروت، 1985.
10. سالم؛ ممدوح، المجتمع المدني ودوره في الإصلاح: أعمال الندوة الإقليمية حول المجتمع المدني في البلدان العربية ودوره في الإصلاح، الإسكندرية، يونيو 2004، نشر المنظمة العربية لحقوق الإنسان، القاهرة، ط 1، 2004.
11. سميث؛ جولد، يوزاكو هوريوشي، في البحث عن القوة الناعمة: هل للرأي العام الخارجي أهمية في السياسة الخارجية الأمريكية، سلسلة دراسات عالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، العدد 115، ط 1، 2014.
12. السيّد؛ رضوان، المدنية والحضارة في أفكار الإسلاميين المحدثين والمعاصرين، مجلة التسامح، عدد 26، 2009.
13. شحادة؛ حسام، المجتمع المدني، نشر بيت المواطن للنشر والتوزيع، دمشق - سورية، ط1، 2015.
14. الشهرستاني؛ محمد بن عبدالكريم، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1975م.
15. الشيخ؛ محمد، المثقف والسلطة: دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 1991.
16. صافي؛ لؤي، العقيدة والسياسة: معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة، ط 2، 1419هـ، 1998م.
17. الصبيحي؛ أحمد شكر، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2000.
18. طاليس؛ أرسطو، السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، منشورات الجمل، بغداد - بيروت، 2009.
19. عبدالخالق؛ فريد، في الفقه السياسي الإسلامي: الشورى العدل المساواة، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 2007.

20. عبدالرازق؛ علي، الإسلام وأصول الحكم، دراسة محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000.

21. عبدالرحمن؛ طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط 2، 2000.

22. عبدالله؛ طارق، المجتمع المدني ونظام الوقف بين المرجعية الإسلامية وأزمة العلوم الاجتماعية، مجلة الكلمة، بيروت، عدد 31، السنة الثامنة، ربيع 1422 هـ.

23. العلام؛ عزالدين، الآداب السلطانية: دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي، عالم المعرفة، الكويت، عدد 324، 2006.

24. العلوي، سعيد بن سعيد، الوطنية والتحديث في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1997.

25. عمارة؛ محمد، سقوط الغلو العلماني، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 1422هـ، 2002م.

26. غليون؛ برهان، نقد السياسة: الدولة والدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ط 4، 2007.

27. الفارابي؛ أبو نصر، فصول منتزعة، دار المشرق، بيروت، 1971.

28. الفارابي؛ أبو نصر، السياسة المدنية، دار المشرق، بيروت، 1964.

29. الفالح؛ متروك، المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2002.

30. كوثراني؛ وجيه، مشروع النهوض العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1995.

31. كوكلر؛ هانس، تشنج العلاقة بين الغرب والمسلمين: الأسباب والحلول، نشر مطبعة جداول، بيروت، 2013.

32. الماوردي؛ أبو الحسن، الأحكام السلطانية، طبعة الحلبي، القاهرة، ط 2، 1966.

33. مركز ابن خلدون، صيحة المجتمع المدني، مجلة يصدرها مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة، 1988-1995.

34. ناي؛ جوزيف س، القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط 1، 2007م.

35. نصار؛ ناصيف، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ: دراسة في مدلول الأمة في التراث العربي الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، ط 5، 2003.

36. هارفي؛ ديفيد، حالة مابعد الحداثة: بحث في أصول التغيير الثقافي، ترجمة محمد شيا، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2005.

37. ابن هشام؛ عبدالملك، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وجماعته، دار الكنوز الأدبية، دون تاريخ.

38. هوك؛ سدني، التراث الغامض: ماركس والماركسيون، ترجمة سيد كامل زهران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

39. الهيتي؛ نوزاد عبدالرحمن، والحر، عبدالعزيز بن محمد، العلاقات القطرية الصينية، منشورات المعهد الدبلوماسي، وزارة الخارجية القطرية، الدوحة، ط 1، 2022.

40. ياسين؛ عبدالجواد، السلطة في الإسلام: العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء- بيروت، ط 2، 2000.

41. يعقوب بن إبراهيم؛ أبو يوسف، كتاب الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، 1396هـ.

ثانياً: المراجع والمصادر الأجنبية

1. Amourroux, Mathieu, La société civile globale: une “chimère insaisissable à l’épreuve de la reconnaissance juridique , Lex Electronica, vol.12 (Automne / Fall 2007
2. Electronica, Lex, la reconnaissance juridique , vol.12 (Automne / Fall 2007).
3. Hall, Mathieu Accounting, non-governmental organization and civil society, Press publications, 2017.
4. Nye, Jr. Joseph S, Soft Power: The Means to Success in World Politics, PublicAffairs, USA, 2004.

ثالثاً: المصادر والمراجع الإلكترونية

1. الأمم المتحدة، تحالف الحضارات: خطة التنفيذ (2007-2009)، منشورات الأمم المتحدة https://www.unaoc.org/wp-content/uploads/implementation_plan
2. الأمم المتحدة، تقرير لجنة القضاء التمييز العنصري، الدورة السبعون فبراير - مارس 2007 والدورة الحادية والسبعون يوليو - أغسطس 2007، الجمعية العامة: الوثائق الرسمية، الملحق رقم 18.
3. الأمم المتحدة، محضر الجمعية العامة للأمم المتحدة: الدورة الحادية والستون، الجلسة العامة 48، نوفمبر 2006، البند 44 من جدول الأعمال: ثقافة السلام، نيويورك: https://digitallibrary.un.org
4. جامعة منيسوتا، العهد الدولي للحقوق المدنية، مكتبة حقوق الإنسان، http://hrlibrary.umn.edu/arab/b003.html
5. خليل؛ صبري محمد، ”مفهوم المجتمع المدني بين الفلسفة الغربية والفكر الاسلامى، موقع مركز التنوير المعرفي في السودان، http://tanweer.sd ” مفهوم المجتمع المدني بين الفلسفة الغربية والفكر الاسلامى، موقع مركز التنوير المعرفي في السودان، http://tanweer.sd.
6. سوزان دوغلاس، تحالف الحضارات: قاعدة بحوث لتقرير الفريق الرفيع المستوى، نشر أمانة تحالف الحضارات بالأمم المتحدة: 2006، https://www.unaoc.org/repository/thematic_education
7. اللجنة القطرية لتحالف الحضارات، خطة دولة قطر لتحالف الحضارات، الخطة الخمسية 2002-2018، والتقرير السنوي الثامن للجنة القطرية لتحالف الحضارات 2017: https://qcac.mofa.gov.qa
8. موقع وزارة الخارجية التركية، قرار الجمعية العامة في الأمم المتحدة، https://www.mfa.gov.tr/medeniyetler-ittifaki-girisimi-ar.ar.mfa
9. موقع المفوض السامي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان: https://www.ohchr.org/ar
10. وزارة التخطيط التنموي والإحصاء، تقرير التنمية البشرية الرابع لدولة قطر: تحقيق رؤية قطر الوطنية 2030؛ الحق في التنمية، الدوحة، 2015، https://www.psa.gov.qa/en/knowledge/Doc/HDR/Qatar_Fourth_National
11. وزارة الثقافة والرياضة القطرية، تقرير التنوع الثقافي في دولة قطر، https://www.moc.gov.qa/

قِيَم التفاعل الحضاريّ في ظلِّ اتجاهات جديدة للنظام العالميّ

د. منجد الخشالي
استشاري اقتصادي - دولة قطر
monjd_ahmed@yahoo.com

الملخَّص:

يشير مصطلح التفاعل للتعبير بمفهومه الواسع عن العلاقات بين المجتمعات البشريَّة سواءٌ أكان عن طريق الحوار بين الحضارات أو الهجرة أو التعايش بين المكونات داخل المجتمع الواحد. وفي تقديرنا أن هذا التفاعل يستند إلى قِيَم ومعايير تتوافق مع آليَّات وأسس النظام العالميّ القائم من الناحية السياسية والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة؛ لذا فإنَّ تشخيص قِيَم التفاعل الحضاريّ بين المجتمعات لا يمكن أن تتم دون تحديد اتجاهات النظام العالميّ الذي يحكم العلاقات الدوليَّة وهذا يستند إلى اعتقادنا الراسخ بأهمية العلاقة المؤثِّرة بين التحولات الاقتصاديَّة والأبعاد الثقافيّة والقِيَميَّة للمجتمعات البشريَّة.

وفي ظل التغييرات التي شهدها النظام العالميّ الجديد التي كان أبرزها:

- تفكيك عملة الإنتاج الصناعيّ.
- خصخصة الخدمات العامَّة.
- بروز قوى اقتصاديَّة جديدة مؤثِّرة في التجارة.

تمَّ استخلاص عناصر لمنظومة قِيَميَّة نعتقد أنَّها جديرة برفع مستوى التفاعل الحضاريّ بين الشعوب تستند إلى ما يلي:

1. تطوير التفكير النقديّ.
2. مهارات العمل والتدريب المستمرّ.

3. التوازن بين الجنسين.

4. إشاعة الثقافة المؤسَّسيَّة.

هذه القِيَم التي يتعيَّن على الأمم التسلُّح بها إذا رغبت في التفاعل الحضاريّ في ظل اتجاهات جديدة للنظام العالميّ، وفي تقديرنا أنَّ غياب هذه القِيَم كضوابط تحكم السلوك البشريّ للأمم يجعلها منعزلةً وغير قادرةٍ على مواكبة التفاعل الحضاريّ بين هذه الأمم.

The values of civilized interaction under the new trends of the global system

Dr. Munjed Al-Khashali
Economic Consultant - State of Qatar
monjd_ahmed@yahoo.com

Abstract:

The term civilization interaction refers to a more comprehensive expression of the relations between human societies، whether through dialogue between civilizations، immigration، or coexistence between components within a single society. In our estimation، this interaction is based on values and standards that are compatible with the mechanisms and foundations of the existing global system in terms of political، economic and social terms. Therefore، diagnosing the values of civilized interaction between societies cannot be done without specifying the trends of the global system that governs international relations.

The study diagnosed global trends as follows:

- Dismantling the industrial production process.
- Privatization of public services.
- The emergence of new economic forces influencing trade.

Through the research methodology and its main axes، some values that we believe are important to adapt to the international community and the foundations of its new system were diagnosed، which are

Critical thinking and acceptance of others، Professionalism and work skill، Continuous training، gender balance and Negotiation and dialogue skill

المقدِّمة:

في كلِّ مرحلة من مراحل حياة البشريَّة كانت محاولات التنظيم وتكييف أنماط العيش والتعامل مع العالم الخارجيّ هدفاً أساساً للمجتمعات الإنسانيَّة من أجل إيجاد نظام علاقات يحكم هذه المجتمعات، ويجعلها قادرة على الاستمرار، وفي خضمِّ هذه المحاولات تراكمت أفكار ومعتقدات عديدة ترسم ملامح هذه الأنظمة، وتحدِّد العلاقات بين المجتمعات، وفي كلِّ مرحلة من هذه المراحل كانت محاولات التفاعل الحضاريّ بين المجتمعات البشريَّة قائمةً وحاسمةً في تطور الحضارات، بل إنَّ تطور الحضارات هو نتاج هذا التفاعل بين المجتمعات المختلفة، حيث لم يكن للإنجاز الحضاريّ للبشرية أن يتطور بدون هذا التفاعل.في حين شكل الانكفاء على الذات والتقوقع مسار التراجع والاضمحلال الحضاريّ للمجتمعات وانزوائها خارج حركة التاريخ.

وقد اخترنا مصطلح التفاعل للتعبير بشكل أشمل عن العلاقات بين المجتمعات البشريَّة سواءٌ أكان عن طريق الحوار بين الحضارات أو الهجرة أو التعايش بين المكونات داخل المجتمع الواحد. وفي تقديرنا أنَّ هذا التفاعل يستند إلى قِيَم سلوكيَّة ومعايير تتوافق مع آليَّات وأسس النظام العالميّ القائم من الناحية السياسية والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة؛ لذا فإنَّ تشخيص قِيَم التفاعل الحضاريّ بين المجتمعات لا يمكن أن تتم دون تحديد اتجاهات النظام العالميّ الذي يحكم العلاقات الدوليَّة وهذا يستند إلى اعتقادنا الراسخ بأهميَّة العلاقة بين التحولات الاقتصاديَّة والأبعاد الثقافيّة والقِيَميَّة للمجتمعات البشريَّة.

وعلى وفق هذا حاولت الدِّراسة تسليط الضوء على قِيَم التفاعل الحضاريّ في ظلِّ الاتجاهات الجديدة للنظام العالميّ الرَّاهن. وتحقيقاً لهدف البحث كان لا بُدَّ من تتبع المسار التاريخيّ لمحاولات توحيد النمط العالميّ للمجتمعات البشريَّة أو كما يعرف بالحكومات العالميَّة، ومن ثَمَّ التعرُّض لمنهجيَّة التفكير العالميّ للمجتمعات وقدرته في بناء مهارات التفاعل الحضاريّ وصولاً إلى قِيَم

هذا التفاعل في ظلِّ اتجاهات جديدة تحكم العلاقات الدوليَّة الرَّاهنة، وتحقيقاً لهدف البحث فقد جاءت منهجية الدِّراسة وفق المحاور الآتية:

- أولاً: مسار تطوُّر فكرة الحكومة العالميَّة.
- ثانياً: فلسفة التعليم ومهارات التفاعل الحضاريّ العالميّ.
- ثالثاً: مهارات التفاعل الحضاريّ في ظلّ اتجاهات جديدة في التخصُّص وتقسيم العمل الدوليّ.

أولاً: مسار تطوُّر فكرة الحكومة العالميَّة

من خلال تتبع المسار التاريخيّ لمحاولات المجتمعات البشريَّة في توحيد أنماط العيش المشترك نجد أن فكرة الحكومة العالميَّة والنظام العالميّ هي فكرة قديمة نستطيع متابعة مسارها عبر مدرسة الرواقين على يد المفكر (Zenon) منذ القرن الثالث الميلاديّ، حيث دعا هذا الفيلسوف إلى مدينة عالميّة يكون فيها البشر متساوين، ثم جاءت محاولات الدولة الرُّومانيَّة التي تبنت القانون الطبيعيّ أعقبها ظهور المسيحية التي وضعت مبادئ خضوع البشر إلى نظام واحد هو حكم الله، ومن ثَمَّ الدولة العربيَّة الإسلاميَّة التي استندت إلى العالميَّة من خلال دعوة لا فرق بين الشعوب إلا بالتقوى[1].

وبالرغم من انهيار فكرة الحكومة العالميَّة في ظلِّ ظروف مختلفة ولأسباب مختلفة إلا أنَّ محاولات بناء نظام عالميّ موحَّد استمرت ولا تلبث أن تعود إلى الظهور، وهذه المرَّة بدأت من أوروبا التي حاولت تبني نظم مؤسَّساتيَّة على أساس القانون الوضعيّ بعد أن تعبت أوروبا من حروب الإمارات والاقطاعات، فكانت معاهدة (وستفاليا) سنة 1648 والتي أعطت بُعْداً آخر في مجال القانون الدوليّ ووضعت قواعد لتدوين القوانين والمعاهدات الدوليَّة المُلزمة للأطراف الموقعين عليها، وما لبثت أوروبا أن تعرَّضت إلى موجة من

1. محمد علي السقاف، الحكومة العالمية (يوتوبيا أم احتمال مستقبلي) 2020، www.aawsat.com
انظر كذلك ادريس مقبول، الحوار الحضاري، دراسة في النظام المعرفي والقيمي القرآني، جامعة قطر، جائزة قطر العالمية لحوار الحضارات، الدوحة، 2018 ص 95.

التغييرات العارمة متأثرة بالفكر العارم الذي أشاعته الثورة الفرنسية عام 1789، أعقبها مؤتمر فينا لسنة 1815 الذي وضع رسوم خارطة جديدة لأوروبا وإن كانت نتائج هذا المؤتمر ذات إبعاد دوليّة، وجاءت معاهدة باريس 1856 التي شملت أحكامها الدولة العثمانية أي أنها شملت الشعوب المسيحيَّة والإسلاميَّة، وجاءت معاهدة جنيف 1864، 1867 ثُمَّ اتفاقيَّة لاهاي 1899، 1907 المتعلِّقة بقواعد دوليّة للحرب والسلم أي منظمة لعلاقات دوليّة بين أعضاء المجتمع الدوليّ، وهكذا استمرت وسوف تبقى المحاولات الساعية لبناء تنظيم دوليّ يخضع إليه جميع البشر.

وبحكم آليَّة التغيير المستمرّ والحتميّ وتقلبَّات المصالح الدوليَّة كان لا بدَّ أن تنضج بذور تناقضات دوليّة مولدة إلى تنظيم جديد، وقد كانت هذه التناقضات التي أفرزت الحرب العالميَّة الأولى في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين والتي أفرزت النظام الدوليّ المتعدِّد الأقطاب بإشراف عصبة الأمم وهو نظام وقانون المنتصرين في هذه الحرب؛ لذا تمَّ تنظيم المجتمع الدوليّ على أساس خدمة مصالح الدول المنتصرة للحرب، وكان هذا التناقض سبباً لإشعال الحرب العالميَّة الثانية عام 1939 التي أفرزت نظام القطبيَّة الثنائيَّة في ظل الأمم المتحدة وبروز الولايات المتحدة كقوة صاعدة جديدة مزيحة النفوذ الأوروبي، وقد مهدت القطبيَّة الثنائيَّة إلى الحرب الباردة بين القطبين وانقسام العالم أيدلوجياً إلى معسكرين، إلى أن جاءت مرحلة الإصلاح والمكاشفة في الاتحاد السوفيتي والتي انتهت بانهيار وتفكُّك هذا القطب الدَّوليّ ليتمهد الطريق للولايات المتحدة كقطب أحاديّ يسعى لبناء نظام عالميّ موحَّد مستخدماً مؤسسات ومنظمات الأمم المتحدة لتنفيذ هذا البرنامج وإشاعة الثقافة الكونية والتي شاع صيتها بالعولمة لمختلف مظاهر الحياة الاقتصاديَّة والسياسيَّة والثقافيّة[2]، وخلاصة لما

2. خليل حسين، النظام العالمي ماضياً ومستقبلاً، منطق القوة بمفاهيم جديدة وأساليب أكثر قسوة، منشور في شبكة المعلومات الدولية، www.ahewar.org، انظر كذلك خليل حسين، النظام الدولي ومستقبل العالم الثالث، المركز اللبناني للبحوث والتوثيق والإعلام، 1991، ص 11-24.

تقدم نستطيع رسم المسار التاريخيّ لمحاولات بناء نظام عالميّ موحد ذات إبعاد كونيَّة لمختلف الشعوب من خلال المخطط التالي:

وفي كلِّ مرحلة من محاولات تطبيع العلاقات البشريَّة وفق آليَّات نظامٍ عالميّ موحَّد كان يتعين وجود مهارات بشرية تجيد التعامل مع ثقافة الآخر كونها الأساس للتفاعل الحضاريّ بين الأمم، وكانت اللغة العالميَّة للقوة المهيمنة أحد

أهم هذه العناصر بالإضافة إلى طريقة التفكير وقبول ثقافة الآخر كمهارات أساسية للتفاعل الحضاريّ، ومن البديهيّ أنَّ هذه المهارات لايمكن صقلها بدون أساليب تعليم تستند إلى فلسفة تعليم تتبنى منهجية التفكير العالميّ القادر على صقل هذه المهارات؛ لذا لا يمكن توقع قابليَّة للتفاعل الحضاريّ دون التحقق من فسلفة التعليم ومنهجية التفكير العالميّ للحكم على مهارات التفاعل الحضاريّ.

ثانياً: فلسفة التعليم ومهارات التفاعل الحضاريّ العالميّ

سبقت الإشارة إلى أهمية أن تمتلك الشعوب مهارات معينة يساعدها على التفاعل الحضاريّ العالميّ واذا كان القليل من هذه المهارات فطريَّة أو موروثة؛ فالغالب أنَّها مكتسبة من خلال مؤسَّسات تعليميَّة رصينة، حيث لا يمكن توقُّع مستوى مقبول من هذه المهارات دون التحقُّق من فلسفة التعليم التي تحكم هذه المؤسسات التعليميَّة.

وقد استطاع عالم الاجتماع (Eric Fromm) أن يضع مسارين رئيسين لفلسفة التعليم[3]، الأول: أسماه أسلوب التملك والثاني أسلوب الكينونة، ويرى أن أسلوب التملك ينمو في مجتمع مكرس لحيازة الأملاك وتحقيق الرِّبح، وفي ظلِّ هذا الأسلوب ينصت الطلاب للمحاضرة ويسمعون الكلمات ويفهمون معناها وبناءها المنطقيّ، ويمكن في أحسن الأحوال أن يسجِّلوها حرفيّاً في مذكراتهم؛ لأن هذا يوفِّر لهم النجاح في الامتحان ولكن في ظلِّ هذا الأسلوب فإنَّ المحتوى لا يصبح جزءاً من نظامهم الفكريّ، ويظلُّ محتوى المحاضرات والطلاب كل منهما غريباً عن الآخر وهذا النمط يقلل الإبداع والابتكار وروح المبادرة ويبعد الطالب عن التفكير العلميّ والنقديّ؛ ممَّا يضعف من ثقافة الحوار والاستماع إلى الرأي الآخر.

3. آريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989 ص 49.

أما الأسلوب الآخر فهو أسلوب الكينونة، فالتعليم هنا يختلف جذريّاً، فالطلبة هنا يستمعون ويشاركون ويحاورون ويناقشون، والطالب يؤثِّر ويتأثَّر في المحاضرة والكلام الأجوف داخل المحاضرة غير قابل للاستقبال؛ لأن هذا الأسلوب يحتاج إلى مادة علميَّة منبِّهة للعقل. أي أنَ أسلوب الكينونة يكفل المهارة والإبداع والتفكير النقديّ وبالتالي القدرة على قبول ثقافة الآخر.

وتأسيساً على ما تقدم نستطيع أن نجري مقارنة بين ما أورده (Fromm) وبين دراسة لعالم الاجتماع العربي (هشام شرابي) الذي قام بإجراء دراسة شاملة عن طبيعة المجتمع العربي وخصص جزءاً مهمّاً منها لتحليل واقع التعليم وخلص إلى ما يلي[4]:

إنَّ التعليم في الوطن العربي كما يجري دائماً في إطار العائلة يتميز بصفتين رئيستين أولهما أنَّ التعليم يقلل من أهمية الإقناع والمكافأة، والثانية يزيد من أهمية العقاب الجسدي والتلقين. ويرى (شرابي) أنَّ التعليم في الوطن العربيّ يعتمد بشكلٍ رئيس على الترديد والحفظ بحيث لا يبقي مجال للتساؤل والبحث والتجريب، ويرى أنَّ الطالب يتلقى نماذج متكاملة ويحولها إلى نمط سلوكي دون ما فهم أو نقد ممَّا يضعف طاقة الإبداع والتجديد، وتخلص الدِّراسة إلى أنَّ الطالب العربيّ يبدأ وينتهي بالتلقين ممَّا يقوده إلى الاستسلام ويمنع حدوث التغيير، ومن هنا يتعلم الطالب اللغو ويتقبل الكلام الأجوف.

ووفقاً لتقرير التنمية البشريَّة العربيَّة لعام 2003 فإنَّ المشكلة في التعليم قد تبدأ قبل المدرسة، فهي تبدأ من الأسرة حيث تغلب أساليب تربوية تكرس الهيمنة الأبويَّة والخضوع، كما تتسم هذه الأساليب بحمائيَّة مبالغ فيها، وفي كلتا الحالتين يتعود الطفل على فقدان أي دافع للمبادرة الذاتية والثقة بالنفس،

4. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ص 40-43، 1984.

أو أي دافع للاتصال بالآخرين وتكوين تصورات وآراء مستقلة والبحث عن حلول مبتكرة للمشكلات التي سيواجهها في حياته اللاحقة[5].

كذلك فإنَّ المدرسة لا تساعد الطفل على التخلص من التأثيرات السلبيَّة للتربية العائلية السابقة، بل على العكس فهي تكرِّس الانضباط والتبعيَّة والخضوع ولا تساعد على التفكير النقديّ التحليليّ الحرّ[6]، وما يرتبط به، وتبعاً لفسلفة التعليم التي تحكم المؤسسات التعليمية سوف يتحول هدف التعلم من هدف علميّ إلى هدف اجتماعيّ يسعى للحصول على الوظيفة وتحقيق مصدر للرزق، وفي ظلِّ الهدف الثاني للتعليم تصبح المخرجات غير مهتمة بالتفاعل الحضاريّ؛ لأنَّ المعلومة لا تشكِّل جزءاً من كيانها الفكريّ وبالتالي لا تنعكس في سلوكها الحضاريّ وفي تقديرنا هذا يضعف من مهارات التفاعل الحضاريّ بين المجتمعات البشريَّة؛ لأنها تعكس ظاهرة خطيرة وهي أنَّ مخرجات تعليم لا تملك مهارات التفكير العالميّ والتحليل النقديّ، وهذا يوفِّر بيئةً خصبةً للانغلاق وفي أحيانٍ أخرى للتعصُّب والتطرف سواء أكان عرقيّاً أو دينيّاً.

وإذا أجرينا مقاربة بين دراسة (Fromm) ودراسة (شرابي) يمكن الاستنتاج أنَّ فلسفة التعليم تكون غير قادرة على خلق مخرجات تمتلك مهارات الحوار والتفاعل الحضاريّ إذا استندت إلى مايلي:

1. مؤسسات التعليم تخضع تحت إطار فلسفة التملك وليس الكينونة.
2. التعليم لدى المتعلمين هو هدف اجتماعيّ وليس علميّاً؛ إذ يعتمد أسلوب التلقين والتعامل مع النماذج الجاهزة للوصول إلى النجاح، والنجاح هو في حيازة الشهادة الجامعيَّة وبغضِّ النظر عن محتواها ما دام أنَّها تحقق التوافق الاجتماعيَّ والحصول على الوظيفة.

5. بشار عباس، التعليم العربي أمام تحديات مجتمع المعلومات، النادي العربي للمعلومات في دمشق، منشور في شبكة المعلومات الدولية على الموقع www.albyan.com، انظر كذلك منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، إعادة التفكير في التربية والتعليم، نحو صالح عام عالمي، اليونسكو 2015، www.unesdoc.unsco.org

6. انظر مريم عبدالله النعيمي، فلسفة التقويم المستمر في ظل النظام التعليمي الأساسي، منشورة في شبكة المعلومات الدولية على الموقع www.etqm.net

3. فقدان المنهج النقديّ واعتماد التلقين والنماذج الجاهزة ممَّا يضعف الرغبة في الحوار وتقبل الآخر.

في تقديرنا أنَّ إهمال أساليب ومناهج التعليم قد أعاق إلى حدٍّ كبير تباطؤ عمليَّة التفاعل الحضاريّ بين المجتمعات، بل إن تنامي ظاهرة العنصريَّة العرقيَّة أو التطرف الدينيّ وتنامي أحزاب اليمين المتطرف في دول كانت تُعَدُّ رائدةً في الديمقراطية قد ارتبط بشكل أو بآخر بتراجع وإهمال الأطر الفلسفيَّة للمؤسَّسات التعليميَّة وبالتالي تصبح الدعوة إلى التفاعل الحضاريّ بين المجتمعات وقبول ثقافة الآخر في غاية الصعوبة؛ لأنَّ الحوار الحضاريّ لا يتحقق في ظلِّ غياب مهارات هذا الحوار والمؤسسات التعليميَّة هي الجهة الشرعية الرئيسة لصقل واكتساب هذه المهارات.

وإذا استطاعت مؤسسات التعليم أن تمنح مهارات التفاعل الحضاريّ لشريحة مهمَّة في المجتمع فإنَّ المرحلة اللاحقة سوف تكون في كيفية تحوُّل هذه المهارات إلى قِيَم ثابتة في السلوك والتعامل، وهذه القِيَم يتعين في الوقت نفسه أن تكون منسجمةً مع آليات واتجاهات النظام العالميّ السائد في المرحلة الزمنية الراهنة؛ لذا فإنَّ لكلِّ مرحلة من مراحل تطبيع العلاقات البشريَّة عالميّاً تبرز قِيَم متوافقة مع اتجاهات هذا النظام، وبالتالي يصبح من المهم تشخيص اتجاهات هذا النظام لكي يتم تبني قِيَم متوافقة وقادرة على منح التفاعل الحضاريّ قوة زخم جديدة وفعَّالة، وسوف نحاول في المحور القادم تحديد الاتجاهات الجديدة للنظام العالميّ الرَّاهن من أجل تبني قِيَم التفاعل الحضاريّ التي نعتقد أنَّها متوائمة مع هذه الاتجاهات.

ثالثاً: قِيَم التفاعل الحضاريّ في ظل اتجاهات جديدة للنظام العالميّ

تعكس مسيرة تطوُّر الحكومة العالميَّة والنظام العالميّ أنَّ هذا النظام يتغيَّر ويتطور بشكل مستمرٍّ؛ لذا لا يمكن القول: إن نظاماً عالميّاً معيَّنا هو نهاية

التاريخ كما يعتقد الكاتب الأمريكيّ (Fukuyama)[7]. وإنَّ أيَّ مرحلة من مراحل أيِّ نظام عالميّ لا بدَّ وأن تواكبها تطورات في النظريَّات والاتجاهات الاقتصاديَّة تكون قادرة على ضبط حركته وتحقيق توازنه.

مع هذه التوافقية ومع بروز اتجاهات اقتصادية جديدة للنظام العالميّ الرَّاهن فإنَّه من المهمِّ متابعة هذه الاتجاهات وتشخيصها والتعامل معها وبيان أساسها النظريّ؛ لأنَّ عدم القدرة في تشخيص هذه التغييرات تجعل عمليَّة التكيُّف مع النظام الجديد صعبة وتصبح الهامشية هي المكان الطبيعيّ لمن ليس لديه القدرة على التحليل وبناء الإستراتيجيات، وإيماناً من الدِّراسة بأن هناك اتجاهات اقتصادية جديدة في مفهوم التخصُّص وتقسيم العمل الدوليّ نجد من الضروريّ تشخيصها للوصول إلى قِيَمٍ تحكم سلوكنا في التفاعل الحضاريّ بين الأمم.

وفي ظل نظام عالميّ قائم ينطلق من منظور "نيوليبرالي" ويستند في أسسه إلى التنظير النقديّ لعالِم الاقتصاد الأمريكي مليتون فريدمان الذي جعل الحريَّة الاقتصاديَّة هي الأساس لفاعليَّة النظام الرأسماليّ وتحديد قِيَمِه[8] والذي اعتبر أنَّ التخصُّص وتقسيم العمل هما أساس التعاون والتفاعل الدوليّ بين الحضارات والمجتمعات البشريَّة.

ونعتقد أنَّ الأسس التي وضعها فريدمان للنظام الرأسمالي الذي يسعى إلى عولمة هذا النموذج اقتصاديّاً وسياسيّاً تختلف تماماً عمَّا سبقها من تجارب عالميّة؛ فهي تفرز اتجاهاتٍ جديدةً في النشاط الاقتصادي والتعامل الدوليّ تحتاج إلى قِيَمٍ جديدةٍ للتعامل مع هذه الاتجاهات، وقبل استنتاج هذه القِيَم يكون من الضروري تحديد الاتجاهات الجديدة للنظام العالميّ الرَّاهن وهي على النحو التَّالي:

7. راجع فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، 1993.

8. ميلتون فريدمان، الحرية والرأسمالية، ترجمة مروة عبد الفتاح شحاته، مؤسسة هنداوي للنشر، 2011. انظر كذلك، ويل كيلميا، ترجمة إمام عبد الفتاح، أوديسا التعددية الثقافية/ سير السياسات الدولية في التنوع، علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2011، ص 22.

وسوف نحاول أن نستعرض هذه الاتجاهات بهدف استخلاص قِيَم التعامل المعزَّزة للتفاعل الحضاريّ بين الشعوب والأمم.

1. تفكيك عمليَّة الإنتاج الصناعيّ:

في ظلِّ مزيد من الترابط وسرعة تدفق السلع والخدمات والتكنولوجيا والقوى البشريَّة والمعلومات على المستوى الدوليّ يمكن القول وبدرجة عالٍيَّة من الدِّقة: إنَّ الاقتصاديات العالميَّة أصبحت أكثر اندماجاً ممَّا كانت عليه في السابق، وقد انعكس هذا في الزيادة الهائلة في حجم التجارة العالميَّة، وفي نصيب الصادرات والواردات من الناتج المحليّ الإجماليّ، وبالتحديد في مجال السلع الصناعيّة التي تشير الإحصاءات الدوليَّة إلى أنَّ هذه الأخيرة قد حقَّقت معدل نموٍّ سنوي يفوق 3%، وأنَّ الصادرات الصناعيّة قد تضاعفت بشكل لافتٍ للنظر، وهذا يشمل جميع دول العالم الصغيرة منها أو الكبيرة، وقد استدعت هذه الظاهرة الحاجة للبحث والتحليل، ووجد المهتمون أنهم في مواجهة توجهاتٍ جديدةً لتفسير هذه الحالة إذ لم تعد نظريات التجارة الخارجيَّة التقليديَّة والتي تستند إلى مفهوم الميزة النسبيَّة أو وفورات الحجم قادرة على إيجاد تفسير لحركة التجارة الدوليَّة وهذا يعني أنَّنا أمام تناقضٍ بين التنظير التقليدي والتغيرات العالميَّة التي يفرزها النظام العالميّ الجديد، وقد استطاع الفكر الاقتصاديّ المعاصر أن يجد تفسيراً لهذه الزيادة الهائلة في حجم الصادرات الصناعيّة من خلال طرح مصطلح التخصص الرأسي (vertical specialization) والذي يعني التوسع في تجارة الأجزاء والمدخلات والمستلزمات بدل من السلع الكاملة،

وبهذا يتم استبدال التخصص الرأسي بالتخصص الأفقي (Horizontal specialization) الذي يستند على تجارة السلع التَّامَّة الصنع، وبهذا تصبح النظريات المستندة إلى الميزة النسبيَّة بين الدول غير قادرة على تفسير تدفق التجارة الدوليَّة وتبرز توجهات جديدة في التخصص وتقسيم العمل الدوليّ بين الأمم، ولعلَّ الاقتصاديّ العربيّ (عمرو محيي الدين) من أوائل من اهتم بهذه التغييرات على صعيد الوطن العربيّ وأطلق عليها ظاهرة (اندماج وتكامل هيكل التجارة العالميَّة وتفكُّك هيكل الإنتاج الصناعيّ) وعدَّها من أبرز مظاهر عولمة النشاط الإنتاجيّ[9].

وتشير دراسة (محي الدين) إلى أنَّه بدلاً من تركز الإنتاج الصناعيّ في دولة واحدة، فإنَّ الشركات العالميَّة تستخدم منشآت إنتاجيَّة في الخارج إمَّا كفروع أو توابع لها، حيث يوجد حالياً 3990 شركةً أمّاً لها حوالي 279000 فرعٍ منتشرة في كافة أنحاء العالم يبلغ رصيد استثماراتها حوالي 2.7 ترليون دولار أمريكي وتجمع هذه الطروحات إلا أن آليَّة التخصص الرأسي هي التي تفسر الزيادة في حجم التجارة العالميَّة.

لأن التخصص الرأسي يحتاج إلى أكثر من مرحلة إنتاجية، وهذا يعني عبور مدخلات السلع للحدود أكثر من مرَّة ممَّا يزيد من حجم التجارة قياساً بالإنتاج على مرحلة واحدة في ظلِّ التقسيم الدوليّ القديم، وتتعرض الدِّراسة إلى حالات متعددة لتفكُّك عمليَّة الإنتاج الصناعيّ منها اتفاقات السيارات لعام 1965 بين الولايات المتحدة وكندا، ونموذج "مكويلادوراس" المكسيكية وهي عبارة عن منشآت إنتاج صناعية غير مملوكة للمكسيكيين تقوم باستكمال المعالجة والتجميع لمكونات مستوردة بهدف تصديرها (صناعات كهربائيَّة وإلكترونيَّة)، النموذج الثالث هو التجارة في السلع الإلكترونيَّة بين اليابان وآسيا. وجميع النماذج الواردة تشير إلى تحقيق زيادة كبيرة في حجم التجارة الدوليَّة نتيجة

9. عمرو محيي الدين، العولمة والتغييرات الجوهرية في بنية الاقتصاد العالمي، بنك الكويت الصناعي، الكويت، 2002.

تطبيق حالة تجزئة العمليَّة الإنتاجيَّة أو ما يسميه بالتخصص الرأسي. ولعلَّ المثال الآخر الجدير بالاهتمام كتجسيد واضح لحالة التخصص الرأسي هو مراحل إنتاج لعبة الأطفال (باربي) التي تنتجها شركة "ماتل" (Mattel)، فالمادة الأوليَّة اللازمة للدمية من البلاستيك والشعر يتم الحصول عليها من اليابان وتايوان، ويتم التجميع في أندونيسيا والفلبين والصين أمَّا التصميم والقوالب فيتم الحصول عليها من الولايات المتحدة مع الدهان الخاصّ بها، وتقدم الصين المنسوجات اللازمة لملابس الدمية وحينما تترك (باربي) ميناء هونج كونج تكون قِيَمتها 2 دولار منها 35 سنتاً تكاليف العمل الصينيّ و65 سنتاً تكاليف المواد الأوليَّة والباقي تغطي تكاليف النقل، وتباع الدمية في الولايات المتحدة بحوالي عشرة دولارات، وتباع الدمية بمعدل دميتين في الثانية محققة دخلاً لشركة "ماتل" (Mattel) وصل عام 1995 1.4 مليار دولار أمريكيّ[10].

ويرى (محي الدين) أنَّ النظريات التقليديَّة السائدة كانت تفسر جزءاً من هذه الزيادة وهي عاجزة عن تفسير الجزء الأكبر؛ لأن فروض هذه النظريات ونماذجها هي فروض بعيدة عن الواقع؛ إذ لم يعد نموذج فورد المتكامل ملائماً في ظلِّ النماذج المتفكِّكة رأسيّاً التي تستند إلى آليَّة التوريد الخارجيّ والتعاقد من الباطن.

وبهذا يقدم الدكتور (عمرو محيي الدين) أطروحة جديدة لتفسير التجارة الدوليَّة تتبنى آليَّة تفكيك الإنتاج الصناعيّ خدمة لاندماج الاقتصاد العالميّ. ونكون في مواجهة لاتجاه جديد من اتجاهات التخصص وتقسيم العمل الدوليّ. والسؤال المطروح هنا هو: إلى أي مدى استطاع العالم النامي إدراك هذه المتغيِّرات التي لا تزال مناهجه العلميَّة تستند إلى فروض نظريات تقليديَّة في تفسير تغييرات عالميّة معاصرة؟ وإلى أيِّ مدى يمكن أن تكون مهارات خريجي المؤسسات التعليميَّة التي تعتمد التلقين والحفظ قادرة على إفراز مخرجات مؤهلة للتعامل مع سلسلة إنتاج صناعيّ منتشر وفق حلقات دوليّة متعددة؟

10. عمرو محيي الدين، مصدر سابق، ص 19.

وهل لديهم لغة عالميّة للتعامل مع هذه الحلقات وبالتالي تحقيق مستوى مقبول من التفاعل الحضاريّ بين الشعوب.

2. خصخصة الخدمات العامَّة:

في ظل عالم متغيِّر لا بُدَّ أنْ يكون هناك دور متغيِّر للدولة خصوصاً في ظلِّ تحالفات جديدة وبروز قوى دوليّة جديدة، وقد تمَّ رسم دور جديد للدولة في ظلِّ إعادة تشكيل المجتمع من منظور (نيو ليبرالي) هذا المنظور الذي يستند إلى تنظير مدرسة شيكاغو أو كما يعرف بالمنهج النقديّ وقد أخذ هذا المنهج طريقه إلى التنفيذ العمليّ في نهاية السبعينات على يد مارجريت تاتشر رئيسة الحكومة البريطانية والممثلة لحزب المحافظين التي تبنت برنامجاً محافظاً يصب باتجاه تقليص دور الدولة في تقديم الخدمات العامَّة، وممَّا عزَّز هذا الاتجاه هو صعود الرئيس الجمهوري رونالد ريغان عام 1980 إلى الحكم لكي يتبنى نفس التوجه، وكلاهما شكل ما يمكن أن نطلق عليه مدرسة جديدة سُمِّيَتْ بالليبراليين الجُدُد، وقد أفرزت هذه المدرسة اتجاهاتٍ جديدةً في تقسيم العمل بين الدولة والقطاع الخاصّ في ظل هجوم حادٍّ على الجبهة الاجتماعيَّة وسياسة التشغيل والدَّعم التي تقودها أغلب الحكومات الغربيَّة، وممَّا زاد من نجاح هذا التوجُّه هو الانتعاش الكبير الذي حقَّقته أمريكا وأوروبا في منتصف الثمانينات وهذا أفسح الطريق لبرنامج واسع للخصخصة بدأ في بريطانيا وانتشر في جميع أنحاء العالم وقد تبنت حكومات الخضر والاشتراكيين الديمقراطيين أو ما يطلق عليها اليمين البرجوازي هذه السياسات[11].

فبرز مفهوم الخصخصة كعنصر رئيس من عناصر إعادة تشكيل المجتمع وفق منظور "نيو ليبرالي" وقد جاءت هذه الموجة متوافقة مع إعادة هيكلة الصناعة بإشكال جديدة من تقسيم العمل وتنظيمه، وأنَّ الهدف الأساس

11. انظر عباس الفياض وصباح الأمامي، الخصخصة وتأثيرها على الاقتصاد الوطني، مركز الكتاب الأكاديمي للتوزيع والنشر، الأردن عمان، 1997.
انظر كذلك، الاستير بونيت، ترجمة أحمد مغربي، فكرة الغرب في الثقافة والسياسة والتاريخ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر 2018، ص 229.

لهذه السياسة الجديدة هو رفع فائض القِيَمة وخفض تكاليف الأجور وبالتالي تحقيق الأرباح وخلق بنيات إنتاج فائقة المرونة وبالغة التخصص. وتحت إضفاء مشروعية للخصخصة تم تقليص الطابع الاجتماعيّ للأرباح وتوزيع جديد للثروة من خلال إجراءات مآليَّة جديدة تؤدي إلى خفض الضرائب على الثروة وتقليص قدرة الدولة على التدخل في مجال الاقتصاد[12]. لذا برزت اتجاهات جديدة في تقسيم العمل بين الدولة والقطاع الخاصّ أوكلت بموجبها مهامَّ جديدة للقطاع الخاصّ وتخفيف كاهل الدولة فبرزت ظاهرة جديدة عرفت بتخصيص الخدمات العامَّة أي أنَّ المهامَّ التي كانت حِكْراً على الدولة لم تَعُدْ كذلك، فتمَّ خصخصة بعض القطاعات الأساسيَّة مثل التعليم، الاتصالات، البريد، الصحة، خدمات المياه.. إلخ من الخدمات التي طالما احتكرتها الدولة حتى شاء للبعض أن يصف الرأسمآليَّة في مرحلة النهب المنظم للملكية العامَّة والموارد الطبيعيَّة، بهذا يرى الليبراليون الجُدُد أنَّ الخدمات العامَّة هي سلعة كغيرها من السلع ينبغي إخضاعها إلى قوانين السوق بهدف تحسين أدائها البطيء في ظلِّ القطاع العموميّ.

إنَّ زحف القطاع الخاصّ على الخدمات التي كانت حكراً على الدولة والقطاع العام يضعنا في مواجهة متغيِّرات اقتصاديَّة واجتماعيَّة في غاية الأهميَّة، إذ إنَّ خصخصة الخدمات العامَّة تعني هجوماً شرساً على الحماية الاجتماعيَّة التي كانت تمثل أحد أركان شرعيَّة سلطة الدولة، ورفع هذه الحماية يضعف هذه السلطة ويشعر الأفراد بعدم الاستقرار وضعف الرغبة في الانتماء إلى القطاع الحكوميّ كونه أصبح غير قادر على مواكبة القطاع الخاصّ سواء في الأداء أو المردود الماديّ.

إنَّ التحوُّل إلى خصخصة الخدمات العامَّة هو تحوُّل اقتصادي مهمٌّ ولا يتوقف أثره على الجانب الاقتصادي بل يمتد ليحدث تغيير كبير على الجانب القِيَميّ والثقافيّ، وقد أشارت منظمة "الإسكوا" التابعة للأمم المتحدة إلى (أنَّ

12. عباس الفياض وصباح الأمامي، نفس المصدر السابق، ص 57.

التغييرات الاقتصاديَّة لا يتوقف أثرها على الجانب الاجتماعي والتنظيميّ بل يمتد إلى الجانب الثقافيّ للسكان المحليين)[13] والمشكلة تكمن هنا في السرعة التي تحدث فيها هذه التغييرات التي غالباً ما تكون مفروضة بالنسبة للبلدان النامية التي استجابت بسرعة إلى محاكاة هذه التغييرات الدوليَّة وقرَّرت خصخصة جزء كبير من الخدمات العامَّة دون أن تكون الظروف الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة ناضجة بما يكفي لاستيعاب هذه التغييرات. إنَّ تقليص دور الرِّعاية الاجتماعيَّة للدولة من خلال خصخصة الخدمات العامَّة هو تحوُّل اقتصاديّ عنيف يحتاج إلى مواءمة بين التحول الاقتصادي والبُعد الثقافيّ؛ لأن القطاع الخاصّ المندفع بقوة نحو الاستحواذ على القطاعات الخدمية لن يكتفي بالنشاط المحليّ، وسوف يحاول أن يوسع نشاطه ليكون دوليّاً وهذا لن يتم ما لم يتم إشاعة قِيَم جديدة للأفراد أهمُّها ثقافة (العمل، البحث، التدريب وتطوير المهارات الفرديَّة)[14] التي تعرضت للخمول إبَّان فترة الخدمات الحكوميَّة.

فنحن أمام قِيَم جديدة للسكان تؤهِّلهم للتكيُّف مع آليَّات جديدة للاندماج مع المجتمع الدوليّ. فثلاثية (العمل، البحث، التدريب) هي قِيَمٌ مهمَّة أفرزها تراجع دور الدولة في رعاية وإدارة الخدمات العامَّة وهي قِيَم أساسيَّة للعمل وفق الاتجاهات الجديدة للنظام العالميّ والتفاعل بين الشعوب والأمم.

بالإضافة إلى ما أشارت إليه الأمم المتحدة حول تفاعليَّة العلاقة بين التحوُّل الاقتصادي والبعد الثقافيّ ففي تقديرنا أنَّ التحوُّل الاقتصاديّ في مجال خصخصة الخدمات العامَّة وتقليص دور الدولة لم يقتصر تأثيره فقط على تطوير ثقافة العمل والتدريب بل امتد أيضاً ليشمل ويعيد تشكيل ما يعرف بجنوسة العمل (أي تقليل التمايز بين النساء والرجال في العمل والأجر) فمع هجوم القطاع الخاصّ على احتكار الدولة للخدمات توفرت فرصة ذهبية لمزيد

13. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة/ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، البعد الثقافي للتنمية/ نحو مقاربة عملية، 1997، ص 116.

14. "الإسكوا"، البعد الثقافي للتنمية، مصدر سابق، ص 193.

من انخراط النساء في العمل وبأجور متكافئة مع الرجال، وهذا لا يعني أنَّ القطاع الحكوميّ كان يضع قيوداً على عمل النساء بل إنَّ ثقافة المجتمعات خصوصاً في مناطق آسيا وأفريقيا تسعى لذكورية القطاع الحكوميّ؛ لأنَّ فرص العمل فيه والمواقع القيادية ترتبط في أحيان كثيرة لاعتبارات لا تتعلق فقط بالكفاءة على عكس القطاع الخاصّ الذي استفاد من مهارة العنصر النسوي ومرونته الكبيرة للتكيُّف مع آليَّات عمل القطاع الخاصّ وأشار (راخي كومار) من شركة "ستيت ستريت" للاستشارات العالميَّة أنَّ هناك طفرة في اهتمام المستثمرين بكيفيَّة تشجيع التنوُّع بين الجنسين في مجالس إدارات الشركات، وعلى مستوى كبار المسؤولين التنفيذيين[15] فحدث تغيير هيكليّ مهمٍ في جنوسة العمل (التوازن بين الجنسين) التي أصبحت قِيَمة مهمَّة للحداثة والقبول الدوليّ وتعدُّد الثقافات[16].

3. قوة جديدة ومؤثِّرة في بنية التجارة العالميَّة:

في ضوء منهجيَّة الدِّراسة التي تسعى إلى تحديد المسارات الجديدة للتخصُّص وتقسيم العمل الدوليّ في ظلِّ نظام عالميّ جديد تمَّ تشخيص ظاهرة تفكُّك عمليَّة الإنتاج الصناعيّ من المستوى الأفقي إلى المستوى الرأسي وقد أشارت الدِّراسة إلى أنَّ هذا ساهم إلى حد كبير في زيادة وتيرة التجارة العالميَّة وخصوصا في المجال السلعيّ، ولاحظنا أنَّ هذا قد انعكس على دور جديد للدولة في علاقتها مع القطاع الخاصّ، فكان لا بدَّ لها أن تنحسر وتعطي الكثير من مهامِّها الأساسية إلى القطاع الخاصّ تحت شعار الخصخصة، وعلى نفس هذه المنهجيَّة في التحليل نجد أنَّ الدعوة إلى الحريَّة التجاريَّة وتفعيل آليَّات السوق قد أسهمت ببروز قوى جيدة في التجارة العالميَّة يمكن القول: إنَّها سوف تكون فاعلة في إعادة هيكلية التجارة العالميَّة وتقسيم العمل الدوليّ.

15. راخي كومار، المرأة والنمو، مجلة التمويل والتنمية، صندوق النقد الدولي، مارس 2019، صفحة 21. www.imf.org

16. أوما ناريان وساندرا هاردنغ، ترجمة يمنى الخولي، نقض مركزية المركز الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد استعماري ونسوي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2013، ص 57.

وقد يكون (Witter Singhai) من أبرز من تنبهه إلى هذه التغييرات الهيكليَّة عندما أشار إلى أنَّ هناك تقسيماً جديداً للعمل أُطْلِقَ عليه (تقسيم العمل التعويضي) والذي يمكن أن يتم بين بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصاديَّة ذات الإنتاجيَّة المرتفعة وبين البلدان الآخرى ذات الإنتاجيَّة الأقل والتي سوف يؤدي هذا التقسيم إلى إزاحة هذه البلدان من التنافس الدوليّ؛ ممَّا يؤدي إلى تهميشها، يضاف إلى هذا أنَّه سوف تبرز ظاهرة (التغاير الهيكليّ) أي عدم تجانس قطاعاتها الاقتصاديَّة، وهذا ما يعزِّز ظاهرة التكامل الرأسي التي تمت الإشارة إليها[17]. قد يكون تحليل (Singhai) يستند إلى درجة عالَيَّة من الموضوعية إلا أنَّنا نجد أنَّه قد أغفل أو تجاهل حقيقة أنَّ آليَّات العولمة وثقافتها قد عزَّزت دون أن تهمِّش قوى اقتصادية جديدة يمكن أن تكون قادرة في التأثير في بنية التجارة العالميَّة وتقسيم العمل الدوليّ.

إنَّ النِّظام العالميّ الجديد وهو يسعى إلى تنميط وإشاعة ثقافة العولمة كان قد انتقل إلى مرحلة تسخير منظمات الأمم المتحدة لتنفيذ برامجه سواء من خلال برامج صندوق النقد الدوليّ أو منظمة التجارة العالميَّة وكانت المحصِّلة في سياسات وضغوطات هذه المنظمات المرتكزة على الدعوة بمزيد من الحريَّة الاقتصاديَّة والسياسيَّة أن تبرز الصين كقوة تجاريَّة عالميّة لها مساحتها الواسعة في بنية التجارة العالميَّة خصوصاً عندما اختارت الصين سياسة الانفتاح على العالم الخارجي ولعب دور الدَّاعم للتجارة العالميَّة وأظهرت تفهماً كبيراً للعولمة والحريَّة الاقتصاديَّة، وقد تعزَّز هذا في انضمامها إلى منظمة التجارة العالميَّة في ديسمبر عام 2001. وخلقت ظروفاً ممتازة لإجراء التعاون الاقتصاديّ والتكنولوجيّ الدوليّ. ولقد نظمت وعدلت الصين حوالى 3000 قانون ولائحة ونظام قطاعيّ، ممَّا يكمل نظام القانون الاقتصادي المتعلق بالأجانب بلا انقطاع، ويزيد من شفافية السياسات التجارية باستمرار. ووفقاً لتعهداتها

17. ويتر سينغهاي، الحداثة والحداثة المضادة للعولمة، مجلة التمويل والتنمية، صندوق النقد الدولي، ديسمبر 2016، www.imf.org

خفضت رسومها الجمركيّة بالتدريج، فانخفض معدل مستوى رسومها الجمركيَّة إلى 9.9% عام 2005، كما ألغت معظم الإجراءات غير الجمركيَّة. وأسرعت خطوات الانفتاح على العالم الخارجيّ في مجالات تجارة الخدمات مثل القطاع المصرفيّ والتأمين والأوراق المالّيَّة والتوزيع، وقد فتحت الصين أكثر من 100 قطاع أي 62.5% من بين الـ160 قطاعاً لتجارة الخدمات والمصنفة من منظمة التجارة العالميَّة، بما يقترب من مستوى الدول المتطوِّرة. ونشطت الصين في دفع جولة جديدة من المفاوضات التجارية المتعددة الأطراف بنشاط؛ حيث شاركت في المفاوضات لمختلف الموضوعات على نحو شامل، وأجرت سلسلة من المشاورات المتعددة الأطراف والثنائية في المفاوضات حول الزراعة والسماح للمنتجات غير الزراعية بالنفاذ إلى السوق وتجارة الخدمات وغيرها، ولعبت دورها البنَّاء لدفع الاتصالات وتخفيف الخلافات بين الأعضاء النامين وبين الأعضاء المتطورين في منظمة التجارة العالميَّة. وقدمت الصين مع سائر أعضاء المنظمة مساهمات مهمَّة من أجل تحقيق تقدم جوهري في المفاوضات والتوصل إلى اتفاق في أسرع وقت ممكن.

ومع تعميق مشاركة الصين في التعاون الإقليميّ باستمرار. تتسارع مسيرة بناء منطقة الصين – الآسيان للتجارة الحرة، وتم رسمياً توقيع (معاهدة تجارة البضائع) و(معاهدة آليَّة حلِّ النزاعات) في نوفمبر 2004 بعد تطبيق إجراءات الرسوم الجمركيَّة الصفريَّة على المنتجات الزراعية "المحصودة في المرحلة المبكرة"، وفي يوليو 2005، بدأت عمليَّة تخفيض الرسوم الجمركيَّة لمنطقة التِّجارة الحرة على نحو شامل، ممَّا أرسى أساساً لتحقيق هدف بنَّاء منطقة التجارة الحرة. وحتى الآن، دخل بناء منظمة شانغهاي للتعاون في مرحلة التعاون العمليّ على نحو شامل وبدأت عمليَّة تسهيل الاستثمارات التجاريَّة بصورة تامَّة. كما شرعت الصين في إجراء المفاوضات حول مناطق التجارة الحُرَّة بين الصين والاتحاد الجمركيّ لجنوب أفريقيا، وبين الصين ومجلس التعاون الخليجيّ، وبين الصين ونيوزيلندا، وبين الصين وتشيلي، وبين الصين

وأستراليا وبين الصين وباكستان على التوالي، ووقَّعت المعاهدات حول منطقة التجارة الحرة مع الدول ذات العلاقة. إنَّ للصين مشاركة نشيطة وعمليَّة أيضاً في منظمة التعاون الاقتصادي لآسيا والباسفيك ومنتدى التعاون الصيني - الأفريقي ومنتدى التعاون الصيني - العربي ومؤتمر آسيا وأوروبا والتعاون الاقتصادي الإقليمي لمنطقة نهر الميكونغ الكبرى وغيرها من النشاطات. ووقَّعت الصين معاهدات أو بروتوكولات تجارية ثنائية مع أكثر من 150 دولة ومنطقة، والمعاهدات حول حماية الاستثمارات الثنائية مع أكثر من 110 دول، والمعاهدات حول تفادي الازدواج الضريبيّ مع أكثر من 80 دولة، فصارت مشاركة نشيطة في تحرير وتسهيل التجارة والاستثمار الثنائيين.

وتعالج الصين مشكلة المنازعات التجارية وغيرها من المشاكل بصورة مناسبة لدفع التنمية المشتركة لمختلف الدول، متمسكة بمبدأ المنفعة المتبادلة والربح المشترك. أن يحدث بين الدول منازعات تجارية، ذلك أمر طبيعي في التبادلات الاقتصاديَّة الدوليَّة. والتزاماً بالأعراف الدوليَّة وأحكام منظمة التجارة العالميَّة، تثابر الصين على تسوية المنازعات التجارية باللجوء إلى آليَّة حلَّ النزاعات لمنظمة التجارة العالميَّة على أساس الحوار المتساوي، كما تأخذ بعين الاعتبار العوامل الدوليَّة والتأثيرات الدوليَّة، وتهتم بالتعرف على الفوائد الاقتصاديَّة التي تأتي بها التنمية الاقتصاديَّة الصينيَّة إلى العالم الخارجيّ عند وضع وتطبيق سياساتها الاقتصاديَّة الوطنيَّة. ووفقاً لمتطلبات إصلاح الصين وتنميتها الذَّاتيَّة، تفكر بجديَّة في تأثير إصلاح سعر صرف الصين بالنسبة إلى الدول والمناطق المجاورة والاقتصاد العالميّ والمآليَّة الدوليَّة، وتدفع إصلاح آليَّة سعر صرفها على نحو سليم. فتطبِّق نظاماً لتعويم سعر الصرف يتخذ العرض والطلب في السوق أساساً ويمكن تعديله بمراجعة جملة العملات ويخضع للإدارة؛ ممَّا يجعل سعر صرف "الرنمينبي" يحافظ على استقراره الأساسيّ عند مستوى معقول ومتوازن. والصين تعزَّز بلا انقطاع حماية حقوق الملكيَّة الفكريَّة وتكمل نظام القانون لحماية حقوق

الملكيَّة الفكريَّة لتعزيز قوة تنفيذ القانون بجدية وتسديد الضربات الشديدة إلى مختلف النشاطات المخالفة للقانون[18].

وعلى الرغم من ظروف الجائحة الصحيَّة (كوفيد – 19) فقد استمرت الصين في تحقيق تقدمٍ في التجارة الدوليَّة بنسبة 0.7% عام 2020 ارتفع ليسجل 8.1% عام 2021 وتفوقت على الولايات المتحدة في استقطاب الاستثمار في نفس العام وهي تشهد تطوُّراً في التعاون الاقتصاديّ مع دول الحزام والطريق[19].

وفي نوفمبر 2020 تزعمت الصين الإعلان عن اتفاقية الشراكة الاقتصاديَّة الإقليمية للتجارة الحرة بين 15 دولة في آسيا التي يُتَوَقَّع أن تدخل حيز التنفيذ خلال العام 2022، التي تعكس رغبة الصين في مواصلة تمدُّدها في آسيا لما يمثله هذا التكتل من ثِقَلٍ اقتصاديٍّ حيث تمثل الدول الموقعة نحو ثلث اقتصاد العالم بإجمالي ناتج قومي يصل إلى 26 ترليون دولار، إنَّ تنفيذ اتفاقية الشراكة الاقتصاديَّة الإقليميَّة الشاملة يأتي تجسيداً لنداء العصر الداعي إلى بناء اقتصاد عالميّ مفتوح، وإنَّ انفتاح الصين الموسع لن يؤدي فقط إلى تعزيز تنميتها، بل سيعود أيضاً بالفائدة على الدول الآخرى المشاركة في الاتفاقيَّة[20].

إنَّ مشاركة الصين في تقسيم العمل الدوليّ والتعاون فيه، إنَّما هو لصالح توزيع موارد العالم بأسره بصورة معقولة وفعَّالة. فالصين ثاني أكبر قوة اقتصادية اليوم وتُعَدُّ موارد قواها العاملة الوفيرة والتي ترتفع كفاءتها باستمرار مصدر تفوقها الطبيعيّ؛ لتطوير الصناعات الكثيفة، وكذلك الصناعات الكثيفة التكنولوجيا. وتماشياً مع التنمية الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة وارتفاع مستوى معيشة الشعب الصينيّ تزداد متطلبات الصين للمنتجات الكثيفة الرساميل والتكنولوجيا والمعرفة باستمرار، ممَّا يتيح فرصاً كثيرة

18. ماهيناز الباز، الاقتصاد الصيني/ كيف تحولت الصين إلى العملاق الذي نعرفه اليوم، 2019، www.abeqtised.com
انظر كذلك، لين فو، الصين ستظل محرك نمو الاقتصاد العالمي، مركز الاقتصاد الهيكلي الجديد، جامعة بكين، www.chinatoday.com.cn

19. TRADING ECONOMICS, www. tradingeconomics.com

20. نقلاً عن وكالة "CN" الإخبارية، اتفاقية الشراكة الاقتصادية الاقليمية انتصار عظيم لتعددية الأطراف والتجارة الحرة www.arabic.news.cn

لدخول المنتجات والتقنيات والخدمات الأجنبيَّة إلى أسواق الصين، فقد صارت الصين إحدى الأسواق الكبرى المعترف بها عالميّاً وتتصف التجارة الخارجيَّة الصينيَّة بتكامل قوي مع كثير من الدول في العالم؛ لذا أصبحت الصين حلقة مهمَّة من حلقات السلسلة الصناعيَّة العالميَّة التي لا غنى عنها في المنظومة الجديدة لتقسيم العمل الدوليّ.

إنَّ دخول الصين كقوَّة اقتصادية مؤثِّرة في النظام التجاريّ الدوليّ لتبشر بنظام تجاري متعدد الأطراف يكون لآسيا بزعامة الصين دور فاعل في هذا النظام سوف يُفْضِي بلا أدنى شك إلى الحاجة إلى مهارات وقِيَم عمل جديدة للدول التي تروم التفاعل الإيجابيّ في هذا الاتجاه الجديد للنظام العالميّ.

إنَّ التجربة الصينيَّة يمكن أن تكون نموذجاً لجميع البلدان النامية والوطن العربيّ بشكلٍ خاص فهي تتطلب فهماً واستيعاباً لحركة النظام العالميّ الجديد ومعرفة أسلوب التعامل معه؛ لكي نتجنب التهميش الذي طالما بقينا في إطاره؛ ممَّا جعلنا غائبين عن إعادة هيكلة الاقتصاد العالميّ الجديد. إنَّ هناك عوامل داخلية وأخرى خارجية سببت غياب العرب عن المساهمة الفاعلة في النظام العالميّ؛ فغياب المبادرة للعنصر الوطنيَّ وضعف القِيَم المؤسسيَّة والحوكمة كان من أبرز العوامل الداخليَّة. أمَّا الخارجيَّة فهي عزوف الشركات العالميَّة عن الاستثمار في المنطقة العربيَّة وهذا زاد من ابتعاد العرب عن لعب دور فاعل في النظام العالميّ. إنَّ العرب قبلوا بالدور المنفِّذ فقط لنصائح المنظمَّات الدوليَّة في الإصلاح الاقتصاديّ وهم أقصى ما يطمحون له هو الحصول على شهادة حسن السلوك من هذه المنظمات وهم غير مهتمِّين ببقاء نمط تقسيم العمل الدوليّ الذي يبقيهم في دائرة التبعيَّة الاقتصاديَّة وبهذا لم يخرجوا من دائرة الاستجابة لتغيُّرات النظام العالميّ واتجاهات تقسيم العمل الدوليّ[21].

21. منير الحمش، العولمة وتاثيراتها، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012، ص 5-27.
انظر كذلك، بيترجي كاتزنشتاين، ترجمة فاضل جتكر، الحضارات في السياسات العالمية وجهات نظر مرجعية وتعددية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2012، ص 152.

في تقديرنا أنَّ التعامل مع نظام تجاريّ متعدد الاطراف تحتدم فيه منافسة شرسة يتطلب إعادة تاهيل العنصر الوطنيّ وتعزيز ثقته بنفسه من خلال بثِّ روح المبادرة وتنمية القدرات التفاوضية وهي قِيَم مهمَّة للتعامل مع هذا النظام، وهذا لن يكون دون إشاعة الثقافة المؤسَّسية ورفع معايير الحوكمة لهذه المؤسسات، هذه القِيَم هي الكفيلة بإفراز نظام فعَّال لتقييم الكفاءات الوطنيَّة وتحقيق مبدأ العدالة في توزيع الفرص والمناصب القيادية. وبدون هذا سوف تبقى الدول العربيَّة خارج حركة نظام دوليّ متعدِّد وتنافسيّ.

من خلال ما تمَّ عرضة لإبراز الاتجاهات الجديدة للنظام العالميّ والتحديَّات التي تخلقها هذه الاتجاهات يمكن أن نشير إلى قِيَم مهمَّة تحكم سلوك التفاعل والاندماج في هذا النظام أبرزها هي:

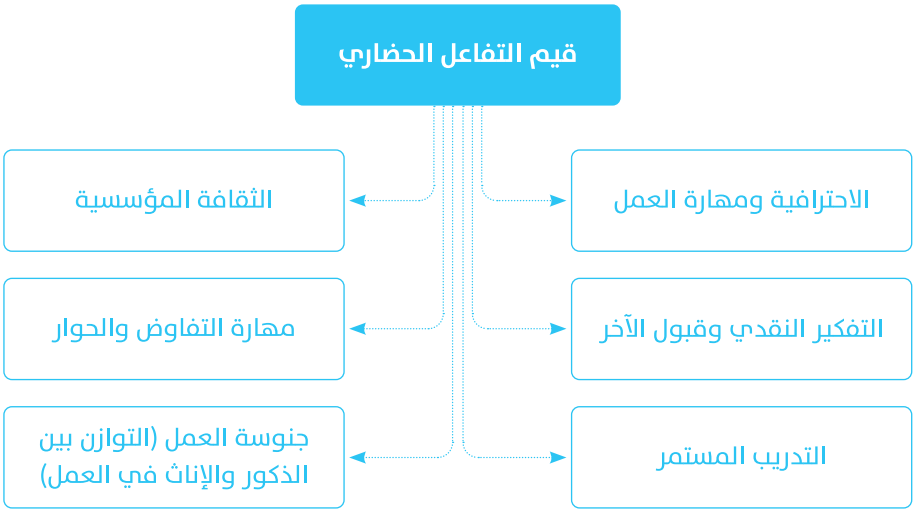

هذه القِيَم والمهارات التي يتعيَّن على الأمم التسلح بها إذا رغبت في التفاعل الحضاريّ في ظلِّ اتجاهات جديدة للنظام العالميّ، وفي تقديرنا أنَّ غياب هذه القِيَم كضوابط تحكم السلوك البشري للأمم يجعلها منعزلة وغير قادرة على مواكبة التفاعل الحضاريّ بين هذه الأمم.

وفي تقديرنا أنَّ المجتمعات العربية اعتقدت خطأً أنَّ التفاعل الحضاريّ يتمُّ عبرَ إعادة تشكيل النظام السياسيّ على أسس ديمقراطيَّة كطريق للاندماج العالميّ ومحاكاة المجتمعات المتقدمة، في حين اهملت قِيَم سلوكية مهمَّة كان يتعين تعزيزها قبل البدء في الإصلاح السياسي، فالنظام الديمقراطي لا يمكن القفز إليه قبل ترسيخ قِيَم سلوكيَّة للمجتمع أبرزها قبول، الآخر وتمكين المرأة وتطوير المهارات؛ لأنَّه سوف يصبح غير موافق وغير منسجم مع المجتمع، وأنَّ المَّارسات الديقراطيَّة للنظام السياسيّ سوف تكون نتيجة طبيعة إذا ما تمَّ تفعيل قِيَم التفاعل الحضاريّ أولاً بحيث تصبح سلوكاً في التفكير والمَّارسة للمجتمع.

النتائج الرئيسة:

1. محاولات المجتمعات البشريَّة في التفاعل الحضاريّ والعيش المشترك قديمة ومستمرة ولكنها تتطور وفقاً للتطورات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة للنظام العالميّ.

2. التفاعل الحضاريّ بين الأمم يرتكز إلى قِيَم وممَّارسات سلوكية لا يمكن ترسيخها بدون فلسفة ومناهج تعليم تعمل على تطوير التفكير النقديّ والمبادرة الفرديَّة.

3. أفرز النظام العالميّ المعاصر اتجاهاتٍ جديدةً في تخصصات الحكومة والقطاع الخاصّ وسير العمليَّة الصناعيّة والتعدديَّة التجاريَّة، وهذه الاتجاهات بحاجة إلى قِيَم ومهارات جديدة تمنح فرصاً للدول بالاندماج والتكيُّف مع هذه الاتجاهات.

4. قبول الآخر وتطوير المهارات والثقافة المؤسَّسية والتوازن في العمل بين الجنسين هي القِيَم المطلوبة للتفاعل والاندماج الحضاريّ في المرحلة الراهنة.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب

1. إدريس مقبول،الحوار الحضاريّ، دراسة في النظام المعرفي والقِيَمي القرآني، جامعة قطر، جائزة قطر العالميَّة لحوار الحضارات، الدوحة، 2018.
2. إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.
3. الاستير بونيت، فكرة الغرب في الثقافة والسياسة والتاريخ، ترجمة أحمد مغربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر 2018.
4. أوما ناردیان وساندرا هاردنغ، نقض مركزية المركز الفلسفة من أجل عالم متعدد الثقافات بعد استعماري ونسوي، ترجمة يمنى الخولي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2013.
5. بيترجي كاتزنشتاين، الحضارات في السياسات العالميَّة وجهات نظر جمعية وتعددية، ترجمة فاضل جتكر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2012، ص 152.
6. خليل حسين، النظام الدوليّ ومستقبل العالم الثالث، المركز اللبناني للبحوث والتوثيق والإعلام، بيروت 1991.
7. عمرو محيي الدين، العولمة والتغييرات الجوهرية في بنية الاقتصاد العالميّ، بنك الكويت الصناعيّ، الكويت، 2002.
8. عباس الفياض وصباح الإمامي، الخصخصة وتأثيرها على الاقتصاد الوطني، مركز الكتاب الأكاديمي للتوزيع والنشر، الأردن، عمان، 1997.
9. فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، 1993.
10. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة/ اللجنة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة لغربي آسيا، البعد الثقافيّ للتنمية/ نحو مقاربة عمليَّة، 1997.
11. ميلتون فريدمان، الحرية والرأسمآليَّة، ترجمة مروة عبدالفتاح شحاته، مؤسسة هنداوي للنشر، 2011.
12. منير الحمش، العولمة وتأثيراتها، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012.
13. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت. 1984.
14. ويل كيلميا، أوديسا التعددية الثقافيّة، ترجمة إمام عبدالفتاح/ سير السياسات الدوليَّة في التنوع، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2011.

ثانياً: الدوريات

1. راخي كومار، المرأة والنمو، مجلة التمويل والتنمية، صندوق النقد الدوليّ، مارس 2019، www.imf.org.
2. ويتر سينغهاي، الحداثة والحداثة المضادة للعولمة، مجلة التمويل والتنمية، صندوق النقد الدوليّ، ديسمبر 2016، www.imf.org

ثالثاً: المواقع الإلكترونية

1. بشار عباس، التعليم العربي إمام تحديات مجتمع المعلومات، النادي العربي للمعلومات في دمشق، منشور على الموقع، www.albyan.com
2. خليل حسين، النظام العالميّ ماضياً ومستقبلاً، منطق القوة بمفاهيم جديدة وأساليب أكثر قسوة، منشور في شبكة المعلومات الدوليَّة، www.ahewar.org
3. لين فو، الصين ستظل محرك نمو الاقتصاد العالميّ، مركز الاقتصاد الهيكلي الجديد، جامعة بكين، www.chinatoday.com.cn
4. محمد علي السقاف، "الحكومة العالميَّة، يوتوبيا أم احتمال مستقبلي، www.aawsat.com
5. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، إعادة التفكير في التربية والتعليم، نحو صالح عام عالميّ، اليونسكو www.unesdoc.unsco.org
6. انظر مريم عبدالله النعيمي، فلسفة التقويم المستمر في ظل النظام التعليمي الأساسي، www.etqm.net
7. ماهيناز الباز، الاقتصاد الصيني/ كيف تحولت الصين إلى العملاق الذي نعرفه اليوم، www.abeqtised.com

تحالف الأمم المتحدة للحضارات وبناء السلام

د. حنان ملاعب
خبير قانوني - وزارة الخارجية - دولة قطر

الملخَّص:

يسعى هذا البحث إلى التعريف بمبادرة "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" التي تأسست عام 2005، بعد مبادرة "الحوار بين الحضارات" التي أُنشئت عقب أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001. كانت الغاية من هذا التحالف، البناء على إنجازات المبادرات التي سبقته، والعمل بأسلوب إضافيّ ومختلف، لمنع وقوع النزاعات أو تفاقمها أو استمراها أو تكرارها. وكان تأسيسه ضروريّاً خاصَّة لـ"بناء السلام" الذي يتميَّز بكونه عمليَّة يمكن أن تتمَّ قبل وأثناء وبعد الصراعات. اتَّسم هذا التحالف بمزايا جمَّة، تبلور قسم منها في المنتديات التي جمعت الدول والمنظمات الحكوميَّة وغير الحكوميَّة والقطاع المدنيّ معاً، ونجح على إثرها في تحقيق بعض أهدافه، وفشل في بعضها الآخر. واجه هذا التحالف الكثير من الانتقادات، وقابلته جملة من التحديَّات، ساهمت في عرقلة إحرازه لبناء السلام، خاصَّة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا التي لا تزال تعاني من النزاعات الداخليَّة والدوليَّة. ما يقتضي تعزيز الجهود الجماعيَّة لتجسيد كلِّ أهداف هذا التحالف مستقبلاً، وأهمُّها بناء السلام.

United Nations Alliance of Civilizations and Peacebuilding

Dr. Hanan Malaeb
Legal Expert - Ministry of Foreign Affairs - State of Qatar

Abstract:

This research seeks to introduce the "United Nations Alliance of Civilizations" initiative, which was established in 2005, after the "Dialogue among Civilizations" initiative, which was established after the events of September 11, 2001. The purpose of this alliance was to build on the achievements of the initiatives that preceded it, and to work in an additional and different way, to prevent the occurrence, exacerbation, continuation, or recurrence of conflicts. Its establishment was particularly necessary for "peacebuilding", which has the advantage of being a process that can take place before, during and after conflicts. This alliance was characterized by many advantages, some of which crystallized in the forums that brought together countries, governmental and non-governmental organizations and the civil sector together, and as a result, it succeeded in achieving some of its goals, and failed in others, This alliance has faced a lot of criticism, and has been met with a number of challenges, which have contributed to hindering its achievement of peacebuilding, especially in the Middle East and North Africa region, which is still suffering from internal and international conflicts. This requires strengthening collective efforts to embody all the objectives of this alliance in the future, the most important of which is peacebuilding.

المقدِّمة:

تنامى استخدام مصطلح "التحالف" في العلاقات الدوليَّة، مقروناً بمصطلحي "الحضارات" و"بناء السلام"، خاصَّة بعد أن أقرَّ النظام الدوليّ بوجود الاختلاف بين الحضارات في الاتفاقيَّات والإعلانات المعنيَّة بحقوق الإنسان، وبعد أن حاولت البشريَّة إيجاد سبل مشتركة لتكون أساساً للعيش بسلامٍ. إلَّا أنَّ التاريخ الحديث، بما شَهِدَه من حروب، كشف نقائص تلك النصوص والمحاولات، وأكَّد على الحاجة لشيءٍ إضافيّ ومختلف يُمكّن البشريَّة من أن تعيش معاً دون صراعات. فتبلورت الأفكار والمبادرات لتأمين تلك الحاجة، وكان من بينها مبادرة "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" التي تأسَّست عام 2005 في رحاب هيئة الأمم المتحدة. تمَّ على إثرها عقد العديد من المنتديات الخاصَّة بهذا التحالف، وكان هدف منتدى التحالف عام 2018، التركيز على التكامل بين هذا التحالف و"بناء السلام"، ودعوة المشاركين في المنتدى لاستكشاف طرق مبتكرة لمنع النزاعات كمسار لاستدامة السلام؛ لذلك سنسعى في هذا البحث إلى التعرُّف على ماهيَّة هذا "التحالف، و"بناء السلام"، وتأثير هذا التحالف على بناء السلام.

يكتسب هذا البحث أهميَّته من كونهِ يُعالج موضوعاً حديثاً، يتعلق بالأوضاع الدوليَّة الحاليَّة والمستقبليَّة، ما يُضفي عليه ميزة الفرادة، خاصَّة مع ندرة المراجع العلميَّة حول موضوعه، وتحديداً تلك المحرَّرة باللغة العربيَّة. وينطلق من فرضيَّةٍ مفادها وجود آثار إيجابيَّة لهذا التحالف على بناء السلام، مع احتمال توفر ما يعترض نجاحه. للتأكُّد من صحة هذه الفرضيَّة، اعتمدنا جملةً من المناهج العلميَّة، أهمها الوصفيّ والتاريخيّ والاستنباطيّ، وتمّ حصر "حدود البحث الزمنيَّة" بالفترة الممتدة من تاريخ إنشائه ولغاية يومنا هذا، في حين اتسعت "حدوده المكانيَّة" لكافَّة بقاع المعمورة.

ينقسم البحث إلى مبحثين:

- **الأول: تعريف "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" و"بناء السلام".**
- **الثاني: تأثير "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" على "بناء السلام".**
- **الكلمات المفتاحية: تحالف الأمم المتحدة للحضارات، بناء السلام.**

المبحث الأوَّل:
تعريف "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" و"بناء السلام"

ثَمَّةَ مقولةٌ قديمةٌ تُشيرُ إلى أنَّه، إذا كان هناك شخصٌ واحدٌ في العالم، عُرِفَ "السلام". وإذا كانا شخصين، عُرِفَ "الصراع". وعندما يكونون ثلاثةً، يُعرَفَ "التحالف". ولأنَّ هذه المصطلحات هي محور هذا البحث، سنتعرف فيما يلي على مفهوم "التحالف" بشكلٍ عامٍّ، و"تحالف الأمم المتحدة للحضارات" بشكلٍ خاصٍّ، وسنلقي نظرةً على "بناء السلام".

• المطلب الأول: ماهية "تحالف الأمم المتحدة للحضارات"

للاطلاع على تعريف هذا التحالف، سنبدأ بتعريف كلٍّ من مصطلحَي "التحالف" و"الحضارات".

أولاً: تعريف التحالف Alliance

في اللغة، كلمة أصلها الاسم (تَحَالُف) في صورة مفرد، والمصدر (حِلْفٌ). ويُقال: الحِلفُ هو العهد بين القوم، والْمُحَالَفَةُ هي الْمُعَاهَدَةُ.

أمَّا في المصطلح، فيُراد بالتحالف "ائتلاف أو صداقة بين طرفين أو أكثر، يُعقد من أجل تحقيق الأهداف والمصالح المشتركة".

يُعرف "التحالف" في القانون الدولي، بأنَّه علاقة تعاقدية بين دولتين أو أكثر، يتمُّ من خلالها اتخاذ خطوات الدعم المتبادل في حالة الحرب، وهو بديل لسياسة الانعزال. ينشأ، عن معاهدة موقَّعة بين الأطراف، ويلتزم كلٌّ منهم بموجبها بتقديم الدعم السياسيَّ والعون العسكريّ، إلى الطرف الآخر.

التحالف ظاهرة قديمة، تقتضيها طبيعة البيئة الدوليَّة القائمة على تعدُّد القوى والسياسات. يتمُّ الاعتماد عليه لحماية الأمن القوميّ للدول والدفاع عن مصالحها الوطنيَّة. يتطلب وجود مصالح مشتركة وثيقة لقيامه، وهذا ما يُعَبّر عنه في اللغة السياسيَّة بالقول: "ليس في العلاقات الدوليَّة صداقة دائمة أو عداوة دائمة، بل مصلحة دائمة". علماً بأنَّ هناك دوافع كثيرة لإبرام التحالفات، أهمُّها: ردع الأعداء، والسعي إلى زيادة القوة. أما أنواع الأحلاف، فيمكن تصنيفها وفق المعايير التالية:

- من حيثُ قانونيَّتُها: أحلاف رسمية تستند إلى معاهدات، يتحمل الحلفاء بمقتضاها التزامات قانونية صريحة. وأحلاف غير رسميَّة، لا تتطلَّب أيَّ تعهد رسمي.
- من حيثُ عددُ أعضائها: أحلاف ثنائيَّة تقوم بين دولتين. وأحلاف جماعيَّة: تتكون من ثلاث دول أو أكثر.
- من حيثُ هدفُها: أحلاف دفاعيَّة، وهي الغالبة، تنشأ بدافع الخوف من خطر مشترك يتهدد الدول المتحالفة. وأحلاف هجومية، تستهدف الهجوم على الغير، وتكون عادةً سرية.
- من حيثُ زمنُها: أحلاف مؤقَّتة، تنقضي بانقضاء مُدَّتها. وأحلاف دائمة، لا يُحدَّد لها أجل معين لانقضائها.
- من حيثُ علانيَّتُها: تحالفات علنيَّة، تكون معروفة للعالم. وتحالفات سريَّة، لها طبيعة هجوميَّة.
- من حيثُ بُعدُها الجغرافيّ: أحلاف بين الدول المتجاورة جغرافيّاً، وتكون قويَّة ومتينة، بسبب الجوار ووحدة الهدف. وأحلاف بين دول متباعدة جغرافيّاً، يربط بينها وحدة الهدف.
- من حيثُ دوافعُها: أحلاف عسكريَّة، مثل "حلف شمال الأطلسيّ". وأحلاف

اقتصاديَّة، مثل "النمور الآسيويَّة". وأحلاف ذات دوافع منوَّعة، "كحِلْفِ عاصفةِ الحزمِ 2015"[1].

للتحالفات إيجابيَّات، تتمثل في الحدِّ من طموح القوى المعادية من تهديد الدول المتحالفة. بالمقابل، لها سلبيَّات، إذ تزيد من شعور الدول بالخطر وعدم الأمن، وتؤدِّي إلى تفاقم التوتُّر الدوليّ. وخير شاهد على ذلك، التحالفات التي تمَّت بين (دول المحور) و(دول الحلفاء) وساهمت في وقوع الحرب العالميَّة الأولى.

تجدر الإشارة إلى أنَّنا نعيش اليوم في عصر لم تَعُدْ فيه التحالفات مُقْفَلَةً وصُلْبَةً على أساس الأيديولوجيا الإستراتيجيَّة والسياسيَّة، والتي تمثلت في الماضي بثنائيَّة "الحلف الأطلسيّ" و"حلف وارسو". إذ سقطت الاصطفافات الصُّلبة والمُقْفَلَة والمُسْبَقَة. والمثال على ذلك، "منظَّمة شنغهاي للتعاون" التي تُعدّ تحالفاً جديداً صاعداً من قلب آسيا، وتشهد تمايزات بين أعضائها، وهي ليست حلف وارسو جديداً، كما تصوَّر أو تمنَّى البعض، بل تهدف للبناء على المصالح المشتركة للدول المنضوية فيها والعمل على ما فيه خيرها[2].

ثانياً: تعريف الحضارات Civilizations

في اللغة، "الْحَضَرُ بِفَتْحَتَيْنِ خِلَافُ معنى "البداوة". والحضارة، تدلُّ على نوع خاص من الحياة والرُّقيّ والاستقرار. أمَّا في الاصطلاح، فهي "الكلُّ المركب الذي يجمع بداخله جميع المعتقدات والقِيَم والتقاليد والقوانين والمعلومات...، وأيّ عادات أو سلوكيات... يُمكن أن يحصل عليها الفردُ في مجتمعٍ ما"[3].

تعتمد الحضارات الإنسانيَّة على بعضها البعض، ويتمِّم كلّ منها ما سبقها،

1. د. نور عماد تركي، "التحالفات الدوليّة: إستراتيجيَّة متعددة، لمواجهة التهديدات الإقليمية"، 2021/05/09، متوفر على: https://www.europarabct.com/?p=75402

2. د. نصيف حتي، "منظمة شنغهاي للتعاون في النظام العالميّ الجديد"، صحيفة "الشرق الأوسط"، 2022/09/21. وانظر: د. احمد علّو، "منظمة شنغهاي.. بين تحالف المصالح وصراع الحضارات"، مجلة الجيش اللبناني، عدد 293، أكتوبر 2009.

3. الدكتور فادي الربايعة، "الحضارة (المفهوم ودلالاته)،20/6/2021، متوفر على: https://www.aliftaa.jo/Article.aspx?ArticleId=3512#.YxYYd3ZBw2w

بالرغم ممَّا يُشاع عن تصادمها. علماً أنَّ فكرة إمكانيَّة "تصادم الحضارات" تعود إلى أوائل القرن السادس عشر. ثم تعمَّقت الانقسامات بين الحضارات "الغربيَّة" و"الأخرى"، في القرن السابع عشر، عندما عرضت أوروبا نفسها بأنَّها "حضارية" وأن الأجزاء الأخرى من العالم غير حضاريَّة أو بربريَّة. وتفاقمت هذه الاختلافات في أوائل القرن العشرين، بعد تقسيم العالم إلى مناطق متحضِّرة، وبربريَّة، ومتوحِّشة[4]. المؤسف أنَّ التذرع بـ"الخلافات الحضارية" لا يزال موجوداً، لكن تمَّ تحديد معايير جديدة لتقيّم الحضارات، تعتمد على حقوق الإنسان، الأمن، الديمقراطية، سيادة القانون، التجارة الدوليَّة.. في حين يجب أن تكون المساواة بين الأمم والثقافات هي القاعدة، إلا أن الواقع العالميّ لا يزال بعيداً عن ذلك[5]، لأن "السياسة الدوليَّة ما زالت تُدار بمنطق الدول المتفاوتة القدرات والمصالح والأولويَّات، وليس بمنطق العالم الواحد والإنسانيَّة الواحدة"[6]، ما استدعى الدعوة إلى تحالفها.

ثالثاً: تعريف تحالف الأمم المتحدة للحضارات
United Nations Alliance of Civilizations (UNAOC)

بعد أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001، وجدت الدول الكبرى أنَّه من خلال إقامة "الأحلاف"، يمكن أن يُصبح العالم أكثر توازناً وسلاماً؛ لذلك تأسست عام 2005 تحت رعاية الأمم المتحدة، مبادرة "تحالف الأمم المتحدة للحضارات"، وبرعاية مشتركة من حكومتي إسبانيا وتركيا. كان الهدف منها التعامل مع الانقسامات الحضارية الآخذة في الاتساع، خاصَّة بين المسلمين والمسيحيين، من خلال ربط الدول والمجتمع المدنيّ، للعمل معاً للحدِّ من الصراعات[7].

4. Wouter Werner, "The 'Clash of Civilizations' in International Law", Apr 25, 2018, https://www.e-ir.info/2018/04/25/the-clash-of-civilizations-in-international-law/

5. Ibid.

6. "الخطاب الكامل لصاحب السمو في الجلسة الافتتاحية للجمعية العامة للأمم المتحدة"، صحيفة "الشرق" القطرية، 2022/09/21.

7. Jeffrey Haynes, "The United Nations Alliance of Civilizations and global justice", (2017), Globalizations, 14 (7). pp. 1125-1139, http://repository.londonmet.ac.uk/5148/

ثمَّةَ مبادرة أخرى تقدَّمت على هذه المبادرة، عُرِفَت باسم "الحوار بين الحضارات Dialogue among civilizations (DAC)" تمَّ إطلاقها عام 2001، من قِبَل الرَّئيس الإيراني "السيد محمد خاتمي"[8].

من الجدير بالذِّكر، أنَّ مبادرة "تحالف الحضارات" لم تُنهِ "الحوار بين الحضارات"[9]، لأنَّ "التحالف" لا يمكن أن يَحِلَّ محلَّ الحِوار، ولأنَّ "الصراع يبدأ حيثُ يتوقف الحِوار"؛ لذا يجب أن تبقى الحضارات قادرة على التحدث، لضمان إيجاد القواسم المشتركة فيما بينها[10].

بعد تأسيس تحالف الأمم المتحدة للحضارات، تم تشكيل مجموعة رفيعة المستوى من الخبراء من قبل السيد كوفي عنان (الأمين العام السابق للأمم المتحدة). قدمت هذه المجموعة تحليلاً وتوصياتٍ عمليَّة، وشكّلت الأسس لخطَّة تنفيذ "تحالف الأمم المتحدة للحضارات". ثم حددت عام 2006 مجالات ذات أولويَّة لعمل التحالف، وهي: التعليم، الشباب، الهجرة، الإعلام. وفي عام 2019، أعلن السيد "ميغيل أنجيل موراتينوس Miguel Ángel Moratinos" "النِّساء كوسيطات سلام" ركيزة إضافيَّة لهذا التحالف[11].

واجهت فكرة تشكيل هذا التحالف ردود فعل فوريَّة، تمثلت بما يلي:

- بدايةً، تم الطعن، في استخدام مصطلح "التحالف" في المسمَّى المقترح للمبادرة، بحجة أنه يُشير إلى مواجهة مع عدو يجب البحث عن حلفاء ضده. لهذا، تمَّ اقتراح مصطلح "التحالف بين الحضارات" لأنَّه يصف التبادل

8. Luciano Zaccara Ph.D., "From Dialogue to Alliance of Civilizations: Iranian and Spanish Initiatives Revisited ", International Studies Journal (ISJ) / Vol. 12 / No.3 /Winter 2016/ pp.63-74, https://www.isjq.ir/article_93115_0b0835006e7a49d4dcf38d588afb227b.pdf

9. Seyed Mohammad Khatami, "Dialogue Among Civilizations: Contexts and Perspectives", September 2012, No. 3, Vol. XLIX, 2012, Dialogue among Civilizations, https://www.un.org/en/chronicle/article/dialogue-among-civilizations-contexts-and-perspectives

10. "Given global tensions, Alliance of Civilizations needed more than ever: UN officials", 02 Oct 2015, https://www.indiablooms.com/world-details/F/4532/given-global-tensions-alliance-of-civilizations-needed-more-than-ever-un-officials.html

11. https://www.unaoc.org/who-we-are/

والعالميَّة والعمليَّة المشتركة المنشودة من هذه المبادرة[12]. كذلك تم اقتراح تسمية المبادرة باسم أهدافها بدلاً من تسمية المشاركين فيها، أي أن تُسَّمىَ مثلاً "التحالف من أجل الديمقراطية والسلام" أو "التحالف ضد تجنيد التطرف"، بدلاً من "تحالف الحضارات"[13].

- كما لم يتمَّ التوصل إلى توافق في الآراء حول مصطلح "الحضارة". وكان هناك من يؤيد إسقاط هذا المصطلح، لأن البعض رأى أنَّه يشير إلى التعصب القومي الذي نقله الاستعمار.
- ودار أيضاً نقاش حول من ينبغي أن يكون الفاعلون الرئيسيون المشاركون في الأنشطة المعنيَّة بهذا التحالف. لكن تم التوافق لاحقاً على أن تحالف الحضارات يجب أن تعمل فيه الحكومات والأمم المتحدة والمجتمع المدنيّ، يداً بيدٍ.
- كذلك، كان هناك شكٌّ حول ما إذا كان هذا التحالف سيُقدِّم قيمةً مضافةً إلى المبادرات القائمة بالفعل، خاصَّةً في منطقة البحر الأبيض المتوسط، التي ما زالت تعاني من الصراعات رغم تنفيذ العديد من الأنشطة المماثلة فيها، مثل (منتدى المستقبل، الشراكة الأورو- متوسطية، سياسة الجوار الأوروبية،...)، وكان هناك قلق أيضاً من خطر الازدواجية مع المبادرات السابقة.
- أما بالنسبة للنطاق الجغرافي لهذا التحالف، فتركَّز النقاش حول بديلين:

  - الأول، البِدء بالمنطقة الأوروبية المتوسطية، كمنطقة اختبار، وتوسيعها إلى بقية العالم. لكنَّ هذا الرأي تم رفضه، مع أنَّ هذه المنطقة تعتبر أرضية مناسبة جداً لهذه المبادرة.
  - والثاني، تصميم التحالف كمبادرة عالميَّة النطاق منذ البداية. وكانت حُجَّةٌ من أيَّدَ هذا الرأي: أنَّ الواجب الذي يتعين على التحالف الوفاء به،

12. https://www.unaoc.org/who-we-are/history/

13. Ibid.

يقتضي العمل على نطاق أوسع بكثير، ليس على الصعيد الإقليميّ وحسب، بل أيضاً على الصعيد العالميّ.

- كذلك، أعرب البعض عن شكوكهم في أن تكون هذه المبادرة في إطار الأمم المتحدة، قادرة على مقاومة الهيمنة الأمريكية والغربية، وتخوفوا من أن تُصمَّمَ وفقاً لرغبات الدول الغربيَّة القويَّة.

• المطلب الثاني: دلالات المصطلحات المعنيَّة بـ"السلام"

يُعّرف "السلام" بأنه "ليس فقط غياب الحرب، بل أيضاً حلول الخير للفرد والمجتمع"[14].

يقترن "السلام" عادة بمصطلحات أخرى تجعل له دلالات مختلفة. فيما يلي تعريف بـ"بناء السلام" نظراً لأهمِّيته بين أهداف "تحالف الأمم المتحدة للحضارات"، يليه نظرة سريعة على عمليَّات أخرى معنية بالسلام، ومقارنتها مع عمليَّة "بناء السلام".

أولاً: مفهوم بناء السلام Pace Building (PB)

عَرّفت "لجنة السياسات التابعة للأمين العام للأمم المتحدة"، عام 2007، "بناء السلام"، بأنه ينطوي على مجموعة من التدابير الهادفة إلى تقليل خطر الارتداد إلى الصراع، من خلال تعزيز القدرات الوطنيَّة لإدارة الصراع، ووضع الأسس اللازمة للسلام المستدام.

يُستفاد من هذا التعريف، أنَّ بناء السلام عمليَّة طويلة الأجل، تتحقق بشكل تعاونيّ، يلعب الأفراد والمجتمعات ومنظمات المجتمع المدنيّ والحكومات والهيئات الإقليميَّة والدوليَّة والقطاع الخاصّ، دوراً فيها، ويمكن أن تتم في الحالات التالية:

14. "دليل المصطلحات العربية في دراسات السلام وحل النزاعات المفاهيم الأساسية لحل النزاعات وبناء السالم في العالم العربي"، اصدار جمعية الأمل العراقية، 2018، ص 27.

- قبل وقوع النزاعات[15]، عن طريق التعامل مع المصادر المحتملة لعدم الاستقرار والعنف، وذلك عن طريق إصلاح القطاعات الأمنيَّة والقانونيَّة والصحيَّة والاقتصاديَّة....
- أثناء النزاعات، وقبل تحولها الى صراعات أو حروب.
- وبعد نهاية الصراعات / الحروب، عن طريق إيجاد الاستقرار (بتهيئة الظروف اللازمة لتحقيق سلام مستدام) وترميم مؤسسات الدولة، ومعالجة الأبعاد الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة التي أدَّت للنزاعات، من خلال إنشاء مشاريع التنمية الزراعيَّة بين الدول لتأمين فرص العمل، وتطوير برامج التعليم لتعزيز قدرات الشباب.

لا شكَّ أنَّ هذه المجالات التي يُعنى بها "بناء السلام"، تماثل مجالات تحالف الحضارات الأربعة التي حدَّدتها الأمم المتحدة، وهي كما أسلفنا: العمل، الهجرة، التعليم والشباب؛ لذلك لا عجب في أن يكون "بناء السلام" هدفاً لتحالف الحضارات التي تتفق مع بناء السلام ليس في المجالات وحسب، بل في المكونات أيضاً، علماً أنَّ بعض المفكرين اهتموا بتحديد مكونات بناء السلام، ومن بينهم: "جون بول ليديراخ John Paul Lederach، وكاتي مانسفيلد Katie Mansfield"، اللذان حدَّدا "المكونات الرئيسية" و"الفرعية" لبناء السلام[16]، وابتكرا (عجلةً Wheel) لإيضاح تلك المكونات. فيما يلي بيان موجز بمكونات السلام وفق هذه العجلة:

15. النزاع: لا يعني بالضرورة استخدام العنف والقوة، ولكن يدل على أمور متنازع حولها بين الأطراف. والنزاع قابل للتطور وصولاً إلى الصراع. بينما الصراع: هو النزاع الناتج عن الاختلاف في دوافع الدول وأهدافها، ويبقى دون نقطة الحرب المسلحة، وتتنوع مظاهره، فقد يكون سياسياً أو اقتصادياً أو حضارياً، وأدوات الصراع هي: الضغط، الحصار، والتهديد والعقاب. أمَّا الحرب: فهي التصادم الفعلي بوسيلة العنف المسلح، أي أن الحرب تمثل النقطة النهائيَّة في تطور بعض الصراعات الدوليَّة.

16. "Strategic Peacebuilding Pathways (Wheel)", http://kroc.nd.edu/alumni/strategic-peacebuilding-pathways/

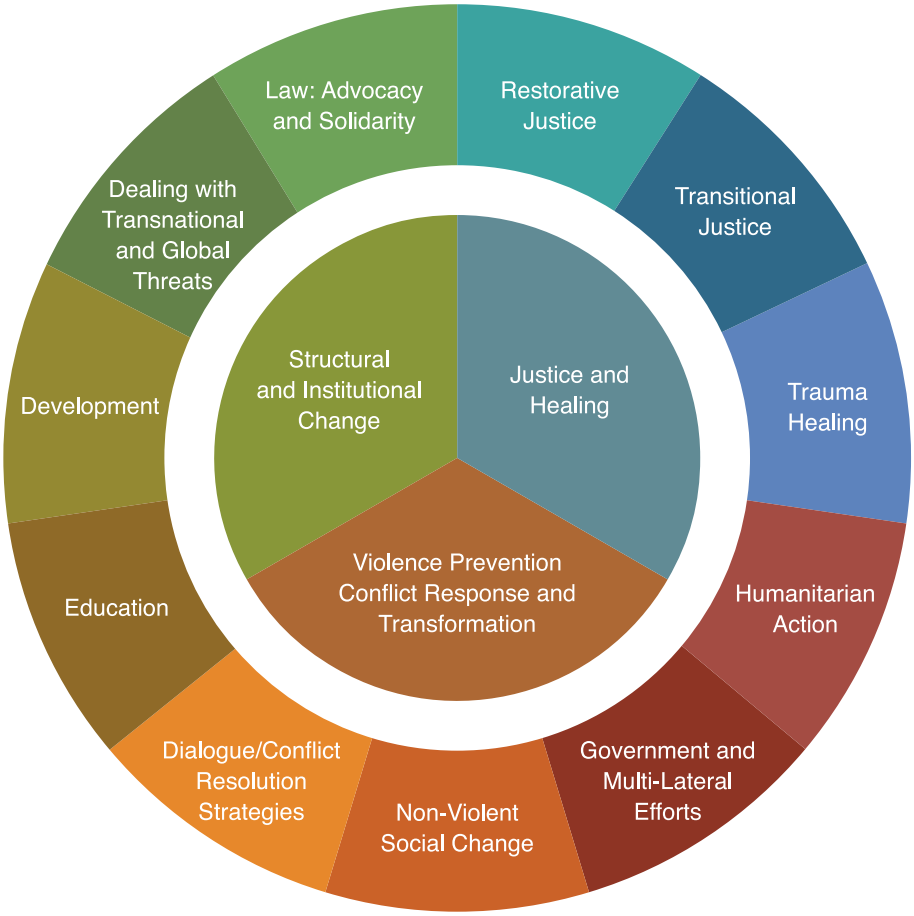

ملاحظة: هذه العجلة متوفرة على:
http://kroc.nd.edu/alumni/strategic-peacebuilding-pathways/

تسلط الدائرة الداخليَّة (في هذه العجلة) الضوء على المجالات الرئيسيَّة لبناء السلام، وهي:

- منع النزاعات العنيفة والاستجابة لها وتحويلها.
- تعزيز العدالة وتضميد الجراح.
- تعزيز التغيير الهيكليّ والمؤسسيّ.

يُلاحظ أنَّ هذه المجالات الثلاثة، تقتضي تضافر الجهود المحليَّة والدوليَّة للقيام بها، وبالتالي تؤكد على أهميَّة التحالفات لبناء السلام.

أما الدائرة الخارجيَّة (من العجلة) فهي للمجالات الفرعيَّة التالية: تحقيق العدالة التصالحيَّة[17] والعدالة الانتقاليَّة[18]، الشفاء من الصدمات، العمل الإنسانيّ، تضافر الجهود المتعدِّدة الأطراف، تأمين التعليم للجميع، تطوير الاقتصاد، التعامل مع التهديدات عبر الوطنيَّة والعالميَّة، تطبيق القانون...[19].

ترمي هذه المجالات الفرعيَّة لبناء السلام المستدام، إلا أنَّه لا يمكن لأيٍّ منها أن يتحقَّق، إلا بتحالف جهود جميع الأطراف الدوليَّة والحكوميَّة والمدنيّة.

ثانياً: مقارنة "بناء السلام" مع عمليَّات أخرى معنيَّة بـ"السلام"

في الأدبيَّات السياسيَّة والقانونيَّة، يتمُّ الإشارة إلى عمليَّات عِدَّة متعلِّقة بـ"السلام". سنتعرف فيما يلي على هذه العمليَّات، ونقارنها مع "بناء السلام" الذي يهدف" تحالف الأمم المتحدة للحضارات" لتحقيقه.

1. صنع السلام Peace Making:

مصطلح جديد، تمَّت صياغته لتسمية وتحديد الأنشطة التي تعمل على استعادة السلام في حالات "الحرب الأهليَّة" و"الصراع الدوليّ"[20]. "يُعرف صنع السلام كـ(اسم)، بأنَّه التوفيق بين شخصين أو مجموعتين، ثَمَّةَ خلاف بينهما. أمَّا صنع السلام كـ(فعل)، فهو تحوُّل عمليّ للنزاع، يركّز على إقامة علاقات عادلة وقويَّة لمنع الصراع في المستقبل"[21].

يتطلب "صنع السلام" استخدام الدبلوماسيَّة والمباحثات والعمل مع جميع الأطراف المتنازعة، لمعالجة أسباب النزاعات. ويتضمن أنشطة عديدة، منها:

17. العدالة التصالحيَّة، هي شكل من أشكال التحوُّل من العدالة العقابيَّة التقليديَّة إلى العدالة التوافقيَّة الرضائيَّة.

18. العدالة الانتقاليَّة، تتكون من آليَّات قضائيَّة وغير قضائيَّة، كتقصي الحقائق والجبر وتدابير مختلفة، وتهدف إلى منع تكرار الانتهاكات. يمكن لتدابير العدالة الانتقاليَّة الناجحة أن تربط المجتمعات ببعضها البعض، لإحلال السلام الدائم.

19. Ibid.

20. Peter J. Lineham, "Peace-making in History", in International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences (Second Edition), 2015, https://www.sciencedirect.com/topics/social-sciences/peacemaking

21. "Peace Making", https://www.definitions.net/definition/peacemaking

الاحتكام الى محكمة العدل الدوليَّة، استشارتها، تقديم مساعدات إنسانيَّة، استخدام الحظر، واستخدام القوَّة المسلَّحة (في بعض الأحيان).

"صناعة السلام" تُعَدُّ نهجاً عالميّاً قديماً للصراعات على جميع المستويات وبين جميع الأطراف، ويمكن تعميم مبادئها واستخدامها في العديد من أنواع النزاعات، حيثُ تسعى إلى تحقيق المصالحة الكاملة بين الخصوم. أي أنَّ صنع السلام ينطوي على وقف نزاع مستمر، بينما عمليَّة "بناء السلام" يمكن أن تتمَّ قبل بدء النزاع أو أثناءه أو بمجرد انتهائه، وبالتالي فهي الخيار الأشمل كغاية لـ"تحالف الأمم المتحدة للحضارات".

2. حفظ السلام Peace Keeping:

يُعَدُّ "حفظ السلام" من أبرز الأدوار التي تلعبها الأمم المتحدة، بالرغم من أنَّ ميثاق إنشائها لم يُشَرْ إليه، لكنَّ هذا المفهوم تطوَّر وصار جزءاً أساسيّاً من برنامج عمل هذه المنظَّمة. حيثُ يتمُّ تشكيل "قوات حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة"[22]، بموجب قرار من مجلس الأمن، يحدِّد نطاق تكليفها، وتكون عمليَّات هذه القوات خاضعة لمجلس الأمن، وهدفها مساعدة البلدان على الانتقال من الصراع إلى السلام.

تَمَّ استخدام "قوات حفظ سلام" أول مرة، عام 1948 لمراقبة وقف إطلاق النار في كشمير وفلسطين. ثُمَّ تَمَّ إضفاء الطابع الرسميّ عليها عام 1956، أثناء أزمة السويس بين مصر وإسرائيل وفرنسا والولايات المتحدة. واتخذت بعثات حفظ السلام أشكالاً عديدة، مع أنها تشترك في أنها مُصَمَّمَة لتكون سلميَّة، وأن تضم قوات عسكرية من عِدَّةِ دول، وأن تعمل تحت سلطة مجلس الأمن.

في عام 1988، مُنحت قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة جائزة نوبل للسلام، بعد أن أثبتت أنَّها من أكثر الأدوات المتاحة للأمم المتحدة فعاليَّةً. وهي

22. فكرة وجود قواعد دائمة للأمم المتحدة موزعة حول العالم، التي جرى النص عليها في المادة (43) من ميثاق الأمم المتحدة، لم يُكتب لها النجاح. إلا أنّ الحرب العالميّة الثانية أوجدت صراعات استلزمت وجود نوع جديد من قوى حفظ النظام، أدت إلى إنشاء "بعثات الأمم المتحدة لحفظ السلام".

تهتدي بعملها بثلاثة مبادئ، تتمثل بموافقة الأطراف، الحياد، وعدم استعمال القوَّة إلا دفاعاً عن النفس. وهي مدعوة للحفاظ على السلم والأمن، وتسهيل العمليَّة السياسيَّة وحماية المدنيّين ونزع سلاح المقاتلين وإعادة إدماجهم وحماية حقوق الإنسان واستعادة سيادة القانون... مع أنَّ نجاحها غير مضمون دوماً، لتواجدها في أكثر البيئات صعوبة.

تستخدم عمليَّات حفظ السلام القوَّة أحياناً بتفويض من مجلس الأمن، عندما تكون في حالة دفاع عن النفس أو الدفاع عن الولاية، إذ منحها المجلس ولايات "رادعة" تفوِّضها باستخدام "كافَّة الوسائل اللازمة" لردع المحاولات القويَّة التي تعيق العمليَّة السياسيَّة وحماية المدنيّين، تُعرف بـ"حفظ السلام الرادع". لذلك، هناك من يقول: إنَ دور هذه البعثات توسع كثيراً وتجاوز المهامَّ التقليديَّة لحفظ السلام، وبات يشمل مجموعة من الأنشطة السياسيَّة والاقتصاديَّة والإنسانيَّة. وأثار ذلك تساؤلات حول ما إذا كانت هذه البعثات مجهَّزة للتعامل مع مهامِّ "بناء السلام" أم لا؟ إلَّا أنَّ نتائج دراسة أُعِدَّتْ حول بعثة حفظ السلام في سيراليون، أفادت بأنَّ هذه البعثات خيار سيئ لبناء السلام، نظراً لمحدوديَّة ولاياتها وقدرتها ونفوذها ومواردها ومدَّتها؛ لذا، يجب أن يركِّز "حفظة السلام" على "حفظ السلام"، الذي يُمكّنهم من إرساء الأسس لـ"بناء السلام"[23].

بالرغم من أنَّ "حفظ السلام" و"بناء السلام" يمنعان استئناف القتال بعد الصراع، إلا أنَّ هناك اختلافاً بينهما، إذ لا يحدث "حفظ السلام" إلَّا بعد انتهاء الصراع، كما أنَّه لا يعالج الأسباب الكامنة وراء العنف ولا يعمل على إحداث تغيير مجتمعيّ، كما هو الحال في عمليَّة "بناء السلام". ما يؤكد على أنَّ اختيار "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" لـ"بناء السلام" هدفاً له، جاء متفقاً مع غاية إنشاء هذا التحالف ومبلوراً له.

23. Jennifer M. Hazen, "Can Peacekeepers Be Peacebuilders?", International Peacekeeping, Volume 14, 2007, Issue 3, https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/13533310701422901

3. إنفاذ السلام وفرض السلام:

تمَّ النص في ميثاق الأمم المتحدة على "إنفاذ السلام"، إلَّا أن البعض يرى أنَّه يمكن أن يتشابه في الميدان مع "حفظ السلام الرادع" آنف الذكر، غير أنَّ ثَمَّةَ فرقاً بينهما، يتمثَّل بأنَّ الأخير يتضمن استخدام القوة بشرطين: تفويض من مجلس الأمن، وموافقة الدَّولة المضيفة والأطراف الرئيسيَّة للصراع. في حين، لا يتطلب "إنفاذ السلام" موافقة الأطراف الرئيسية، ويكتفي فقط بضرورة وجود تفويض من مجلس الأمن.

أمَّا "فرض السلام"، فيتمُّ من خلال "عمليَّات فرض السلام"، وهي عكس عمليَّات صنع وحفظ السلام، لأنَّها من العمليَّات العسكريَّة البحتة، التي تقوم بها الأمم المتحدة، لردِّ عدوان. علماً أنَّ أوَّل عمليَّة فرض سلام في تاريخ المنظَّمة تمَّت في كوريا عام 1950. أمَّا أهمُّ عمليَّة فرض السلام قامت بها، فهي عقب الغزو العراقيّ للكويت، في أغسطس/ آب عام 1990، بعدما أصدر مجلس الأمن عدداً من القرارات، طالب فيها العراق بإنهاء الغزو. لكن نظراً لعدم استجابة العراق لتلك القرارات، قامت قوات الحلفاء التابعة للأمم المتحدة بعمليَّة عاصفة الصحراء (Desert Storm) وأنهت الغزو العراقيّ للكويت.

المبحث الثاني:
تأثير تحالف الأمم المتحدة للحضارات على بناء السلام

سنتناول فيما يلي الأسس القانونية لهذا التحالف، ولبناء السلام، وسنتعرف على الجهات المعنية بكلٍّ منهما، وعلى مدى نجاح هذا التحالف في بناء السلام.

- **المطلب الأول: الأسس القانونية لتحالف الأمم المتحدة للحضارات وبناء السلام**

لا شكَّ بأن القانون ليس سوى نقطة بداية، لكن مع ذلك، لا بُدَّ من الأخذ بعين الاعتبار الأسس القانونيَّة لكلِّ القضايا الدوليَّة، لضمان مشروعيَّتها؛ لذا

سنلقي نظرة على الأسس القانونيَّة لكلٍّ من تحالف الأمم المتحدة للحضارات"، و"بناء السلام"، والجهات المعنيَّة بتحقيقهما.

أولاً: أسس "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" في التشريعات الدوليَّة

فيما يلي بيان بأهم هذه الأسس:

1. ميثاق هيئة الأمم المتحدة لعام 1945:

تضمن هذا الميثاق مقاصد متعدِّدة، أبرزها التعاون وحفظ السلم والأمن الدوليَّين، إلَّا أنَّ هذه الهيئة لم تفِ دوماً بوعودها. لكن مع ذلك، لا جدال حول منزلة الأمم المتحدة ودورها في المجتمع الدوليّ، كذلك فإن المقاصد والمبادئ المنصوص عليها في ميثاقها تبقى صالحة ولا غنى عنها، لأن هذه الهيئة تعتبر مكاناً تُطرح فيه الأفكار وتُشَرّع فيه القواعد القانونيَّة والوسائل المنوَّعة لتهدئة الصراعات؛ لذلك فإنَّ إنشاء هيئة الأمم المتحدة عام 2005 لـ"تحالف الأمم المتحدة للحضارات"، الذي يهدف لبناء السلام، يُجسِّد سعي هذه المنظَّمة الدؤوب لتحقيق السلام.

بحسب السيد كوفي عنان، "تم تأسيس هذا التحالف اقتداءً بمعاهدة سلام أُبرِمَت قديماً بين الإمبراطوريتين الحيثِّيَّة والمصريَّة، بعد معركة قادش الدمويَّة عام 1279 قبل الميلاد. حيثُ لم تكتفِ تلك المعاهدة بإنهاء عقودٍ من الحرب بين الامبراطورتين، وحسب، بل ألزمت الجانبين بالمساعدة والتعاون المتبادلين، فشكّلت بذلك تجسيداً حرفيّاً للتحالف بين حضارتين عظيمتين. واليوم، آمل أن نستلهم جميعاً من هذه المعاهدة، لبناء تحالفنا الخاصِّ بين الحضارات والثقافات والمعتقدات والمجتمعات"[24]. تؤكد هذه الكلمة للسيد عنان، على أن صدور قرار إنشاء "تحالف الأمم لمتحدة لتحالف الحضارات" من قِبَلِ هيئة الأمم المتحدة، بما يتفق مع مقاصد ميثاقها، يجعل هذا الميثاق الأساس القانونيّ الرئيسيّ لهذا التحالف.

24. "Secretary-General's address upon receiving Alliance of Civilizations Report", 13 November 2006, https://www.un.org/sg/en/content/sg/statement/2006-11-13/secretary-generals-address-upon-receiving-alliance-civilizations

2. قرار الجمعيَّة العامَّة إنشاء "تحالف الأمم المتحدة للحضارات":

تمَّ تقديم الاقتراح الإسباني لإنشاء مبادرة تحالف للحضارات، في الجمعيَّة العامَّة، في سبتمبر 2004. وبعد مشاورات بين الحكومتين الإسبانيَّة والتركيَّة، قرَّرا رعاية هذه المبادرة. وبالفعل، تم اقتراحها رسمياً أمام الجمعيَّة العامَّة بدعم مشترك من هاتين الحكومتين، ومن الأمين العام آنذاك، كوفي عنان. وفي 6 يوليو 2005، اعتمدت الجمعيَّة العامَّة بالإجماع القرار رقم 312/69 بإنشاء "تحالف الأمم المتحدة للحضارات". وبالتالي يُعَدُّ هذا القرار من أهمِّ الأسس القانونيَّة لهذا التحالف.

3. وثائق دوليَّة "ثانويَّة":

هناك وثائق منوَّعة تُشكِّل أُسُساً قانونيَّةً ثانويَّة لتحالف الحضارات، نذكر بعضها وفقاً لتسلسُلِها التاريخيّ:

- "إستراتيجية الأمم المتحدة العالميَّة لمكافحة الإرهاب"، التي صدرت في قرار اتخذته الجمعيَّة العامَّة عام 2006، أكَّدت فيه على أهميَّة إشراك الشباب وتمكينهم في الجهود المبذولة لمنع التطرف.
- "مذكِّرة التَّفاهم بين أمانتي "منظَّمة المؤتمر الإسلامي" و"تحالف الحضارات"، التي تمَّ توقيعها خلال منتدى إسطنبول عام 2009"، وتضمنت إطارَ عملٍ مشتركاً لتعميق التفاهم بين الثقافات.
- خطة العمل التي تمَّ توقيعها في منتدى التحالف للحضارات في ريو دي جانيرو عام 2010، والتي تناولت التعاون بين المنظمتين، واقترحت مشاريع مشتركة[25].
- "القرار رقم 18/16 الصادر عام 2011 عن مجلس حقوق الإنسان، حول مكافحة التعصُّب والقوليَّة النمطيَّة السلبيَّة والوصم والتمييز والتحريض

25. http://archive.ipu.org/Un-e/a-65-382-ar.pdf

على العنف وممارسته ضد الأشخاص على أساس دينهم أو معتقدهم"، ألزمَ الدول بالتصدي للتعصُّب الدينيّ، ورسمَ خطة عمل للدول لخلق شبكات تعاونيَّة لتعزيز الحوار والعمل في مجالات مختلفة.

- "مذكرة التفاهم الموقَّعة في غينيا عام 2013 بين أمانات "منظَّمة المؤتمر الإسلامي" و"تحالف الحضارات"[26]، أكدت على أهميَّة ما تمَّ التوصل إليه من وقف التعصُّب والتطرُّف بين العالم الإسلامي والغرب، وشجَّعت على المزيد من التفاهم بين الثقافات.

- "إعلان المنتدى العالميّ السادس لتحالف الحضارات التابع للأمم المتحدة"، الذي انعقد في بالي – إندونيسيا، عام 2014"، تضمن مبادئ أساسيَّة للتحالف بين الحضارات.

- قرار مجلس الأمن رقم (2250) 2015، حثّ الدول على إشراك الشباب في عمليَّات صنع القرار، وإبقاء "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" ملتزماً بتعزيز صناع السلام.

- "قرار حول التأكيد الخاصّ على مواجهة الحملات الغربيَّة[27] ضدَّ القِيَم الإسلاميَّة" صدر عن "مؤتمر الاتحاد البرلمانيّ للدول الأعضاء في منظَّمة المؤتمر الإسلاميّ، في إسطنبول، عام 2015"[28].

- مذكرة تفاهم للتعاون في مجال تعزيز السلام، وقَّعها "مركز الحوار العالميّ" و"تحالف الأمم المتحدة للحضارات"، عام 2017، لتعزيز الحوار بين أتباع الأديان والثقافات[29].

26. https://www.oic-oci.org/docdown/?docID=3492&refID=25

27. حيث تشكّل ظاهرة الإسلاموفوبيا (معاداة الإسلام والمسلمين) أحد التحدّيات الكبرى، خصوصاً مع توافد المهاجرين العرب والمسلمين إلى الدول الغربيَّة".

28. RESOLUTION No. 2-CLADCR/10-CONF ON THE ALLIANCE OF CIVILIZATIONS.

29. https://www.kaiciid.org/ar/who-we-are/our-partners/%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%84%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-unaoc

ثانياً: الأسس القانونية لـ"بناء السلام"

هناك أُسُسٌ منوَّعةٌ لبناء السلام، من بينها:

1. "برنامج عالميّ للحوار بين الحضارات"، اعتمدته الجمعيَّة العامَّة، عام2001، في قراراها (A/RES/53/243)[30]. وجاء فيه: "أنَّ السلام لا يعني غياب الصراعات فحسب، وإنَّما يتطلب أيضاً عمليَّة تشاركيَّة ديناميَّة إيجابيَّة، يُشَجَّع فيها الحوار وتُحَلّ الصراعات بروح التفاهم والتعاون"، ما يشير إلى تأكيد الجمعيَّة العامَّة على أهميَّة بناء السلام عبر التحالفات.

2. قرار إنشاء"هيكل بناء السلام للأمم المتحدة"، عام 2005، استجابةً لشواغل الأمين العام السابق كوفي عنان، حول "عدم وجود أيِّ جزء من منظومة الأمم المتحدة، يساعد البلدان في الانتقال من الحرب إلى السلام[31].

3. قرار إنشاء "لجنة الأمم المتحدة لبناء السلام"، عام 2005، كهيئة استشاريَّة حكوميَّة دوليَّة، تدعم جهود السلام في البلدان المتضررة من النزاعات، وتتألف من 31 دولة عضواً[32]. مهمَّتها تسخير الموارد لتكون تحت تصرف المجتمع الدوليّ للتعافي بعد الصراعات.

4. مذكرة تفاهم وقَّعتها اليونسكو عام 2008 مع "تحالف الأمم المتحدة للحضارات"، ووضع "برنامج عمل جديدٍ لثقافة السلام واللاعنف" عام 2011، لجعل السلام حقيقةً ملموسةً للجميع[33].

5. اتفاقية تمَّ توقيعها بين منظَّمة Save the Dream[34] و"تحالف الأمم

30. https://documents-dds-ny.un.org/doc/UNDOC/GEN/N99/774/41/PDF/N9977441.pdf?OpenElement
31. https://news.un.org/ar/story/2016/04/249912
32. https://www.un.org/peacebuilding/ar/commission
33. Hans d'Orville, "What the UN Can Do to Promote Dialogue among Civilizations", https://www.un.org/en/chronicle/article/what-un-can-do-promote-dialogue-among-civilizations
34. http://savethedream.org/

المتحدة للحضارات" في أذربيجان، عام 2016، لتطوير مشاريع مشتركة تمكّن الشباب في بناء السلام"[35].

6. قراران متماثلان تمَّ اعتمادهما من قِبَلِ الجمعيَّة العامَّة ومجلس الأمن، عام 2016 بشأن هيكلة بناء السلام في المنظَّمة، وفرَّا زخماً متجدداً لمفهوم السلام، وأكَّدا على أنَّ السلام المستدام مهمَّة مشتركة ومسؤوليَّة يجب الوفاء بها من قِبَلِ الجميع[36].
7. خطة التنمية المستدامة لعام 2030، التي اعتمدتها الأمم المتّحدة عام 2015، تضمنت سبعة عشر هدفاً. قيل "بأنَّه للوصول إلى هذه الأهداف نحتاج إلى... تعزيز ثقافة السلام..."[37].
8. موضوع الدورة (72) للجمعيَّة العامَّة عام2017، وهو "السعي من أجل السلام والحياة الكريمة للجميع على كوكب مستدام". يؤكِّد العلاقة الوطيدة بين "بناء السلام" و"تضافر الجهود الدوليَّة" التي يمكن أن تتمَّ على شكل تحالفات.

ثالثاً: الجهات المعنيَّة بتحالف الحضارات وبناء السلام

توجد جهات معنيَّة بالتحالف بين الحضارات، وجهات أخرى معنيَّة ببناء السلام، فيما يلي عرضٌ لأهمِّها.

1. الجهات المعنيَّة بـ"تحالف الحضارات":

- عرّفت المادة "الأولى" من "البرنامج العالميّ للحوار بين الحضارات لعام 2001"، الذي اعتمدته الجمعيَّة العامَّة، "حوار الحضارات"، بأنَّه "عمليَّة تجري بين الحضارات وداخل الحضارة الواحدة"[38]. ما يفُيد بأن "جميع

35. "Save the Dream and United Nations Alliance of Civilizations sign new agreement to empower youth", 28 APR 2016, https://theicss.org/2016/04/28/save-the-dream-and-united-nations-alliance-of-civilizations-sign-new-agreement-to-empower-youth/
36. https://news.un.org/ar/story/2016/04/249912
37. "Given global tensions, Alliance of Civilizations needed more than ever: UN officials", op. cit.
38. Hans d'Orville, op. cit.

الحضارات" تُعَدُّ جهاتٍ معنيَّةً بالحوار، وليس حضارة أو جهة دون غيرها. علماً أنَّ "الحوار بين الحضارات" هو الخطوة التي تسبق "تحالفها".

- مبادرة "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" ذاتها، جعلت الأمم المتحدة مِنَصَّة دائمة للحوار والتفاهم والتعاون بين أتباع الثقافات المختلفة. كما تمَّ إحداث سكرتارية في نيويورك تابعة للأمم المتحدة لمواصلة التنسيق حول المواضيع المتصلة بهذه المبادرة. يؤكِّد ذلك على أنَّ "الأمم المتحدة" جهة أساسيَّة في تحالف الحضارات.

- كذلك اختيار صاحبة السمو الشيخة موزا بنت ناصر، ضمن المجموعة رفيعة المستوى لهذا التحالف، والتي تضمُّ 20 شخصيَّةً عالميَّةً، يؤكِّد أنَّ "بعض الشخصيَّات الدوليَّة" تشكِّل جهاتٍ في تحالف الحضارات.

- "الجهات الحكوميَّة" و"غير الحكومية" في كلِّ دولة، فمثلاً: الجهات المعنيَّة بتحالف الحضارات في دولة قطر هي: وزارة الداخليَّة، ووزارة العمل والشؤون الاجتماعيَّة، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، ووزارة الثقافة والفنون والتراث، ووزارة الرياضة والشباب، ووزارة العدل، والمجلس الأعلى للتعليم، والمؤسَّسة القطريَّة للإعلام، والمؤسَّسة العاملة للحيِّ الثقافيّ "كتارا"، ومؤسَّسة قطر للتربيَّة والعلوم وتنمية المجتمع، وجامعة قطر، وجامعة حمد بن خليفة، واللجنة الوطنيَّة لحقوق الإنسان، ومركز الدوحة الدوليّ لحوار الأديان، ومركز مناظرات قطر، ومؤسَّسة أيادي الخير نحو آسيا، وغيرها... من المؤسَّسات ذات العلاقة بأهداف تحالف الحضارات[39].

2. الجهات المعنيَّة بـ"بناء السلام":

تُعْنَى ببناء السلام جهاتٌ شتَّى، أبرزها الدول، المنظَّمات الدوليَّة العامَّة، والمنظمات الدوليَّة المتخصِّصة، ومن بينها اليونسكو (منظَّمة الأمم المتحدة

39. 14 جهة حكومية تبحث خطة "تحالف الحضارات"، صحيفة "العرب" القطرية، 2014/07/01.

للتربية والعلم والثقافة)، التي تتمثل رسالتها في إرساء السلام، وتسعى إلى تعزيزه من خلال تمتين العلاقات التعليميَّة والثقافيَّة لشعوب العالم.

في سياق الحديث عن الجهات المعنية ببناء السلام، نشير إلى قول عالِم الاجتماع الإسباني "مانويل كاستيلس أوليفان Manuel Castells Oliván": "بأنَّ القوَّة لا تكمن في المؤسَّسات، ولا حتى في الدولة أو الشركات الكبرى، فقط، بل موجودة في "الشبكات" التي تبني المجتمع"[40] وتعمل لبناء السلام في الأماكن متأثرة بالصراعات العنيفة، وتُعرف بـ"شبكات بناء السلام" Global Peacebuilding networks. علماً أن منها جديد، ومنها موجود منذ أكثر من 100 عام، وبعضها للأفراد، وبعضها للمجموعات الشعبيَّة، والأخرى للمؤسَّسات الكبيرة،... وكلُّها مفيدٌ لبناء السلام. فيما يلي إشارة إلى بعض هذه الشبكات:

- مكتب السلام الدوليّ International Peace Bureau (IPB): وهو شبكة عالميَّة تضمُّ أكثر من 300 منظَّمة، يركز الكثير من جهوده على نزع السلاح، ويتفاعل مع الحكومات والوكالات الدوليَّة.
- التحالف من أجل بناء السلام Alliance for Peacebuilding (AfP): يضمُّ أكثر من 130 منظَّمة تعمل على بناء السلام.
- مِنَصَّة جنيف لبناء السلام Geneva Peacebuilding Platform: تضم أكثر من 4000 متخصِّص في بناء السلام، لديهم تركيز قوي على بناء السلام من القاعدة إلى القمة[41].

40. Taylor O'Connor, "10 Global Peacebuilding Networks", Mar 2, 2021, https://taylorconnor.medium.com/10-global-peacebuilding-networks-d1663f181601

41. تجدر الإشارة إلى أن الجامعات المرموقة، مثل "جامعة هارفرد"، يمكن أن تشكل أيضاً جهات فاعلة في بناء السلام، راجع: https://news.harvard.edu/gazette/story/2013/12/universities-as-peacemakers/

- **المطلب الثاني: تقييم دور "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" في بناء السلام**

سنتعرف فيما يلي على ضرورة هذا التحالف ومزاياه، وإنجازاته وقصوره فيما يتعلق ببناء بالسلام.

أولاً: ضرورة "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" ومزاياه

لإثبات ضرورة "تحالف الأمم المتحدة للحضارات"، سنستشهد بأقوال بعض الشخصيات، فمثلاً:

- قالت سموُّ الشيخة موزا بنت ناصر: "التقارب بين تحالف الحضارات والأهداف الإنمائيَّة للألفيَّة ليس ممكناً فحسب، بل ضرورياً أيضاً لتحقيق العالم الذي نتطلع إليه"[42].
- بالمثل، أشار الرئيس الأمريكيّ السابق "باراك أوباما"، إلى "قيمة تحالف الأمم المتحدة للحضارات كمبادرة مهمة، تهدف إلى فهم أفضل بين الثقافات والشعوب"[43].
- أمَّا الأمين العام الحاليّ "أنطونيو غوتيرش António Guterres" فقد قال عام 2018: "راعني الهجوم المروِّع الذي وقع في الشهر الماضي (أكتوبر 2018) على المصلين اليهود في بيتسبرغ، الذين قُتلوا بالرصاص، أثناء الصلاة"،... وأدهشتني الأصوات التي ظهرت من المجتمع المسلم المحليّ، الذي قام بجمع عشرات الآلاف من الدولارات لمساعدة الضحايا... لهذا السبب نحتاج إلى تحالف الحضارات – حتى يتمكَّن الناس من جميع الأديان والثقافات والهُوِيَّات، من العيش معاً بسلام وأمان وخالٍ من الخوف"[44].

42. "Alliance of Civilizations Istanbul Lecture Series", Istanbul, 26 Nov. 2010, https://www.mozabintnasser.qa/en/media-center/speeches/alliance-civilizations-istanbul-lecture-series

43. Luciano Zaccara Ph.D., Op. cit.

44. "UN Alliance of Civilizations is fundamental to 'world we need to build' - Guterres", 19 November 2018, https://news.un.org/en/story/2018/11/1026101

كذلك، ذكّر قداسة البابا فرانسيس Franciscus (بابا الكنيسة الكاثوليكيَّة)، في خطابه أمام الجمعيَّة العامَّة، عام 2020، بأنَّ "وباء (كوفيد COVID 19) أظهر لنا أنَّنا لا نستطيع العيش بدون بعضنا البعض،... وأنَّ الأزمة الحاليَّة التي تؤثِّر على الأسرة البشريَّة، هي فرصة للعمل معاً حقّاً لبناء مجتمعات متماسكة وشاملة... وأنَّ هذا الواقع يوفِّر لنا جميعاً دعوةً "لإعادة التفكير في مستقبلنا المشترك... والآن هو وقت لاختيار ما هو مهمٌّ"[45].

تلخِّص هذه الكلمات ضرورة التحالف لبناء السلام، والعلاقة التبادليَّة بينهما، إذ بدون السلام لا يمكن أن يحدث تحالف للحضارات، وبدون تحالف حضارات لا يمكن أن يُبْنَى السلام.

أمَّا مزايا "تحالف الأمم المتحدة للحضارات"، فهي كثيرة، نذكر من بينها:

- أنَّه يضيف "الدِّقة" في تحديد المصالح المشتركة والتدابير الدَّقيقة الواجبة.
- يساعد في الاعتماد على الجذور القديمة والعميقة للثقافات والحضارات المختلفة، لإيجاد ما وحَّدها سابقاً[46].
- يلعب دوراً مهمّاً في تنفيذ أجندة 2030، لأنَّه يبني الثقة والتفاهم، خاصَّة في عالم يسوده الشك والخوف[47].
- يُشكل أداة سياسيَّة ناعمة لمنع النزاعات وحلِّها. لأنَّه ضد التطرف، وحركة لتعزيز الاحترام المتبادل بين الثقافات[48].

45. H. E. Archbishop Gabriele Caccia, "Statement at The High-Level Meeting of The UN Alliance of Civilizations", UNITED NATIONS, NEW YORK, SEPTEMBER 29, 2019, https://holyseemission.org/contents//statements/5f7338ad77d38.php

46. Catherine Tinker, "Dispute Resolution and International Law: The United Nations Dialogue Among Civilizations", NYLS Journal of Human Rights, Volume 17 Issue 3 Article 18, Summer 2001.

47. Resul Rehimov ,"Qatar participates in 7th Global Forum of UN alliance of civilizations", UN Alliance of Civilizations' 7th Global Forum in Baku, Azerbaijan, on April 25, 2016, https://thepeninsulaqatar.com/article/26/04/2016/Qatar-participates-in-7th-Global-Forum-of-UN-alliance-of-civilizations

48. "PReOMOTE DIALOGUE AND STAND UP FOR TOLERANCE AND DIVERSITY." 14.07.2022, https://www.bmwgroup.com/en/news/general/2022/UNAOC.html

- والأهمُّ، أنَّه يتميَّز عمَّا سبقه من مبادراتٍ، بأنَّه:
  - يَحثُّ على اتخاذ تدابير ملموسة، للعمل المشترك.
  - وبأنَّه طويل الأمد، لأنَّ "حوار الحضارات" فتح الباب، لكنَّه استُنفد عمليّاً، وحان الوقت لبدء إستراتيجية مختلفة.
  - وبأنَّ الإطار المُتصَوَّر لهذا التحالف هو الأمم المتحدة بأكملها، وليس كحوار الحضارات الذي اقتصر تقريباً على إطار عمل اليونسكو[49].

ثانياً: إنجازات هذا التحالف ومواطن قصوره

فيما يلي لَمْحَةٌ موجَزةٌ عمَّا أنجزه "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" لبناء السلام، وعما قصّر في تحقيقه.

1. أهمُّ ما حقَّقه هذا التحالف:

لعرض إنجازات هذا التحالف، سنستعين بشهادات بعض المسؤولين الأمميين المعنيين به:

السيد ناصر عبد العزيز النصر، الممثل السامي السَّابق لتحالف الأمم المتحدة للحضارات، أشار:

- عام 2011، إلى أنَّ هذا التحالف أطلق منذ تأسيسه مجموعة من المشاريع المبتكرة لتحسين التفاهم بين الشعوب عبر الثقافات المختلفة"[50].
- عام 2014، استعرض السيد النصر الإنجازات الأخيرة للتحالف، ومنها: الاستدامة، إنشاء صندوق التضامن للشباب، جائزة الابتكار، برنامج المدرسة الصيفية، محو الأمية، زيادة مستوى التعاون داخل المجتمع المتعدِّد

49. Kristina Kausch and Isaías Barreñada, "Alliance of Civilizations. International Security and Cosmopolitan Democracy Seminar Conclusions" October 2005.

50. "Role of Alliance of Civilizations more vital than ever, say UN officials", https://reliefweb.int/report/world/role-alliance-civilizations-more-vital-ever-say-un-officials

الأطراف، توسيع أعمال الوقاية لمكافحة التطرف والعنف، زيادة التفاعل مع وسائل الإعلام والمجتمع المدنيّ وقطاع الأعمال والأوساط الأكاديميَّة، حيثُ تم توقيع مذكِّرات تفاهم مع منظمات المجتمع المدنيّ، وفُتحِ الباب لهم ولوسائل الإعلام للتفاعل مع التحالف في كلِّ لقاء ومناسبة..."[51].

- عام 2016 أكَّد سعادته، على "أنَّ التحالف أصبح قوة مؤثِّرة في جعل العالم آمناً وخالياً من الإرهاب والتطرف"[52]. و"أنَّ دور هذا التحالف آخذ في التوسُّع، وهو موجود لخدمة المجتمع الدوليّ،... ويدور حول فكرة "إنسانيَّة واحدة، وثقافات مختلفة"[53].

أمَّا الأمين العام الحالي لهيئة الأمم المتحدة، السيد "أنطونيو غوتيرش António Guterres"، فقد:

- أشار عام 2020 إلى أنَّ "ممَّا يُثلج الصدر أن نرى كيف نمت مبادرة طموحة أطلقها الأمين العام الراحل كوفي عنان في عام 2005 لتصبح أداة مهمَّة لمنع الصراع من خلال عملها على تعزيز الحوار بين الأديان والثقافات"[54].
- وأثنى على شراكة التحالف مع منظمات المجتمع المدنيّ الشعبيَّة التي يقودها الشباب والقطاع الخاص، ودعمها للمشاريع التي تعزز التنوع الثقافيّ وبناء السلام[55].
- ورحّب بتعاون الحلف الوثيق مع "مكتب مكافحة الإرهاب"، لاستكمال عملهما في منع التطرف العنيف الذي يؤدِّي إلى الإرهاب[56].

51. "النصر يستعرض إنجازات تحالف الحضارات أمام "منتدى بالي"، صحيفة "الشرق" القطرية، 2014/08/29. (بتصرف).

52. Resul Rehimov, Op. cit.

53. Pavol Stracansky, "Q&A: 'Alliance of Civilizations, a Need and a Challenge", http://www.ipsnews.net/2013/03/qa-alliance-of-civilisations-a-need-and-a-challenge/

54. "Alliance of Civilizations Never More Relevant in Building Peaceful, Just, Resilient Societies, Secretary-General Tells Group of Friends", 29/09/2020, https://press.un.org/en/2020/sgsm20289.doc.htm

55. Ibid.

56. Ibid.

بالمثل، أشار سعادة الدكتور أحمد الحماديّ، الأمين العام لوزارة الخارجية ونائب رئيس اللجنة القطريَّة لتحالف الحضارات، إلى "أنَّ تحالف الأمم المتحدة للحضارات:

- شكَّل منذ إنشائه مِنَصَّةً رائدةً للأمم المتحدة للحوار والتفاهم والتعاون بين أتباع الثقافات.
- وأنَّه استطاع في وقتٍ قياسيٍ الربط بين الحكومات والسلطات المحليَّة ومنظمات المجتمع المدنيّ ووسائل الإعلام، في نشر ثقافة الحوار والتفاهم والاحترام، بين الحضارات والثقافات والأديان والعقائد.
- وأنَّه قام بدعم وإبراز العديد من المشاريع التي تساعد على التفاهم والتوفيق فيما بين الثقافات على المستوى العالميّ، لا سيَّما بين المجتمعات الغربيَّة والمجتمعات الإسلاميَّة، وأن من أهم المبادرات في هذا الخصوص مبادرة "الشباب بناة السلام"[57].

بالإضافة لما تقدَّم، هناك إنجازات منوَّعة لهذا التحالف، باتت جليَّةً لكلِّ المهتمِّين، حيثُ:

- أكَّدت "مراجعة إستراتيجية" لهذا التحالف - غطت الفترة ما بين (2013 - 2018)- التزامه بـ"الركائز" الأربعة الأساسية: التعليم، والشباب، والهجرة، والإعلام[58].
- أنَّ هذا التحالف سعى منذ نشأته، إلى أن يكون أداة قوَّة "ناعمة" مهمَّةً، تختلف عن القوة "الصلبة" للنفوذ العسكري والاقتصادي، إذ عَمِلَ على إيجاد أرضية مشتركة بين الحضارات ضد التطرف العنيف والإرهاب"[59].

57. "الأمم المتحدة- قطر.. إيمان راسخ بمبدأ الحوار والتعايش الحضاري"، صحيفة "الشرق" القطرية، 2022/09/17.

58. Jeffrey Haynes, "Religion, Education and Security: The United Nations Alliance of Civilisations and Global Citizenship" https://www.mdpi.com/2077-1444/10/1/51/htm

59. Ibid.

- طَوَّرَ هذا التحالف العديد من البرامج التعليمية، بما في ذلك المدارس الصيفية، التي، نجحت في المساعدة في تنمية الشعور بـ"المواطنة العالميَّة" بين مئات الشباب الذين شاركوا في البرامج على مر السنين[60].

في سياق حديثنا عما حقَّقه "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" من نجاحات لبناء السلام، نرى ضرورة الإشارة إلى نجاح بعض الدول في بناء السلام، بعد انضمامها الى هذا التحالف. وخير مثال على ذلك دولة قطر، التي (فضلاً عن مشاركتها في منتديات التحالف، واستضافتها "منتدى الأمم المتحدة الرابع لتحالف الحضارات" عام 2011، و"برنامج زمالة الأمم المتحدة لتحالف الحضارات" منذ عدة سنوات، وتنظيمها للمؤتمر التمهيديّ لمنتدى الأمم المتحدة السادس ولـ"الاجتماع السنوي لنقط اتصال تحالف الحضارات" في الدوحة عام 2014، وتقديمها دعم مالي كبير لـ"الصندوق الائتماني للأمم المتحدة لتحالف الحضارات"...)، حقَّقت دولة قطر، عن طريق انتهاجها آليات هذا التحالف، عدداً من النجاحات، من أهمُّها:

- نزع فتيل الأزمة بين الفرقاء اللبنانيين، عام 2009.
- المساهمة في توقيع اتفاق حُسن النوايا بين الحكومة السودانيَّة والمتمردين، في "دارفور" عام2009. وغيرها كثير.

2. ما قصَّر هذا التحالف في تحقيقه:

ثَمَّةَ أمورٌ لم يتمكن هذا التحالف من تحقيقها بعد، حيثُ إنَّ هناك من يرى:

- أنَّ قدرة هذا التحالف على تطوير إمكانياته المخططة للجمع بين الحكومات والمنظمات الدوليَّة ومنظمات المجتمع المدنيّ، للمساعدة بشكل واضح في تحسين العدالة العالميَّة، لم تتحقق بعد بالشكل الأمثل، وأن هذه القدرة تم تقويضها بسبب الافتقار إلى الدعم الماليّ الكافي والمتَّسق. مع العلم أنَّ الدول

60. Ibid.

الخليجيَّة كانت السبَّاقة دوماً في تقديم الأموال لهذا التحالف. حيثُ قدَّمت دولة قطر لـ"الصندوق الائتمانيّ للأمم المتحدة لتحالف الحضارات"، تبرعات عديدة بملايين الدولارات. كما قدَّمت المملكة العربية السعودية ثلاثة ملايين دولار أمريكيّ لمكتب الأمم المتحدة لتحالف الحضارات، دعماً منها لخطة عمله وأنشطته لإرساء قِيَم التعايش وبناء جسور التواصل ونشر السلام[61].

- وأنَّه "بالرغم من نجاح "تحالف الأمم المتحدة للحضارات" في تغيير صور البلدان ورجال الدولة الذين اقترحوها. إلاَّ أنَّه – في ضوء الوضع الحاليِّ لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا- أثبت عدم جدواه في منع المواجهات الدينيَّة والطائفيَّة، وتعزيز الحلِّ السلميِّ للنزاعات الداخليَّة في هذه المناطق، والدليل على ذلك تزايد عدد "الدول الفاشلة" منذ الربيع العربي، ما يؤكد على أن هذا التحالف، لم يتمكن بعد من بناء السلام، في هذه المنطقة"[62].

- وأنه كان بطيئاً في التطور بشراكته مع وكالات الأمم المتحدة، يعزو البعض ذلك، إلى أنَّ هذا التحالف، ووكالات الأمم المتحدة الأخرى، كانوا جميعاً يعملون في ظروف غير مواتية بشكل متزايد لتوثيق العلاقات بين الثقافات والأديان بين الغرب والعالم الإسلاميّ[63].

أخيراً، نشير إلى أنَّ منتقدي "تحالف الأمم المتحدة للحضارات"، نسبوا أسباب قصوره في تحقيق أهدافه، إلى أنَّه:

- "طوباويّ"، أي أنَّه نموذجٍ مثاليٍّ، وبالتالي غير قادر على التعامل بشكلٍ جوهريٍّ مع القضايا المهمّة. إذ حقق انتصارات صغيرةً وكان له تأثير ضئيل أو معدوم على المشكلات التي تعتبر الأكثر تهديداً للسلم والنظام العالميّين.

61. "السعودية تدعم المكتب الأممي لتحالف الحضارات بمليون دولار"، صحيفة "الشرق الأوسط"، 2022/09/17.

62. Luciano Zaccara Ph.D., Op. cit.

63. Jeffrey Haynes, "Religion, Education and Security: The United Nations Alliance of Civilizations and Global Citizenship" , op. cit.

- وبأنَّه "مقيّد" بمصطلحاته الثنائية، أي الغرب/ العالم الإسلاميّ.
- وأنَّه يفتقر إلى اتصال ثابت مع المجتمع المدنيّ؛ لذا لم يتمكن من تحقيق نتائجه المرجوة[64].
- وأنَّه لا يُموَّل بشفافية، علماً أنَّه يمكن معالجة هذا الأمر بسهولة، إذا وافق التحالف ومجموعة أصدقائه على نشر تفاصيل تمويله الكاملة. غير أنَّ ذلك لم يحدث حتى الآن[65].

الخاتمة:

أولاً: النتائج

- يمكن لـ"تحالف الأمم المتحدة للحضارات" كمبادرة عالميَّة، أن يُسهم في تعزيز عمليَّة عالميَّة لتلاقي الحضارات وبالتالي بناء السلام، بالرغم من أنَّ العالم لا يزال يشهد مآسي منوَّعة.
- أنَّ "دور هذا التحالف آخذ في التوسع"، حيثُ بات يضم 157 عضواً. وأنَّه أصبح يعمل مع الدول والمنظمات والمجتمعات المدنيّة والمؤسسات والقطاع الخاصّ.
- أنَّ نجاح هذا التحالف في تحقيق أهدافه يحتاج إلى بيئة دوليَّة آمنة تسود فيها ثقافة السلام. وثقافة السلام هذه، هي التي تؤسِّس الحضارة، وهي جزء لا يتجزَّأ من الحضارة نفسها. ونظراً لعدم توفر هذه البيئة لغاية اليوم، لم يتمكن هذا التحالف بَعْدُ من بناء السلام، خاصَّة في منطقة الشرق الأوسط.

64. Ibid.

65. Ibid.

ثانياً: التوصيات

- يجب الثقة بأن التحالف بين الحضارات لن يتحقَّق، وبالتالي لن يتمَّ بناء السلام، إلا إذا تمت إعادة النظر في كيفية تصوُّرنا للآخر، ومسامحة كلٍّ منا للآخر.

- يجب تعزيز الأرضية المشتركة فيما بين الحضارات؛ لحلِّ القضايا الحاسمة الحالية والمستقبلية، والعمل لاستخراج ما يجمعها ويوحدها، لا ما يشتتها ويثير العداء بينها.

- يجب تأمين الدعم المالي الكافي لهذا التحالف، نظراً لتنوع أنشطته وحجم المهامِّ المعني بها. والعمل على تمويله بطريقة شفَّافة تتناسب مع أهدافه.

- يجب أن تتآزر جميع الدول مع المنظمات الدوليَّة والإقليميَّة التي تعمل لتحقيق الركائز الخمس لتحالف الحضارات، مثل: اليونسكو، هيئة الأمم المتحدة للمرأة، المنظَّمة الدوليَّة للهجرة، منظَّمة العمل الدوليَّة، ووسائل الإعلام الموثوقة، لضمان إنجاح هذا التحالف بما فيه الخير للجميع.

- يجب مساندة الأمم المتحدة، لتظلَّ الوصيَّ على السلام العالميّ، وعاملاً ميسراً لتحالف الحضارات، وبذل جهود متضافرة معها لمقاومة العنف والإرهاب، لأنّ التحالف خير وسيلة لمواجهة هذه التحديَّات.

- وأخيراً، يجب تشجيع جميع أعضاء الأمم المتحدة على اختيار الحوار والتحالف، على المواجهة، والعمل على التمسك بمبدأ المساهمة المشتركة والمنافع المشتركة، لبناء السلام لنا وللأجيال التي ستأتي من بعدنا.

المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربيّة

• دراسات وأبحاث:

1. د. أحمد علّو، "منظّمة شنغهاي... بين تحالف المصالح وصراع الحضارات"، مجلة "الجيش اللبناني"، عدد 293، أكتوبر 2009.
2. الدكتور فادي الربايعة، الحضارة (المفهوم ودلالاته)، 2021/06/20، متوفر على: https://www.aliftaa.jo/Article.aspx?ArticleId=3512#.YxYYd3ZBw2w
3. د. نور عماد تركي، "التحالفات الدوليَّة: إستراتيجية متعددة، لمواجهة التهديدات الإقليمية"، 2021/05/09، متوفر على: https://www.europarabct.com/?p=75402
4. "دليل المصطلحات العربيَّة في دراسات السلام وحلّ النزاعات المفاهيم الأساسية لحل النزاعات وبناء السالم في العالم العربي"، إصدار جمعية الأمل العراقية، 2018.

• مقالات صحفية:

1. "الأمم المتحدة - قطر.. إيمان راسخ بمبدأ الحوار والتعايش الحضاري"، صحيفة "الشرق" القطريَّة، 2022/09/17.
2. "الخطاب الكامل لصاحب السمو في الجلسة الافتتاحية للجمعية العامَّة للأمم المتحدة"، صحيفة "الشرق" القطريَّة، 2022/09/21.
3. "النصر يستعرض إنجازات تحالف الحضارات أمام "منتدى بالي"، صحيفة "الشرق" القطريَّة، 2014/08/29.
4. 14 جهة حكومية تبحث خطة "تحالف الحضارات"، صحيفة "العرب" القطريَّة، 2014/07/01.
5. "السعودية تدعم المكتب الأممي لتحالف الحضارات بمليون دولار"، صحيفة "الشرق الأوسط"، 2022/09/17.
6. د. نصيف حتي، "منظّمة شنغهاي للتعاون في النظام العالميّ الجديد"، صحيفة "الشرق الأوسط"، 2022/09/21.

ثانياً: المراجع الأجنبيَّة

∑ Articles:

1. H. E. Archbishop Gabriele Caccia, “Statement at The High-Level Meeting of The UN Alliance Of Civilizations”, UNITED NATIONS, NEW YORK, SEPTEMBER 29, 2019, https://holyseemission.org/contents//statements/5f7338ad77d38.php.
2. Catherine Tinker, “Dispute Resolution and International Law: The United Nations Dialogue Among Civilizations”, NYLS Journal of Human Rights, Volume 17, Issue 3, Article 18, Summer 2001.
3. Hans d’Orville, “What the UN Can Do to Promote Dialogue among Civilizations”, https://www.un.org/en/chronicle/article/what-un-can-do-promote-dialogue-among-civilizations.
4. Jeffrey Haynes, “The United Nations Alliance of Civilizations and global justice”, (2017), Globalizations, 14 (7), http://repository.londonmet.ac.uk/5148/.
5. Jeffrey Haynes, “Religion, Education and Security: The United Nations Alliance of Civilisations and Global Citizenship” https://www.mdpi.com/2077-1444/10/1/51/htm.
6. Jennifer M. Hazen, “Can Peacekeepers Be Peacebuilders?”, International Peacekeeping, Volume 14, 2007, Issue 3, https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/13533310701422901.
7. Luciano Zaccara Ph.D., “From Dialogue to Alliance of Civilizations: Iranian and Spanish Initiatives Revisited “, International Studies Journal (ISJ) / Vol. 12 / No.3 /Winter 2016, https://www.isjq.ir/article_93115_0b0835006e7a49d4dcf38d588afb227b.pdf.
8. Kristina Kausch and Isaías Barreñada, “Alliance of Civilizations. International Security and Cosmopolitan Democracy Seminar Conclusions” October 2005.
9. Pavol Stracansky, “Q&A: ‘Alliance of Civilizations, a Need and a Challenge’’, http://www.ipsnews.net/2013/03/qa-alliance-of-civilisations-a-need-and-a-challenge/.
10. Peter J. Lineham, “Peace-making in History”, in International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences (Second Edition), 2015, https://www.sciencedirect.com/topics/social-sciences/peacemaking.
11. Seyed Mohammad Khatami, “Dialogue Among Civilizations: Contexts and Perspectives”, September 2012, No. 3, Vol. XLIX, 2012, Dialogue among Civilizations, https://www.un.org/en/chronicle/article/dialogue-among-civilizations-contexts-and-perspectives.
12. Resul Rehimov ,“Qatar participates in 7th Global Forum of UN alliance of civilizations”, UN Alliance of Civilizations’ 7th Global Forum in Baku, Azerbaijan, on April 25, 2016, https://thepeninsulaqatar.com/article/26/04/2016/Qatar-participates-in-7th-Global-Forum-of-UN-alliance-of-civilizations.

13. Taylor O'Connor, "10 Global Peacebuilding Networks", Mar 2, 2021, https://taloroconnor.medium.com/10-global-peacebuilding-networks-d1663f181601 .

14. Wouter Werner, "The 'Clash of Civilizations' in International Law", Apr 25, 2018, https://www.e-ir.info/2018/04/25/the-clash-of-civilizations-in-international-law/.

∑ International Documents:

1. "Secretary-General's address upon receiving Alliance of Civilizations Report", 13 November 2006, https://www.un.org/sg/en/content/sg/statement/2006-11-13/secretary-generals-address-upon-receiving-alliance-civilizations

2. RESOLUTION No. 2-CLADCR/10-CONF ON THE ALLIANCE OF CIVILIZATIONS.

3. "UN Alliance of Civilizations is fundamental to 'world we need to build' - Guterres", 19 November 2018, https://news.un.org/en/story/2018/11/1026101

∑ Various Documents:

1. "Alliance of Civilizations Never More Relevant in Building Peaceful, Just, Resilient Societies, Secretary-General Tells Group of Friends", 29/09/2020, https://press.un.org/en/2020/sgsm20289.doc.htm.

2. "Alliance of Civilizations Istanbul Lecture Series", Istanbul, 26 Nov. 2010, https://www.mozabintnasser.qa/en/media-center/speeches/alliance-civilizations-istanbul-lecture-series.

3. "Given global tensions, Alliance of Civilizations needed more than ever: UN officials", 02 Oct 2015, https://www.indiablooms.com/world-details/F/4532/given-global-tensions-alliance-of-civilizations-needed-more-than-ever-un-officials.html.

4. "Peace Making", https://www.definitions.net/definition/peacemaking.

5. "PREOMOTE DIALOGUE AND STAND UP FOR TOLERANCE AND DIVERSITY." 14.07.2022, https://www.bmwgroup.com/en/news/general/2022/UNAOC.html.

6. "Save the Dream and United Nations Alliance of Civilizations sign new agreement to empower youth", 28 APR 2016, https://theicss.org/2016/04/28/save-the-dream-and-united-nations-alliance-of-civilizations-sign-new-agreement-to-empower-youth/.

7. "Strategic Peacebuilding Pathways (Wheel)", http://kroc.nd.edu/alumni/strategic-peacebuilding-pathways/.

8. "Role of Alliance of Civilizations more vital than ever, say UN officials", https://reliefweb.int/report/world/role-alliance-civilizations-more-vital-ever-say-un-officials.

∑ Websites:

1. https://www.unaoc.org/who-we-are/.
2. http://savethedream.org/.
3. https://news.un.org/ar/story/2016/04/249912.
4. http://archive.ipu.org/Un-e/a-65-382-ar.pdf.
5. https://www.oic-oci.org/docdown/?docID=3492&refID=25.
6. https://www.unaoc.org/who-we-are/history/.
7. https://www.un.org/peacebuilding/ar/commission.
8. https://news.harvard.edu/gazette/story/2013/12/universities-as-peacemakers/.
9. https://documents-dds-ny.un.org/doc/UNDOC/GEN/N99/774/41/PDF/N9977441.pdf?OpenElement.
10. https://www.kaiciid.org/ar/who-we-are/our-partners/%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%84%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-unaoc.

دور ظاهرة الهجرة الدوليَّة في بناء الحضارة الأمريكيَّة

أ. م. د. خضير عباس أحمد النداوي
أستاذ الاقتصاد الدوليّ المساعد، كليَّة الفارابيّ الجامعية، بغداد - العراق

الملخَّص:

بدأت الهجرة الدوليَّة كظاهرة عالمية مُركبة في تجلياتها التفصيلية. ومع تجاوز أعدادها (271) مليون مُهاجر في عام 2020، وهو ما يعادل (3.5%) من سكان العالم. إلَّا أنَّها حصلت ولا تزال مُستمرَّة لاعتباراتٍ داخليَّة وخارجيَّة كثيرة ومتنوِّعة، وغالباً ما تنطوي على مزيج من عوامل الشدّ والجذب سواءً أكان ذلك للولايات المتحدة الأمريكيَّة أم لغيرها من دول العالم.

وقد تضمَّن البحث الموسوم "دور ظاهرة الهجرة الدوليَّة في بناء الحضارة الأمريكيَّة"، المقدِّمة، وثلاثة مباحث والخاتمة. وقد تناول المبحث الأول، الإطار المفاهيميّ، لمحة تاريخية، وتعريف الهجرة الدوليَّة، واللاجئين، ومفهوم حقوق الإنسان، ومفهوم الكراهية. وتناول المبحث الثاني، سياسة الهجرة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، والتي ارتكزت على ثلاثة اعتبارات الأولى، حاجة البلاد الدائمة للهجرة. والثانية، تطبيق الولايات المتحدة لسياسة مرنة للتعامل مع الهجرة الدوليَّة، والثالثة، داعمة لسياسة الهجرة، وتمثلت بمجموعة من المعاهدات التي صدرت عن المؤسَّسات الدوليَّة. فيما تطرق المبحث الثالث، إلى تطورات الهجرة الدوليَّة للولايات المتحدة الأمريكيَّة، وعلى مدار ثلاثة قرون خلت، حيث ساهمت الهجرة الدوليَّة في التأثير المباشر على بناء وتطور الاقتصاد الأمريكيّ، وبخاصة بعد أن وصل أعدادها إلى (46.2) مليون مهاجر في عام 2020 والتي ساهمت في صياغةِ التطور التاريخيّ للولايات المتحدة الأمريكيَّة وفي كلِّ ميادين الحياة، وبخاصة في الميادين الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والعلميَّة والتكنولوجيَّة.

The role of the phenomenon of international migration in the building of American civilization

Prof. Khudhair Abbas Ahmad Al-Nadawi
Assistant Professor of International Economics, Al-Farabi University College, Baghdad, Iraq,

Abstract:

The International migration began as a complex global phenomenon in its detailed manifestations. Although, the number of immigrants exceeded in (271) million immigrants in 2020, which is equivalent to (3.5%) of the world's population. But it happened and is still going on for many and varied internal and external considerations. These considerations involve a mixture of push and pull factors, whether that is for the United States of America or other countries of the world.

The research entitled "The role of the phenomenon of international migration in the building of American civilization "included an introduction, three sections and a conclusion. The first section dealt with the conceptual framework, a historical overview, the definition of international migration, refugees, the concept of human rights, and the concept of hatred. The second section dealt with immigration policy in the United States of America, which was based on three considerations. The first consideration is the country's permanent need for immigration. The second is the application by the United States of a flexible policy to deal with international migration, and the third is supportive of the immigration policy, represented by a set of treaties issued by international institutions. Finally, the third dealt with impact of international migration on the United States of America developing over the past three centuries, where international migration contributed to a direct impact on the construction and development of the American economy, especially after its numbers reached (46.2) million immigrants in 2020, therefore it contributed in the formulation of the historical development of the United States of America and in all fields of life, especially in the economic, social, scientific and technological fields.

المقدِّمة:

يقفُ "تمثال الحريَّة "شامخاً عند أكبر ميناء في العالم تحديداً، وهو ميناء نيويورك، وهو في الأصل هديَّة من الشعب الفرنسيّ إلى الشعب الأمريكيّ، وقد أُزيحَ عنه الستار في الثامن والعشرين من تشرين الأول/ اكتوبر في العام 1886. وكتبت الشاعرة الأمريكيَّة (إمَّا لازاروس Emma Lazarus) أبيات من الشعر نُقشِتْ على قاعدة التِّمثال، اختصرت فيها أكثر الأسباب أهميةً في ظاهرة الهجرة الدوليَّة التي بدأت في مطلع القرن السابع عشر، ولم تتوقف بعد ذلك أبداً، فقد ورد في تلك الأبيات:

تعالوا إليَّ أيها المَساكين، ويا جميع منهوكي القِوى،
تعالي أيَّتها الجماهير المُختلطة، الظمأى إلى الهواء الحر،
وأنتِ أيتها الفضلات البائسة لشاطئ ضاحك،
تعالوا إليَّ أيُّها الغرقى ويا من لا ملجأ لهم،
فإنَّ مشعلي يلمع أمام أبواب من ذهب،

هكذا كان البحث عن الحريَّة في أرضٍ يُفترض أنَّها "أرض الحرية" وهو أحد أسباب هجرة الملايين من الناس إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة، مع عدم إغفال العوامل الأخرى الدافعة لتلك الهجرة. ومنذ وصول أول مُهاجِر إنكليزي إلى مُستعمرة "فرجينيا" في العام 1607 إلى آخر الواصلين من مختلف دول العالم، اكتشف القادمون الجدد إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة أنَّها أرض الفرص لأولئك الذين يحتملون الصعاب الأوليَّة[1] بحثاً عن ملاذٍ آمنٍ في بلاد الحريَّة.

وإذ تُشكِّل الهجرة الدوليَّة ظاهرة عالمية مُركَّبة في تجلياتها التفصيلية، ومع تجاوز حاجز أعدادها (271) مليون مُهاجر في عام 2020، وهو ما يعادل (3.5%) من سكان العالم. إلَّا أنَّها حصلت ولا تزال مُستمرة، لاعتباراتٍ

1. د. كريم صبح، سياسة الولايات المتحدة الأمريكيّة وموقفها من الهجرات الوافدة، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، العدد 99، بدون تاريخ، ص 2.

وأسباب داخليَّة وخارجيَّة كثيرة ومتنوعة، وغالباً ما تنطوي على مزيج من عوامل الشدّ والجذب سواءً أكان ذلك للولايات المتحدة الأمريكيَّة أم لغيرها من دول العالم.

وقد استأثرت ظاهرة تجربة الهجرة الدوليَّة إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة، ومنذ أكثر من ثلاثة قرون خلت على اهتمام القادة، والعلماء والمفكرين، والخبراء، والمبدعين في كل ميادين الحياة، فضلاً عن اهتمام العديد من المؤسسات والمنظمات الإقليميَّة والدوليَّة المنضوية تحت لواء منظَّمة الأمم المتحدة، وآخرها منظَّمة الأمم المتحدة لتحالف الحضارات، وبخاصَّة بعد أن بلغت أعدادهم نحو (46.2) مليون مُهاجر في عام 2021، فضلاً عن وجود أكثر من (11.4) ملايين مهاجر غير شرعيّ أغلبهم من المكسيك ودول أمريكا اللاتينيَّة.

ولا غرابة أنْ يقوم الرئيس الأمريكيّ الخامس والثلاثين (جون. ف. كندي: John F. Kennedy)، بإصدار كتابه الموسوم (أمة من المهاجرين: A Nation of Immigrant)، في عام 1958، والذي بدأ في كتابته عبر سلسلة من المقالات عندما كان عضواً في مجلس الشيوخ الأمريكيّ في نهاية عقد الخمسينيات من القرن الماضي لمواجهة خطابات الكراهية المناهضة للمهاجرين، وأعيدت طباعته في العام 1964، والذي عكس فيه قناعاته الراسخة لإصلاح سياسة الهجرة والاستفادة من أدوارها الإيجابيَّة للولايات المتحدة الأمريكيَّة. لذا غالباً ما توصف الولايات المتحدة الأمريكيَّة، بأنها أمة من المهاجرين، باستثناء الأمريكيّين الأصليين، فإن الغالبية العظمى من الأمريكيّين هم مهاجرون أو من نسل مهاجرين.

تعكس هذه الدراسة محاولة أوليَّة لدراسة دور ظاهرة الهجرة الدوليَّة في بناء الحضارة الأمريكيَّة آخذين بعين الاعتبار إنَّ العمر الحقيقيّ للولايات المتحدة الأمريكيَّة هو: (346) عاماً فقط، إلا أنَّها انفردت، وكنتيجة لتضافر عوامل عديدة، وفي مقدمتها الاستفادة من ظاهرة الهجرة الدوليَّة واستثمار التنوَّع العرقي والإثني للشعب الأمريكيّ، لبناء تجربة حضاريَّة نموذجيَّة ومُتفردة (Unique) عالميّاً وأضحت الولايات المتحدة الأمريكيَّة، الدولة الأولى

على المستوى الدوليّ في مختلف ميادين الحياة، وبخاصة الميادين الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والعلميَّة والتكنولوجيَّة.

المبحث الأول: مدخل مفاهيميّ

أولاً: لمحة تاريخية

لقد شَّكلت موجات الهجرة الدوليَّة ظواهر جامعة ذات عواقب إنسانية واقتصادية وإستراتيجيَّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر حيث عزَّزت التدفقات التجاريَّة والاستعماريَّة حركات الهجرة الدوليَّة والتي اتجهت من دول الشمال نحو دول الجنوب. فيما أدى تضافر الضغوط الاقتصاديَّة وانتشار المجاعات في القرن التاسع عشر، والتي رافقها تحسن إمكانيَّات وسائل النَّقل إلى زيادة حادَّة في تدفقات المهاجرين القادمة من أوروبا وآسيا باتجاه الولايات المتحدة الأمريكيَّة على نحو خاصّ. وفي بداية القرن العشرين، أشارت التقديرات إلى أنَّ المهاجرين شكَّلوا ما نسبة (5%) من عدد سكان العالم وهذه عيِّنة لم تُدرك مرةً ثانيةً، وذلك أنَّ الحرب العالميّة الأولى، وأزمة الكساد العالميّ 1929 قد عملتا على الحدِّ من هذه التدفقات.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين انعكست حركة هذ التدفقات في غالبيَّتها بحيث لا تعود تتجه من الشمال نحو الجنوب، بل أصبحت من الجنوب نحو الشمال أو من الجنوب نحو الجنوب، ولتصبح بلدان مُرسلة للمهاجرين مثل إيطاليا، وأسبانيا، والمملكة المتحدة بلدانا مُستقبلة للمهاجرين. وفي غضون أربعين عاماً، تضاعف أعداد المهاجرين ثلاث مرات، لتقفز من (150) مليوناً في عام 2000 إلى (272) مليوناً في عام 2020 (وفق إحصاءات منظَّمة الهجرة الدوليَّة OIM لعام 2020)، وشكل الرقم الأخير ما يساوي (3.5%) من عدد سكان العالم[2].

2. باسكال يونيفاس، الجيوبوليتيك مقاربة لفهم العالم، ترجمة أياد عيسى، (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب)، ص 84.

أمَّا الولايات المتحدة الأمريكيَّة وهي البلد التي ازدهرت بفضل ظاهرة موجات الهجرة الأهم في العالم. فقد شكل عدد المُهاجرين فيها نحو (46) مليون نسمة، أي ما يعادل (14.5%) من تعداد السُّكَّان في هذا البلد[3].

وتشير أحدث الإحصاءات العالميّة الحاليَّة إلى وجود حوالي (272) مليون مُهاجر دوليّ في العالم في نهاية عام 2019، وهو ما يعادل (3.5%) من سكان العالم، وهي نسبة ضئيلة جدّاً من سكان العالم، ممَّا يعني أنَّ بقاء المرء داخل البلد الذي يُولد فيه لا يزال هو القاعدة في مُعظم الأحوال. فالأغلبيَّة الساحقة من الناس لا تهاجر عبر الحدود، بل إنَّ العدد الأكبر يهاجر داخل البلد نفسه، وعلى سبيل المثال بلغت أعداد الهجرة الداخليَّة (740) مليون مُهاجر في عام 2009 (والتي يُطلق عليها في بعض البلدان مُصطلح النازحين). ومع ذلك، فقد أصبح ارتفاع عدد المُهاجرين الدوليِّين واضحاً بمرور الوقت – عدداً ونسبةً – وبمعدل أسرع قليلاً ممَّا كان متوقَّعاً من قبل. وتهاجر الغالبيَّة العظمى من الناس على الصعيد الدوليّ لأسباب تتعلق بالعمل، والأسرة، والدراسة ممَّا ينطوي على عمليَّات هجرة تحدث عموماً من دون أن تشكِّل تحدياً جوهريّاً للمهاجرين أو للبلدان التي يدخلونها.

وعلى النقيض من ذلك، يُغادر أشخاص آخرون ديارهم وبلدانهم لمجموعة من الأسباب القاهرة، والمأساويَّة أحياناً، مثل النزاع، والاضطهاد والكراهية، والنزاع الدينيّ والعرقيّ والكوارث. وتتألف مجموعات أخرى من الأشخاص المُشرَّدين، مثل اللاجئين والمشرَّدين داخليّاً، نسبة مئوية ضئيلة إلى حدٍّ ما من مجموع المهاجرين، لكنَّها في أغلب الأحيان أشد الفئات حاجة إلى المساعدة والدعم في مختلف المجالات[4].

3. باسكال يونيفاس، الجيوبوليتيك مقاربة لفهم العالم، مصدر سابق، ص 85.

4. المنظمة الدولية للهجرة (IOM)، تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، سويسرا، جنيف، ص 19.

ثانياً: مفهوم الهجرة Migration

1. الهجرة لغةً: هجَرَ، بالفتح تَرَكه فأهجره. والاسم (الهِجرة)، بالكسر. وهَجَرَ الشرك هجراً وهجراناً، وهِجرة حسنة. والهِجرةُ، بالكسر والضم: الخروج مِنْ أرض إلى أخرى[5]. تعني الترك والهجرة إلى الشيء: الانتقال إليه من غيره، وفي الشرع الإسلاميّ: تَركُ ما نهى الله عنه. وقد وقعت في الإسلام على وجهين: الأولى، الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن، كما في هجرتي الحبشة وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة. والثانية، الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان[6].

2. الهجرة اصطلاحاً: يُقصد بها الخروج من أرض إلى أرض، وانتقال الأفراد من مكانٍ إلى آخر سعياً لتحقيق أغراض للمُهاجر. مع الأخذ بعينِ الاعتبار أنَّ الانتقال يُسبِّبُ جُهداً لأصحابهِ نفسيّاً وماديّاً، حيث يترك أرضه الأولى وما لهُ فيها من ذكريات ومنافع، إلى أرض أخرى جديدة لا يدري ماذا يحدث له فيها[7].

ثالثاً: مفهوم اللاجئين Refugees

1. اللاجئون لغةً: الفعل: لَجأ، لَجَأَ إليه، كمنعَ وفَرَحَ: لاذَ، كالتجَأ. وأَلجأَهُ: اضطرَّهُ، وأَمْرَهُ إلى الله: أسنَدَهُ وفلاناً عَصَمَهُ. واللَّجَأُ مُحرَّكةً: المَعقِلُ والمَلاذُ، كالمَلجَأ. والتَّلجِئَةُ: الإكراه[8].

2. اللاجئون اصطلاحاً: اللاجئُ هو شخص يطلب اللجوء هرباً من الخطر. وفي العلاقات الدوليَّة، نجد التعريف القانونيّ أكثر حصريَّةً. وكما جرى التعريف به في مؤتمر 1951 المتعلق بأوضاع اللاجئين، يُعْتَبَرُ اللاجئون أفراداً في حالة

5. مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصطلح "الهجرة"، مراجعة أنس محمد الشامي وزكريا جابر احمد، (القاهرة: طبع دار الحديث، 2008) ص 1675.

6. الأمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الأول، تحقيق شُعيب الأرنؤوط وعادل رشيد، ط 1. (دمشق: طبع دار الرسالة العالمية، 2013)، ص 32.

7. أ.د. محمود حمدي زقزوق وآخرون، الموسوعة الإسلامية العامة، مصطلح الهجرة، (القاهرة: طبع وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، 2003)، ص 1423.

8. مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصطلح "الكره"، مصدر سابق، ص1459.

خوف مبرر من الاضطهاد لأسباب عرقيَّة، ودينيَّة، ووطنيَّة أو لانتمائهم إلى مجموعة اجتماعيَّة أو سياسيَّة، وقد أصبحوا نتيجة هذا الخوف خارج البلد الأمّ ولا يودُّون وضع أنفسهم في حماية ذلك البلد[9].

رابعاً: مفهوم حقوق الإنسان Human Rights

1. حقوق الإنسان لغة: الحقّ نقيض الباطل، جمعهُ حقُوق وحقائق، وحقَّ الأمر يَحِقُ حقّاً وحقوقاً: صارَ حقّاً وثَبُتَ. وأحقَّهُ: كان منهُ على يقين. والحقُّ: اسم من أسماء الله تعالى والحقُّ الثابت بلا شكٍّ. وقد وردت مادة (حقوق) في القرآن الكريم (283)، في مائتين وثلاثة وثمانين موضعاً.

2. حقوق الإنسان اصطلاحاً: يُقصد بها حفظ الضروريَّات الخمس للإنسان وهي : الدين والنفس، والعقل، والمال والنسل، فحقوق الإنسان أشمل وأعمق من حقوق الإنسان في الوثائق الوضعيَّة، لأنَّ مصدرها كتاب الله وسنة رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[10].

وقد ارتبط مصطلح "حقوق الإنسان" ارتباطاً وثيقاً بتأسيس الأمم المتحدة في عام 1945، وفي تبني الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان في عام 1948 من قبل الجمعية العامَّة للأمم المتحدة. وقد حلَّ محلَّ جملة "الحقوق الطبيعيَّة"، ومحلَّ جملة "حقوق الرجل (The Rights of Man)" التي لم تُفهم عالميّاً على أنَّها تتضمن حقوق المرأة أيضاً. ولحقوق الإنسان اليوم أربع سمات أساسيَّة. أولها، تمثل حقوق الإنسان مطالب فرديَّة أو جماعيَّة لإعادة رسم السلطة والثروة. ثانيها، ترجع حقوق الإنسان إلى أساس أنَّه مميَّز عمَّا هو غير أساسيّ في الادعاءات أو الخيرات. وفي الواقع، يذهب بعض المنظرين بعيداً هنا إلى درجة حصر حقوق الإنسان بحقٍّ جوهريٍّ واحدٍ أو حقَّيْنِ مثل حق الحياة أو المساواة

9. مارتن غريفيش وتيري أوكلاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث (دبي: طبع مركز الخليج للأبحاث، 2008)، ص 349.

10. أ.د. محمود حمدي زقزوق وآخرون، الموسوعة الإسلامية العامة، مصطلح حقوق الإنسان، مصدر سابق، ص 555.

في الفرص. ثالثها، توصف أكثر تأكيدات حقوق الإنسان بالقيود المناسبة التي توضع على حقوق أيِّ فرد أو مجموعة بقدر ما هو ضروري لتأمين حقوق مماثلة لغيرها. وأخيراً، إذا كان حقٌّ ما محدَّداً بصفته حقّاً إنسانيّاً، فهذا يعني أنَّه عالميٌّ بطابعه وملك لجميع البشر بشكل متساو[11].

خامساً: مفهوم الكراهية

1. الكراهية لغة: الكَرهُ ويُضمُّ: الإباءُ، والمَشقَّةُ، أو بالضم: ما أَكرهتَ نَفسكَ عليه وبالفتح: ما أَكْرَهَكَ غيرُكَ عليه. كَرِهَهُ: كَسِمَعهُ كَرْهاً، ويضمُّ، وكَرَاهةً، وكَرَاهِيَةً بالتخفيف، ومَكرَهةً، وتُضمُّ راؤُه، وتكرَّهُهُ وشيءٌ كَرْهٌ بالفتح وكَخَجِل وأمير: مَكْروهٌ وكرَّهَهُ إليه تكريهاً: صيَّرهُ كَرِيهاً. وما كانَ كريهاً فكرْهَ ككُرَمَ، وأتيتُكَ كَراهينَ أن تغضَبَ، أي كَرَاهِيَةَ أن تغضب. والكَرْهُ: الجَمَلُ الشَّدِيدُ. والكراهَةُ، كَسَحَابةٍ: الأرضُ الغليظةُ الصُّلْبَةُ[12].

2. الكراهية اصطلاحاً: هي نقيض الحُبُّ فهيَ شعور الإنسان ببغضهِ للآخرين، وحُبِّهِ لنفسهِ فقط، وهي داء وبيل ينجب الكثير من الأمراض الخُلُقيَّة الخطيرة مثل: الحسد، والبغضاء والشحناء، والغيبة والنميمة، وقد لا يكبح جِماحها فيكون الظلم والعدوان، وغيرهما من الرذائل. وللكراهية عدة آثار سلبيَّة، لعلَّ أهمَّها أنَّها:

- تُشقي صاحبها قبل أنْ تنال الآخرين.
- تَجلب القلق والاضطراب إلى قلبِ صاحبها فَتورِثه العديد من الأمراض النفسيَّة والجسديَّة.
- تُبعد صاحبَها عن الإيمان الصحيح.
- تهوي بصاحبها إلى أدنى درجات البشر فتثير كراهية الناس له[13].

11. مارتن غريفيش وتيري أوكلاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، مصدر سابق، ص 185.
12. مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصطلح " الكره "، ص 1412.
13. أ.د. محمود حمدي زقزوق وآخرون، الموسوعة الإسلامية العامة، "مصطلح الكراهية " مصدر سابق، ص 1187.

ومع الإقرار بحتميَّة تأثير المفاهيم في العلوم الإنسانيَّة، وتجليَّاتها المختلفة في حياة الناس ومن مختلف شعوب المعمورة، إلَّا أنَّ دروس التاريخ أظهرت وبشكل لا يقبل اللبس أنَّ لا شيء يبقى على حاله، وأنَّ الإنسانيَّة لا تدوم بوضع سعيد أو على وضع تعيس، ومهما طال الظلام لا بدَّ أنْ يعقبه نور الضياء، والأمل دائماً يعقب اليأس والعكس صحيح[14].

المبحث الثاني:
سياسة الهجرة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة

تُعّرف السياسة العامَّة بكونها "مجموعة من البرامج والقواعد الحكوميَّة التي تُشكل قرارات أو مُخرجات النظام السياسيّ بصدد مجال مُعيَّن، ويتمّ التعبير عن السياسة العامَّة في عدة صور وأشكال منها القوانين واللوائح والقرارات الإداريَّة والأحكام القضائيَّة"[15]. والتي تُعالج مختلف ميادين الحياة، ومنها الميدان الاقتصاديّ. ويمكن تعريف سياسة الهجرة، بكونها مجموعة من القواعد والإجراءات والتدابير التي تُقررها السلطات التشريعيَّة في الدولة والتي تقوم بتطبيقها السلطات التنفيذيَّة في مختلف المجالات. وقد ارتكزت سياسة الهجرة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة على ثلاثة اعتبارات جوهريَّة، مثلت الأولى، حاجة البلاد الدائمة للهجرة الدوليَّة لاستخدامها في كل ميادين العمل. أمَّا الثانية، تطبيق الولايات المتحدة لسياسة مرنة للتعامل مع الهجرة الدوليَّة تبلورت عبر سلسلة من القوانين والتعليمات التي أصدرها الكونغرس الأمريكيّ وإدارات الولايات للتعامل مع ظاهرة الهجرة، فيما كانت الثالثة، داعمة لهذه السياسة، ومشجعة لاستمرارها، والتي تمثلت بمجموعة من البروتوكولات والمعاهدات التي صدرت عن المؤسَّسات الدوليَّة المختلفة.

14. محمد مصطفى الفياح، حوار الثقافات وحقوق الإنسان في زمن العولمة، (الرباط: منشورات رمسيس، 2005)، ص 11.

15. علي الدين هلال وآخرون، مُعجم المصطلحات السياسية، (القاهرة: مطبعة أطلس، 1994)، ص 212.

أولاً: الحاجة الأمريكيَّة الدائمة للهجرة الدوليَّة

اكتشف الرحالة الإيطالي (كريستوفر كولومبس: Christophorus Columbus) ومن رافقه من المُغامرين الأوروبيين، القارة الأمريكيَّة في عام 1492، وأطلق عليها في حينه (العالم الجديد) لعدم معرفة العلماء في مُختلف العلوم، وخاصةً علماء الجغرافية والفلك أيَّة معلومات سابقة عنها. ولعدم وجود أيَّة صلة مُؤكَّدة بينها مع بقيةِ دول العالم قبل ذلك التاريخ؛ لذلك فإنَّ تاريخ الولايات المتحدة الأمريكيَّة بدأ في أوروبا قبل أنْ تُعرف هناك أمريكا، وفي قارة أمريكا نفسها قبل أنْ يصلها الأوروبيُّون، حيث كانَ اكتشاف (كولومبس) الرائع والمُحيّر لأرض جديدة قد شجع الآخرين على الكشف، فمن إيطاليا، وإسبانيا، والبرتغال، وفرنسا، وإنكلترا وبقية الأمم الأوروبيَّة الأخرى، اندفع كثير من المُغامرين، والذين خاطروا بحياتهم، وبأموالهم، وبسمعتهم لكي يصبحوا أغنياء ويكوّنوا إمبراطوريات من المُستعمرات في القارة الأمريكيَّة الجديدة. واستخدامهم السُّكَّان الأصليين من الهنود الحمر كعبيد في مختلف المهن. وبعد (284) عاماً من تاريخ اكتشاف القارة الأمريكيَّة. اندلعت الثورة الأمريكيَّة ضد الاستعمار البريطانيّ، وتمخَّضت عن إعلان المجلس القاري الرابع في تموز/ يوليو 1776 الاستقلال عن بريطانيا وتأسيس دولة الولايات المتحدة الأمريكيَّة[16].

تقع الولايات المتحدة الأمريكيَّة إلى الشمال من المكسيك وإلى الجنوب من كندا في النصف الجنوبي من قارة أمريكا الشماليَّة، وتمتد من المحيط الأطلسي شرقاً إلى المحيط الهادي غرباً وتضم، أيضاً، منطقتي ألاسكا وجزر هاواي، وتحتل المركز الرابع عالميّاً من حيث المساحة بعد روسيا وكندا والصين، إذ تبلغ مساحتها (9,831,510)كم^2، بما فيها المسطحات المائيَّة الداخليَّة وبعض الممرات المائيَّة الساحليَّة[17]. وهي الدولة الثالثة من حيث عدد السُّكَّان على

16. د. محمد محمود النيرب، المدخل لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ط 1 (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1997) ص 12 و97.

17. البنك الدولي، المساحة، موقع البنك الدولي في الإنترنت، (تاريخ الدخول 25 آب/ أغسطس 2022)، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/AG.SRF.TOTL.K2?view=chart

المستوى العالميّ بعد الصين والهند، إذ بلغَ عدد سكانها (331,893,740) نسمة في العام 2021[18]. فيما يبلغ تعداد القوى العاملة فيها ولنفس السنة نحو (164,794,750) نسمة[19]. وتتميَّز الولايات المتحدة الأمريكيَّة بكونها واحدةً من أكثر دول العالم تنوعاً من حيث العرق والثقافة، وحصل ذلك نتيجة الهجرات الدوليَّة المُستمرة اليها من مختلف دول العالم. ويُعتبر الاقتصاد الأمريكيّ أكبر اقتصاد وطنيّ في العالم، إذ بلغ إجماليّ الناتج المحلي لعام 2021 نحو (22,996) تريليون دولار أمريكي[20].

ثانياً: تطبيق الولايات المتحدة الأمريكيَّة لسياسة مرنة للتعامل مع الهجرة الدوليَّة

في ضوء الحاجة الملحَّة للأيدي العاملة الماهرة وغير الماهرة في مختلف ميادين الحياة، وخاصةً الاقتصاديَّة والتعليميَّة والصحيَّة والاجتماعيَّة، عملت الإدارات الأمريكيَّة المتعاقبة، على اتباع سياسة مرنة ومنظَّمة لضمان الاستفادة من ظاهرة الهجرة الدوليَّة، وعبَّرت عنها بسلسلة من القوانين والتعليمات التي أصدَرها الكونغرس وبعض الولايات الأمريكيَّة، والتي استمرَّت منذ بدايات الهجرة الدوليَّة إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة قبل بضعة قرون، وحتى الوقت الحاضر ويتضح ذلك جليّاً في الإيجاز الآتي:

1. في عام 1790، أصدر الكونغرس الأمريكيّ قانوناً استهدف السماح بتجنيس المهاجرين البيض، وهذا القانون بقي معمولاً به حتى سنة 1952، حيث تمَّ فتح سياسة التجنيس أمام العرقيَّات الأخرى من المهاجرين.
2. في العام 1906، صدر قانون يهدف إلى تعزيز الجانب الثقافيّ داخل الولايات

18. البنك الدولي تعداد السكان، الإجمالي، موقع البنك الدولي في الإنترنت (تاريخ الدخول 25 آب/ أغسطس 2022)، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/SP.POP.TOTL?view=chart

19. البنك الدولي، القوى العاملة، موقع البنك الدولي في الإنترنت، (تاريخ الدخول 25 آب/ أغسطس 2022) ، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/SL.TLF.TOTL.IN?view=chart

20. البنك الدولي، إجمالي الناتج المحلي، موقع البنك الدولي في الإنترنت، (تاريخ الدخول 25 آب/ أغسطس 2022)، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.CD?view=chart

المتحدة الأمريكيَّة من خلال التركيز على ضرورة تعلُّم اللغة الإنجليزيَّة وأيضاً اعتبارها شرطاً ضروريّاً للحصول على التأشيرة.

3. في العام 1917، اعتبرَ الكونغرس الأمريكيّ في هذا التاريخ بأنَّ المهاجرين من منطقة آسيا غير مُرحَّب بهم، وذلك لاعتبارات سياسيَّة، واستثنى القانون المهاجرين من اليابان والفلبين.

4. 1942 – 1964، تمَّ إطلاق برنامج عُرف باسم "Guest Worker Brasero" لتشجيع استقدام اليد العاملة المهاجرة، وخاصةً من المكسيك.

5. في العام 1965، تميَّزت هذه السنة بحراك مدنيّ عُرِفَ بثورةٍ الحقوق المدنيَّة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وانبثق عن ذلك الحراك ميثاق خاص بالهجرة الدوليَّة أنهى العمل بسياسة الهجرة القائمة على العرق، وذلك بالتأسيس لمفهوم جديد ركزَّ على المهارات العالية أو المهنيَّة.

6. أمَّا في سنة 1975، عمل الكونغرس على تمرير قانون يسمح بتوطين اللاجئين من جنوب شرق آسيا وتزامن ذلك مع الحرب في فيتنام.

7. في العام 1986، تمَّ إصلاح قوانين الهجرة وإقرار ميثاق لمراقبة المهاجرين ومنح العفو لثلاثة ملايين مُهاجر غير حائز على وثائق الإقامة.

8. في العام 1995، صوَّت الناخبون في كاليفورنيا على مشروع القانون رقم (187)، والذي يسمح للمهاجرين بالحصول على دعم مالي للدراسة والحصول على الخدمات العموميَّة الأخرى إلَّا أنَّ مشروع القانون أُعْتُبِرَ لاحقاً غير دستوري ولا يتماشى مع التشريعات الفيدراليَّة.

9. في العام 1996، تمَّ إصدار ثلاثة قوانين لتطبيق إصلاحات مهمَّة في تاريخ سياسة الهجرة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة استهدفت التقليل من إمكانيَّة حصول المهاجرين على الحماية الاجتماعيَّة، وكذلك إغلاق الباب أمام المهاجرين غير الشرعيِّين في الحصول على الوضعيَّة القانونيَّة.

10. في العام 2001، وبعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001 ومع تصاعد الاتجاه الأمنيّ في إدارة قانون المواطنة الأمريكيَّة مرَّر الكونغرس قانوناً منح بموجبه الحكومة الفيدراليَّة سلطات واسعة مثل حجز المهاجرين المشتبه بهم والقادمين من آسيا وبلدان الشرق الأوسط المُتهمة بتصدير الإرهاب.

11. في العام 2005، أقرَّ الكونغرس قانوناً، استهدف مُضاعفة الشروط والإجراءات لطلب الحصول على اللجوء السياسيّ، وفي نفس السنة تمَّ إصدار (150) مشروع قانون في (30) ولاية ضد المهاجرين، لكن لم يتم العمل به إلَّا في ولايتي أريزونا وفرجينيا، واستهدفت تلك القوانين المهاجرين غير المرغوب فيهم، وكذلك المهاجرين الذين لا يمتلكون أوراق الإقامة[21].

12. في العام 2018، شَرَعَت إدارة الرئيس السابق (دونالد ترامب Donald Trump) في تطبيق (سياسة عدم التسامح مُطلقاً)، المطبَّقة على المهاجرين، بما يشمل أسر ملتمسي اللجوء التي تَعبُر حدود الولايات المتحدة الأمريكيَّة من دون وثائق. وكان الهدف من هذه السياسة هو أن تكون بمثابة أداة ردع عقابيَّة لعبور الحدود الأمريكيَّة بصفة غير نظاميَّة[22].

13. بتاريخ 2019/08/12، أصدرت إدارة الرئيس الأمريكيّ السابق (دونالد ترامب Donald Trump)، قراراً بمنع منح الجنسية أو الإقامة الدائمة (البطاقة الخضراء) للمهاجرين الفقراء الذين يحصلون على إعانات من الدولة الأمريكيَّة، وهو ما سيجعل مئات آلاف الأشخاص غير مؤهَّلين لنيل الإقامة الدائمة لأنَّهم أكثر فقراً. ووفقاً لبيان البيت الأبيض فإنَّ

21. نجيب سويعدي، إدارة سياسة الهجرة وعلاقاتها بصناعة القرار المحلي، دراسة مقارنة بين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وفرنسا، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 2012، ص 64و65.

22. المنظمة الدولية للهجرة (IOM)، تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، سويسرا، جنيف، ص 111.

قرار واشنطن يأتي ضمن جهودها لإعادة تركيز نظام الهجرة على من يستحقون الحصول على الإقامة الدائمة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة[23].

14. وقَّع الرئيس الأمريكيّ (جو بايدن Joe Biden) في الثاني من فبراير/ شباط 2021، ثلاثة مراسيم حول الهجرة ملتزماً العمل بما أَطلق عليه بمحو "وصمة العار الأخلاقيَّة والوطنيَّة" الموروثة عن سلفه (دونالد ترامب Donald Trump)والمتعلقة بفصل آلاف عائلات المهاجرين عند حدود الولايات المتحدة الأمريكيَّة الجنوبيَّة في 2018 والتي لم يلتئم شمل بعض منها لغاية تاريخ إصدار هذا المرسوم ونصَّ أحد هذه المراسيم على تشكيل فريق عمل مكلّف لتحديد مكان تواجد (600) طفل لا يزالون منفصلين عن عائلاتهم. وأكَّد الرئيس" جو بايدن "وهو يوقِّع بالأحرف الأولى هذه المراسيم في المكتب البيضاويّ بقولهِ: "أنا لا أسن قانوناً جديداً بل ألغي سياسات خاطئة". أمَّا المرسوم الثاني، فيتعلق بدول المهاجرين. فيما استهدف المرسوم الثالث تعزيز اندماج المهاجرين المقيمين بشكل قانونيّ في الولايات المتحدة الأمريكيَّة[24].

ثالثاً: المعاهدات والبروتوكولات الدوليَّة

على الرغم من سبق الولايات المتحدة الأمريكيَّة بتطبيق سياسة ناجحة لإدارة عمليَّة الهجرة وبصيغ قانونية ومنظَّمة وعمليَّة، وبسنوات طويلة جداً عن كلِّ المؤسسات الإقليمية والدوليَّة إلا أنَّ قيام هذه المؤسسات بإقرار مُعاهدات دولية لمعالجة هذه الظاهرة ولجميع دول العالم أعطى مشروعيَّة عالمية لإجراءات الهجرة الدوليَّة المُتجهة لكلِّ دول العالم، ومن ضمنها للولايات المتحدة الأمريكيَّة، ومنها على سبيل المثال، ما يأتي:

23. قرار جديد لإدارة ترامب.. لا جنسية أو إقامة دائمة للمهاجرين الفقراء، موقع قناة "الحرة" الفضائيَّة الأمريكيَّة، 2019/08/12، (تاريخ الدخول 2022/08/22) في الإنترنت وعلى الرابط: https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/8/12/

24. مراسيم جديدة بشأن الهجرة.."بايدن يمحو وصمة العار"، موقع قناة (DW) الفضائية الألمانية 2021/03/02 (تاريخ الدخول 2022/08/26) في الإنترنت وعلى الرابط: https://www.dw.com/ar/%D9%

1. الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان: الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان - وثيقة تاريخيَّة مهمَّة في تاريخ حقوق الإنسان - صاغه مُمثلون من مختلفِ الخلفيات القانونيَّة والثقافيَّة من جميع أنحاء العالم، واعتمدت الجمعيَّة العامَّة الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان في باريس في 10 كانون الأول/ ديسمبر 1948 بموجب القرار (217) بوصفه المعيار المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم. وهو يحدد للمرة الأولى، حقوق الإنسان الأساسيَّة التي يتعين حمايتها عالميّاً. وتُرجمت تلك الحقوق إلى (500) لغة من لغات العالم. وتضمن هذا الإعلان (30) مادَّة ومن أهمِّها ما يأتي:

- المادة (1): يولد جميع الناس أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء.
- المادة (2): لكلِّ إنسان حقُّ التمتُّع بجميع الحقوق والحرِّيَّات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أيِّ نوع، ولا سيَّما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدِّين أو الرأي سياسيّاً كان أو غير سياسيّ، أو الأصل الوطنيّ أو الاجتماعيّ، أو الثروة، أو المولد، أو أيِّ وضع آخر. وفضلاً عن ذلك لا يجوز التمييز على أساس الوضع السياسيّ أو القانونيّ أو الدوليّ للبلد أو الإقليم الذي ينتمي إليه الشخص، سواءً أكان مُستقلّاً أو موضوعاً تحت الوصاية أو غير مُتمتِّع بالحكم الذاتيّ أم خاضعاً لأيِّ قيدٍ آخر على سيادته[25].

2. الاتفاقية الدوليَّة لحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم: اعتمدت هذه الاتفاقية بقرار الجمعيَّة العامَّة للأمم المتحدة (45/158 والمؤرخ في 18 كانون الأول/ ديسمبر 1990) وتضمنت (93) مادَّة وعالجت جميع مواضيع الهجرة، ولعلَّ من المناسب الإشارة لما ورد في المادَّة الأولى

25. الأمم المتحدة، الإعلان العالمي لحقوق الانسان، موقع الأمم المتحدة في الإنترنت (تاريخ الدخول 2022/08/26) وعلى الرابط: https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights\

منها والتي نصَّت على: (أولاً: تنطبق هذه الاتفاقية، باستثناء ما ينص عليه خلافاً؛ لذلك فيما بعد، على جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم دون تمييز من أي نوع مثل التمييز بسبب الجنس، أو العنصر، أو اللون، أو اللغة، أو الدين، أو المعتقد، أو الرأي السياسيّ أو غيره، أو الأصل القوميّ، أو العرقيّ، أو الاجتماعيّ، أو الجنسيَّة، أو العمر، أو الوضع الاقتصاديَّ، أو الملكيَّة، أو الحالة الزوجيَّة، أو المولد، أو أي حالة أخرى. ثانياً: تنطبق هذه الاتفاقية خلال كامل عمليَّة هجرة العمال وأفراد أسرهم، وتشمل هذه العمليَّة التحضير للهجرة والمغادرة والعبور وفترة الإقامة بكاملها ومزاولة نشاط مقابل أجر في دولة العمل وكذلك العودة إلى دولة المنشأ أو دولة الإقامة العاديَّة)[26].

خطة التنمية المستدامة: في 01 كانون الثاني/ يناير 2016، بدأ رسميّاً تنفيذ الأهداف الـ(17) لخطة التنمية المستدامة لعام 2030، التي اعتمدها قادة العالم في أيلول/ سبتمبر 2015، في قمة أمميَّة تاريخيَّة. وبخاصة الهدف الثامن منها والذي نص على: "تعزيز النمو الاقتصادي المطرد والشامل للجميع والمستدام، والعمالة الكاملة والمنتجة، وتوفير العمل اللائق للجميع:، وستعمل البلدان خلال السنوات الثماني المقبلة واضعة نصب أعينها هذه الأهداف الجديدة التي تنطبق عالميّاً على الجميع على حشد الجهود للقضاء على الفقر بجميع أشكاله ومكافحة عدم المساواة ومعالجة تغير المناخ، مع كفالة شمول الجميع بتلك الجهود[27].

26. مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، المعاهدات الدولية الأساسية لحقوق الإنسان، (نيويورك: منشورات الأمم المتحدة، 2006) ص 177.

27. الأمم المتحدة، لمحة عن خطة التنمية المستدامة لعام 2030، موقع الأمم المتحدة في الإنترنت (تاريخ الدخول 2022/08/26)، وعلى الرابط: https://www.ohchr.org/ar/sdgs/about-2030-agenda-sustainable-development

المبحث الثالث:

تطورات الهجرة الدوليَّة إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة

تحدث الهجرة الدوليَّة بين الدول أو الوحدات، وتستلزم عبور حدود سياسيَّة دوليَّة وتختلف عن الهجرة الداخليَّة أو النزوح الداخليّ كونها تخضع بدرجةٍ كبيرةٍ لكثيرٍ من القيود الإداريَّة والسياسيَّة. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الهجرة الدوليَّة لا تقتصر على الانتقال الجغرافيّ بقصد الاستقرار الدائم في بلد المقصد فحسب بل تشمل أنواعاً أخرى، مثل الهجرة المؤقَّتة والموسميَّة. ويرى البعض أنَّ مُشكلات تكييف المُهاجرين تكون في الأغلب أصعب للمهاجرين الدوليِّين مُقارنةً بالمهاجرين داخل الدولة. وتُصنَّف الهجرة الدوليَّة إلى أربعة أنواع، كما يأتي:

1. الهجرة الدوليَّة الدائمة لذوي النشاط الاقتصادي وأفراد أسرهم المرافقين لهم.
2. الهجرة المؤقتة لذوي النشاط الاقتصاديّ ومُرافقيهم.
3. هجرة العمل غير الشرعيَّة وهجرات العمل الموسمية عبرَ الحدود دون أوراق ثبوتية.
4. اللجوء السياسيّ والهجرات القسريَّة الناتجة عن الحروب والمجاعات والاضطهاد.

وبناءً على ما سبق، يُمكن أنْ تُعَّرف الهجرة عموماً، بأَنَّها الإنتقال من مكانٍ إلى آخر بنيَّة أو بقصد الإقامة الدائمة أو شبه الدائمة، ويَستلزم ذلكَ عبور حدود جغرافيَّة، سواءٌ أكانت لمدينة، أم لمنطقة إداريَّة أو مُقاطعة أو لدولة. وقد تكون الهجرة اختياريَّة بناءً على رغبة المُهاجر واختيارهِ أو إجباريَّة بحيث لا يكون للمُهاجر خيارٌ بها أو رأيٌ أو اعتبارٌ[28].

28. أ.د. رشود بن محمد الخريف، معجم المصطلحات السكانية والتنموية، (الرياض: طبع مؤسسة الملك خالد الخيرية، 2010)، ص 235.

أولاً: استمرارية الهجرة الدوليَّة إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة

رُبَّما لم يدر في خلد الرحالة الإيطاليّ (كريستوفر كولومبس Christophorus Columbus) ومن رافقه من المغامرين الأوروبيِّين، والذين اكتشفوا القارة الأمريكيَّة عام 1492، بأنَّ هذه القارة ستتبلور فيها بعد أربعة قرون دولة عظمى هي الولايات المتحدة الأمريكيَّة والتي تدرجت في مدة لا تتجاوز (346) سنة عقب استقلالها عن بريطانيا في 4 تموز/ يوليو 1776 من دولة ذات اقتصاد زراعيّ واسع وبمجتمع ريفيّ وظلت طوال القرن التاسع عشر دولة زراعيَّة تصّدر الخامات الزراعيَّة وتستورد المصنوعات وتمثل حضارة ريفيَّةً، ولكنَّها سُرعان ما تحولَّت وبسرعة إلى أعظم دولة صناعيَّة وأضخم قوة اقتصاديَّة وحضاريَّة منذ النصف الأول من القرن العشرين وتبلورت لها تجربة مؤسَّسات دستوريَّة وسياسيَّة وتشريعيَّة تمخَّض عنها انتخاب (46) رئيساً للولايات المتحدة الأمريكيَّة منذ استقلالها وحتى الوقت الحاضر[29].

وعلى مدار ثلاثة قرون خلت، ساهمت الهجرة الدوليَّة في التأثير المباشر على بناء وتطور الاقتصاد الأمريكيّ، بل وفي صياغةِ التطور التاريخيّ للولايات المتحدة الأمريكيَّة وخاصةً أنَّ الإدارات الأمريكيَّة المتعاقبة في واشنطن ركزت جُلَّ جهدها لتنظيم وجذب موجات الهجرة بصيَغ قانونيَّة ومن مختلف دول العالم.

29. د. خضير عباس احمد النداوي، الإستراتيجية النفطية الأمريكية في دول حوض بحر قزوين، ط 1 (عمان: دار دجلة ناشرون وموزعون، 2014)، ص 27.

الجدول (1): أعداد المهاجرين للولايات المتحدة الأمريكية للمدة (1900-2021)

السنة	عدد المهاجرين (مليون نسمة)	نسبة المهاجرين من إجمالي السكان
1900	10.3	%13.6
1910	13.5	%14.7
1920	13.9	%13.2
1930	14.2	%11.6
1940	11.6	%8.8
1950	10.3	%6.9
1960	9.7	%5.4
1970	9.6	%4.7
1980	14.1	%6.2
1990	19.8	%7.9
2000	31.1	%11.1
2010	40.0	%12.9
2021	46.2	%14.2

Source: Camarota S.A. and Zeigler k., Immigrant population Hits record 46. 2 million in November 2021, Center of Immigration Studies, December 20,2021. It is available at: https://cis.org/Camarota/Immigrant-Population-Hits-Record-462-Million-November-2021

وبمراجعة المُعطيات الإحصائيَّة الرسميَّة المثبتة في (الجدول 1) يتضح وعلى مدار المدة (1900 إلى 2021) استمرار الهجرة الدوليَّة إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة، إذ تزايد عدد المهاجرين حتى وصل في عام 2021 نحو (46.2) مليون مُهاجر، مع ملاحظة تزايد أرقام الهجرة وانخفاضها بين الحين والآخر. وعكست الأعداد ونسبة مساهمة المهاجرين الشرعيين من إجمالي السُّكَّان هذه الحقيقة. فيما أَكَّدت دراسة حديثة منشورة في الموقع الرسميّ للبيت الأبيض الأمريكيّ بتاريخ 17 أيلول/ سبتمبر2021 (بأنَّ كثيراً ما توصف الولايات المتحدة الأمريكيَّة بأنَّها أُمَّةٌ من المهاجرين، باستثناء الأمريكيّين الأصليين، فإن

الغالبيَّة العظمى من الأمريكيّين هم مهاجرون شرعيون أو من نسل مهاجرين) فيما قدَّرت وزارة الأمن الداخلي الأمريكيَّة عدد المهاجرين غير الشرعيين نحو (11.4) مليون مهاجر منذُ عام 2018[30]. أي أنَّ إجمالي المهاجرين بلغ نحو (57.6) مليون مهاجر في نهاية عام 2021.

وعلى سبيل المثال، منذُ بداية القرن العشرين، ساهمت الهجرة الدوليَّة إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة، في تطور الأمَّة الأمريكيَّة في كلِّ ميادين الحياة، إذْ أسهم المُهاجرون في نمو الناتج المحليّ الإجماليّ، وفي تعزيز مكانة الولايات المتحدة الأمريكيَّة في الاقتصاد العالميّ، كما أرست الهجرة أُسُس التنوع العرقيّ والثقافيّ في المجتمع الأمريكيّ المعاصر مما يدعو إلى الوقوف عند الدور الذي أدَّاه المُهاجرون في الحضارة الأمريكيَّة، وعلى النحو الذي كشفت دراسة عن مشاهير الأمريكيّين، وجاءت في عشرين مجلداً، فقد ورد في الدراسة أنَّ المواليد من المهاجرين يؤلفون ما نسبته:

- (20%) من مجموع رجال الأعمال في البلاد.
- (20%) من طلاب العلم والعلماء.
- (23%) من الرسامين والفنانين.
- (24%) من المهندسين.
- (28%) من المهندسين المعماريين.
- (29%) من القساوسة ورجال الدين.
- (46%) من الموسيقيين.
- (61%) من المُمثلين[31].

30. Cecilia Rouse, Lisa Barrow, Kevin Rinz, and Evan Soltas, The Economic benefits of Extending Permanent Legal Status to Unauthorized Immigrants, September 17, 2021. It is available at: https://www.whitehouse.gov/cea/written-materials/2021/09/17/the-economic-benefits-of-extending-permanent-legal-status-to-unauthorized-immigrants/

31. د. كريم صبح، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية وموقفها من الهجرات الوافدة، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، العدد 99، بدون تاريخ، ص 54.

واستناداً لأحدث الإحصاءات المتاحة والصادرة عن المنظَّمة الدوليَّة للهجرة (IOM) والمثبتة في (الجدول 2)، يتضح أنَّ ظاهرة الهجرة الدوليَّة في تزايد مُستمر على مدار السنوات الخمسين الماضية، سواءٌ أكانَ ذلك بالأعداد أم بالنسب، وعلى سبيل المثال كان العدد الإجمالي للمهاجرين على المُستوى الدوليّ في عام 1970 نحو (84 460 125) مهاجر ثمَّ تزايد هذا الرقم ليصل في عام 2000 نحو (173 588 441) مهاجر، واستمرت أعداد الهجرة بالتزايد لتصل في نهاية 2019 نحو (271 642 105) مهاجر (انظر الجدول 2). مما يعكس وجود ضرورة مُلِحَّة لهذه الظاهرة. مع ملاحظة انخفاض نسبة المهاجرين بشكلٍ عامٍّ، بالمقارنة مع عدد سكان العالم. وقد استحوذت الولايات المتحدة الأمريكيَّة أكبر أعداد المهاجرين الدوليِّين، إذ بلغ عدد المهاجرين الدوليِّين إليها في نهاية 2019 نحو (51) مليون مهاجر.

الجدول (2): المهاجرون الدوليُّون خلال المدة
1970 لغاية 2019 (مليون نسمة)

السنة	عدد المهاجرون	نسبة المهاجرين من سكان العالم
1970	84 460 125	% 2.3
1975	90 368 010	% 2.2
1980	101 983 149	% 2.3
1985	113 206 691	% 2.3
1990	153 011 473	% 2.9
1995	161 316 895	% 2.8
2000	173 588 441	% 2.8
2005	191 615 574	% 2.9
2010	220 781 909	% 3.2
2015	248 861 296	% 3.4
2019	271 642 105	% 3.5

المصدر: المنظَّمة الدوليَّة للهجرة (IOM)، تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، سويسرا، جنيف، ص 21

تتباين الأصول العرقيَّة للمهاجرين الدوليين للولايات المتحدة الأمريكيَّة من أجناس وأعراق متنوعة، ومن مختلف دول العالم، وعلى سبيل المثال توزعت خلال السنوات (2010 2021)، بين ستة أصول رئيسية (انظر الجدول 3)، وكما يأتي:

1. السُّكَّان الأمريكان البِيض، وفقاً لمركز الإحصاءات الأمريكيّ، تحتل هذه المجموعة المرتبة الأولى من حيث عدد السُّكَّان الإجماليّ في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وتأتي ولاية كاليفورنيا بالمرتبة الأولى من حيث عدد السُّكَّان البيض، إذ بلغ مجموعهم (29,365,260)، تليها ولاية تكساس التي يبلغ عدد سكانها البيض (23.593.392) عام 2021[32]. ومما يجدر ذكره أنَّ أعداد السُّكَّان البيض في الولايات المتحدة الأمريكيَّة كان عام 2010 نحو (242.24) مليون نسمة، تزايد هذا الرقم ليصل عام 2015 إلى (247.38) مليون نسمة، واستمر بالتزايد ليصل إلى (251.82) مليون نسمة في عام 2021. ومن حيث التفاصيل ترجع أصول هذه المجموعة لأعراق أوروبيَّة وشرق أوسطيَّة متعددة.

2. السُّكَّان الأمريكان السود ومن أصول أفريقية، تأتي هذه المجموعة بالمرتبة الثانية من حيث إجمالي أعداد السُّكَّان في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وتتشكل من السود الأمريكان وأعراق أخرى من أصولٍ أفريقية متعددة، يغلب على أشكال بشرتها اللون الأسود. وبلغ عددهم عام 2021 نحو (44.83) مليون نسمة.

3. السُّكَّان الأمريكان من أصول آسيوية، تتكون هذه المجموعة من أعراق آسيوية متعددة تحتل المرتبة الثالثة من إجمالي سكان الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وبلغ عددهم في نهاية 2021 نحو (20.12) مليون نسمة.

32. United States Census Bureau, Nation Continues to Age as It Becomes More Diverse. It is available at: https://www.census.gov/newsroom/press-releases/2022/population-estimates-characteristics.html

4. السُّكَّان الأمريكان من جنسين أو أكثر، تتشكل هذه المجموعة من أعراق متعددة، وبلغ عددهم في نهاية 2021 نحو (9.52) مليون نسمة

5. السُّكَّان الأمريكان من أصول هنديَّة، بلغت أعداد هذه المجموعة في عام 2021 نحو (4.31) مليون نسمة، وتحتل المرتبة الرابعة من سكان الولايات المتحدة الأمريكيَّة بالوقت الحاضر.

6. السُّكَّان الأمريكان من هاواي وسكان جزر المحيط الهادي، بلغ عدد هذه المجموعة في نهاية 2021 نحو (0.85) نسمة. (انظر الجدول 3).

الجدول (3): سكان الولايات المتحدة الأمريكيَّة بحسب التوزيع العرقي للسنوات 2010-2021 (مليون نسمة)

السنة	البيض	السود أو الأمريكان من أصول أفريقية	الأمريكان من أصول هندية والآسكا	الآسيويون	سكان هاوي الأصليين وسكان جزر المحيط الهادي	جنسان أو أكثر
2010	242.24	40.36	3.75	15.26	0.68	7.04
2011	243.29	40.78	3.8	15.72	0.69	7.27
2012	244.35	41.23	41.23	3.85	16.2	0.71
2013	245.31	41.65	3.9	16.68	0.72	7.73
2014	246.35	42.9	3.95	17.2	0.74	0.97
2015	247.38	42.53	4	17.75	0.75	8.21
2016	248.41	42.97	4.05	18.28	0.77	8.46
2017	249.27	43.37	4.1	18.76	0.78	8.69
2018	249.96	43.73	4.15	19.13	0.79	8.92
2019	250.52	44.08	4.19	19.5	0.81	9.14
2020	250.56	44.78	4.34	20.17	0.86	9.73
2021	251.82	44.83	4.31	20.12	0.85	9.52

Source: https://www.statista.com/statistics/183489/population-of-the-us-by-ethnicity-since-2000/

ثانياً: مساهمات الهجرة الدوليَّة في بناء الحضارة الأمريكيَّة

أسهمت ظاهرة الهجرة الدوليَّة في بناء جانباً مهمّاً من أسس الحضاريَّة للولايات المتحدة الأمريكيَّة وفي غالبية ميادين الحياة، وبخاصة في الميادين الاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة والعلميَّة والتكنولوجيَّة، وعلى سبيل المثال، نقدم لكم أدناه استعراضاً مركَّزاً لبعض من هذه الأنشطة، وكما يأتي:

1. الميدان الاقتصاديّ:

- **الأعمال الحرة وريادة الأعمال:** مع أنَّ المهاجرين للولايات المتحدة الأمريكيَّة لا يمثلون سوى (13%) من السُّكَّان في بلد يزيد عدد سكانه على (333) مليون نسمة، إلا أنهم يشكلون ما يقرب من (30%) من جميع أصحاب الأعمال الحرة. إضافةً إلى مساهمتهم في ريادة الأعمال الحرة، حيث لم تكن الشركات التي أسسها المهاجرون في الولايات المتحدة أكثر احتمالاً للبقاء فحسب، وإنما كانت تتفوّق أيضاً بشكلٍ عامّ على الشركات التي أسسها المواطنون الأصليون عندما يتعلق الأمر بنمو العمالة على مدى ثلاث وست سنوات. وبخصوص الأجور كان أداء الشركات التي أسسها المهاجرون أفضل من تلك التي بدأها السُّكَّان الأصليون، ويعدّ النجاح والمساهمة في الابتكار هما الأكثر وضوحاً في الصناعات الهندسيَّة والتكنولوجيَّة؛ ففي حوالي ربع عدد شركات الهندسة والتكنولوجيا التي تأسست في الولايات المتحدة فيما بين عام 2006 وعام 2012، على سبيل المثال، كان أحد المؤسسين الرئيسيين على الأقل مُهاجراً. وغالباً ما يشار إليهم في السيليكون فالي كمركز لمثل هؤلاء المبتكرين وأصحاب الأعمال الناجحين من المهاجرين.

- **تحويلات المهاجرين:** تزايدت التحويلات الدوليَّة لتصل إلى (689) مليار دولار أمريكيّ في 2018. أما البلدان الثلاثة الأولى المتلقيَّة للتحويلات هي الهند (78.6) مليار دولار أمريكيّ، والصين (67.4) مليار دولار، والمكسيك

(35.7) مليار دولار. ولا تزال الولايات المتحدة الأمريكيَّة أول بلد مُرسل للتحويلات (68 مليار دولار)، وتليها الإمارات العربية المتحدة (44.4 مليار دولار)، والمملكة العربيَّة السعوديَّة (36.1) مليار دولار أمريكيّ[33].

2. الميدان الاجتماعيّ والثقافيّ:

تتوزع مساهمات المهاجرين في العديد من الأنشطة الاجتماعيَّة والثقافيَّة الفاعلة والمؤثرة في المجتمع الأمريكيّ، ومنها:

- **تقاسم تقاليد الأغذية والطهي:** لعلّ من أهمّ إسهامات المهاجرين في الأبعاد الاجتماعيَّة والثقافيَّة للمجتمعات في جميع أنحاء العالم وأكثرها بروزاً، هو تقاسم تقاليد الأغذية والطهي، ممَّا أدّى إلى زيادة هائلة في التنوع الغذائيّ في العصر الحديث. ويعدّ هذا الطابع الاجتماعي العميق الذي يتسم به تقاسم الغذاء سمة إنسانيَّة واضحة ذات أهمية ثقافية كبيرة، وقد أتاح فرصة للترابط الاجتماعي في البيئات الخاصَّة والعامَّة.
- **الرياضة:** في السنوات الأخيرة، أصبحت ميادين الرياضة بمختلف فروعها، سواءٌ أكان ذلك على الصعيد الدوليّ أم في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، من العوامل المهمة في حملات مكافحة العنصريَّة ومكافحة كراهية الأجانب. وغالباً ما يكون هؤلاء المهاجرون في مركز الصدارة. إذ تسمح رياضات النخبة للمهاجرين من نواحٍ كثيرة "تجاوز" التمييز والقضايا السلبيَّة الأخرى بسبب المواهب غير العاديَّة التي يظهرونها والإعجاب الذي قد يكونون محلّه.
- **ترسيخ التقاليد الثقافيَّة:** يمكن تبادل التقاليد الثقافيَّة باعتبارها تجارِب، فضلاً عن كونها تشكّل أساس القدرة على التحمّل والقوَّة في البيئات الأجنبيَّة (المعادية في بعض الأحيان). وقد ركز نسقٌ تحليليٌّ حديثٌ على "التنوع الفائق" والفوائد والتحديَّات التي يمكن أن تطرحها المجتمعات المحليَّة

33. المنظمة الدولية للهجرة (IOM)، تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، سويسرا، جنيف، ص 3 و177.

الشديدة التنوع نتيجة للهجرة الدوليَّة، بما في ذلك ما يتعلق بالاندماج الثقافي والتماسك الاجتماعي، وكذلك لمواجهة التوترات الاجتماعيَّة وكره الأجانب. وكثيراً ما يرتبط مفهوم "التنوع الفائق" بالمدن بوصفها الموقع الرئيسيّ للتنوع المتزايد وما يتصل بذلك من تنوع في البيئات والتجارب الاجتماعيَّة والثقافيَّة[34].

3. الميدان العلميّ والتكنولوجيّ:

حظيت المساهمات التي يقدمها المهاجرون في مجال الابتكار، خاصة في بلدان المقصد، باهتمام كبير في السنوات الأخيرة. ولا يكاد يوجد خلافٌ عن كون المهاجرين شكلوا عوامل مهمَّة، للتحفيز على للابتكار على الصعيد العالميّ بشكلٍ عامٍّ وفي الولايات المتحدة الأمريكيَّة على وجه خاصٍّ، وهذا ما يتضح من خلال المؤشرات الآتية:

- **الابتكارات العلميَّة:** زيادة تركز المهاجرين في القطاعات الاقتصاديَّة التي غالباً ما تكون أكثر ابتكاراً؛ وتُعَدّ الولايات المتحدة الأمريكيَّة أبرز مثال على ابتكار المهاجرين. فعلى سبيل المثال، ارتبط المهاجرون منذ فترة طويلة بزيادة براءات الاختراع. فقد تبيَّن أنَّ المهاجرين في الولايات المتحدة يحصلون على عدد من البراءات يبلغ ضعف ما يحصل عليه السُّكَّان الأصليُّون. هو الأكثر وضوحاً في الصناعات الهندسيّة والتكنولوجيَّة؛ ففي حوالي ربع عدد شركات الهندسة والتكنولوجيا التي تأسست في الولايات المتحدة فيما بين عام 2006 وعام 2012، على سبيل المثال، كان أحد المؤسسين الرئيسيين على الأقل مهاجراً. وغالباً ما يشار إلى السيليكون فالي كمركز لمثل هؤلاء المبتكرين وأصحاب الأعمال الناجحين من المهاجرين.
- **إعادة توزيع المنتجات:** وهو مقياس آخر للابتكار، استأثر المهاجرون عام 2018 بنسبة (30%) من إجمالي الابتكار في الولايات المتحدة منذ عام

34. المنظمة الدولية للهجرة (IOM)، تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، سويسرا، جنيف، ص 165.

1976، وتتجلى مساهمة المهاجرين في الابتكار في الولايات المتحدة أيضاً في عدد الحائزين على جائزة نوبل وأعضاء الأكاديميَّة الوطنيَّة للعلوم من المهاجرين، وهو ما يمثل ثلاثة أضعاف السُّكَّان الأصليين[35].

- **القطاعات الهندسية:** ارتفع عدد العلماء والمهندسين المُقيمين في الولايات المتحدة الأمريكيَّة من (21.6) مليون إلى (29) مليوناً خلال المدة من 2003 إلى 2013. فيما ارتفع عدد العلماء والمهندسين المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة من (3.4) مليون مهاجر إلى (5.2) مليون مهاجر وللمدة ذاتها. فيما واصلت هذه الاعداد ارتفاعها، إذْ شكَّل المهاجرون الأجانب ما نسبته (25%) من العاملين في مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات في الولايات المتحدة في عام 2019[36]. وتنسجم هذه الإجراءات مع وجود توجُّه حكوميّ تبنته الإدارات الأمريكيَّة المتعاقبة، والذي يستهدف المحافظة على دور الولايات المتحدة الأمريكيَّة كرائد عالمي في مجالات البحث والابتكار العلميّ، وذلك من خلال مواصلة دعم وتشجيع البحوث العلميَّة الأساسيّة وفي جميع التخصصات الهندسية، وعلى سبيل المثال فقد خصصت مؤسسة العلوم الوطنيَّة الأمريكيَّة في موازنة السنة المالية 2022 مبلغ قدره (8.8) مليار دولار وزعت على (2000) جامعة وكليَّة ومعهد لدعم العلماء وتوفير المرافق والأدوات المطلوبة[37].

ثالثاً: سمات الهجرة الدوليَّة للولايات المتحدة الأمريكيَّة

تشهد منطقة أمريكا الشمالية، والتي تضم الولايات المتحدة الأمريكيَّة وكندا، هيمنة الهجرة الوافدة إليها، إذْ كان أكثر من (58.6) مليون مهاجر يقيمون في

35. المنظمة الدولية للهجرة (IOM)، تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، سويسرا، جنيف، ص 177.

36. Nan Wu, Unpacking the Federal STEM Initiatives and Immigrants' Role in the US Workforce. It is available at: https://immigrationimpact.com/2022/06/28/federal-stem-initiatives-for-immigrants/

37. National Science Foundation, Immigrant play increasing role in U.S. Science and engineering. It is available at: https://www.nsf.gov/news/news_summ.jsp?cntn

أمريكا الشمالية في عام 2019 قادمين من مناطق مُتنوعة. وزاد هذا العدد بنحو (3) ملايين مهاجر منذ عام 2015 عندما كان يعيش في المنطقة حوالي (55.6) مليون مُهاجر. وتنحدر أكبر مجموعة منهم من أمريكا اللاتينية والكاريبي (26.6 مليون شخص)، تليها آسيا (17.4 مليون شخص)، وأوروبا (7 ملايين شخص). وخلال السنوات الثلاثين الماضية، زاد عدد المهاجرين في أمريكا الشماليَّة بأكثر من الضعف، من جراء الهجرة من أمريكا اللاتينيَّة والكاريبيّ وآسيا، فضلاً عن النمو الاقتصادي والاستقرار السياسيّ في أمريكا الشماليَّة[38].

وعموماً تتسم تطورات الهجرة الدوليَّة لأمريكا الشماليَّة بالسمات الآتية:

- **المؤهلات العلميَّة للمهاجرين:** لا يمثل المهاجرون مجموعة عشوائيَّة من السُّكَّان، بل تميزهم عن عامَّة السُّكَّان خصائص واضحة، كالتعليم، وأخرى أقل وضوحاً كالدافع، وتؤثر هذه الخصائص كلُّها على ظاهرة الهجرة. ويفضي تطبيق سياسات هجرة انتقائية في بعض البلدان إلى فوارق ملحوظة بين الأوضاع التعليمية للمهاجرين وللسكان المحليين المولد. فبين عامي 2008 و2012، كان (41%) من المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة من قارة أفريقيا يحملون شهادة البكالوريوس على الأقل، في حين بلغت هذه النسبة (28%) لدى سائر المهاجرين. وكان المهاجرون من نيجيريا، (61%)، ومن جنوب أفريقيا (57%) ومن كينيا (47%) ومن غانا (35%) من بين أكثر المهاجرين تعليماً[39].

- **ارتفاع مستويات الهجرة الدوليَّة الوافدة:** أرتفع عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكيَّة المولودين في الخارج بنسبة (5%) في عام 2015 إلى 2019، ليصل إلى حوالي (51) مليون شخص. واعتباراً من عام 2019، كان المهاجرون مكسيكيُّو المولد لا يزالون يشكلون أكبر عدد على الإطلاق من السُّكَّان المولودين في الخارج الذين يعيشون في الولايات المتحدة، إذ تجاوز

38. المنظمة الدولية للهجرة (IOM)، تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، سويسرا، جنيف، ص 108.
39. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، التقرير العالمي لرصد التعليم، 2019، ص 41.

عددهم نحو (12.4) مليون شخص، أي حوالي (22.7%) من مجموع عدد المهاجرين في الولايات المتحدة.

تراجع أعداد المهاجرين غير النظاميَّين للولايات المتحدة الأمريكيَّة: ما فتئ عدد المهاجرين غير النظاميين يتراجع، بعد أن وصل إلى (12.2) مليون مهاجر في عام 2007 وشكل المكسيكيون منهم، ولأول مرة أقل من النصف (47%) من بين جميع المهاجرين غير النظاميين في الولايات المتحدة، تراجع عدد المهاجرين غير النظاميين في الولايات المتحدة ليصل إلى (10.5) ملايين مهاجر غير نظامي في عام 2017، مما شكلَّ (3.2%) من مجموع السُّكَّان.

- **تشديد سياسة الهجرة في الولايات المتحدة:** زادت سياسات الهجرة الوافدة صرامة في الولايات المتحدة، ممَّا أدى إلى تباطؤ تدفقات الهجرة الوافدة وأعداد الأشخاص المقبولين لأسباب إنسانيَّة. وعلى سبيل المثال، في 2018، انخفض مجموع التأشيرات الصادرة للمهاجرين الوافدين ولغير المهاجرين للسنة الثانية على التوالي. ففي عام 2016، مُنح أكثر من (10) ملايين تأشيرة لغير المهاجرين؛ أمَّا في نهاية 2018، فقد انخفض هذا العدد ليتجاوز قليلاً (9) ملايين تأشيرة. وبدأ التغيير الأكثر إثارة للجدل في حزيران/يونيو 2018، عندما شَرَعَت إدارة الرئيس السابق (دونالد ترامب Donald Trump) في إنفاذ ما يسمى (بسياسة عدم التسامح مطلقاً)، المُطبقة على المهاجرين، بما يشمل أسر ملتمسي اللجوء التي تعبر حدود الولايات المتحدة من دون وثائق. وكان الهدف من السياسة هو أن تكون بمثابة أداة ردع عقابيَّة لعبور الحدود الأمريكيَّة بصفة غير نظاميَّة.
- **توطين اللاجئين:** أعادت الولايات المتحدة وكندا توطين أعداد كبيرة من اللاجئين، وهما أكبر بلدين لإعادة التوطين في العالم. وفي عام 2018، أعادت كندا توطين عدد أكبر من اللاجئين مقارنة بالولايات المتحدة، وهي المرة الأولى التي لم تتصدر فيها الولايات المتحدة الأمريكيَّة قائمة هذه البلدان على الصعيد العالميّ ومن أصل (92400) لاجئ أعيد توطينه في مختلف أنحاء

العالم في عام 2018، قبلت كندا (28000) بينما قبلت الولايات المتحدة (23000) لاجئ.

- **تزايد عوامل الجذب للمهاجرين:** لعلَّ من أهم المُميزات الدافعة للهجرة للولايات المتحدة الأمريكيَّة هو وجود تنوعٍ ثقافيٍّ مُبهر لتعدد الثقافات، وتوفر التعليم المجانيّ للأبناء، وشيوع تطبيق العدالة أمام القانون الأمريكيّ وبدون تمييز عرقيّ أو إثنيّ أو عنصريّ، وتوفر فرص العمل، واتِّباع سياسة تشجيع الاستثمار، ومنح رواتب للاجئين لحين ترتيب وضعهم في المجتمع الأمريكيّ وغيرها، ممَّا يدفع العديد من الناس للهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة.

- **المهاجرون غير النظاميين:** على الرغم من صعوبة تحديد الأرقام بدقة عن أعداد المهاجرين غير النظاميين، إلَّا أنَّ العدد التقديري لهم في الولايات المتحدة أضحى أقلَّ ممَّا كان عليه قبل عقد من الزمن ووفقاً لتقديرات منظَّمة الهجرة الدوليَّة، والتي ذكرت بأنَّ عددهم بلغ (10.5) ملايين مهاجر غير نظاميّ، أغلبهم من المكسيك، كانوا يعيشون في الولايات المتحدة في 2017، ممَّا يشكِّل (3.2%) من مجموع السُّكَّان[40].

- **ارتباط الهجرة الدوليَّة بأعداد السُّكَّان:** معَ اتباع غالبية الدول الصناعية المتقدمة لسياسة تستهدف منع تدفق المهاجرين، إلَّا أنَّ التحوُّل الديموغرافيّ العالميّ الأكثر أهميةً ولفتاً للنظر هذه الأيام هو الهبوط الحادّ في معدل الولادات في كافة أنحاء العالم. مما سيدفع بهذه الدول خلال النِّصف الأول من القرن الحاليّ، ومن ضمنها الولايات المتحدة الأمريكيَّة لتقديم إغراءات ماليَّة للمهاجرين للقدوم إليها، وسوف تتنافس مع الآخرين لإغراء المهاجرين الدوليين الذين سيكونون بمثابة عمالة نادرة للقدوم إليها[41].

40. المنظمة الدولية للهجرة (IOM)، تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، سويسرا، جنيف، ص 111.

41. للتفاصيل أنظر د. جورج فريدمان، الأعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، ترجمة أ.د. منذر محمود محمد، (دمشق: دار الفرقد، 2019)، ص 26 و 88.

الخاتمة:

في ضوء ما تقدم، نوضح الآتي:

1. مع استمرار ظاهرة الهجرة الدوليَّة بين مختلف دول العالم بشكلٍ عامٍّ، إلا أنَّها استأثرت بخصوصية مُتفردة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، جراء استمرارها منذ أكثر من ثلاثة قرون خلت ولحد الآن، إضافة إلى وجود أعداد كبيرة من اللاجئين لها لأسبابٍ سياسيَّة واجتماعيَّةٍ ودينيَّةٍ، وذلك لرفد النقص في التركيبة السُّكَّانية للمجتمع الأمريكيّ والحاجة لسدِّ النقص الحاصل للأيدي العاملة الماهرة وغير الماهرة، ومساهمتها في تشكيل الامة الأمريكيَّة، وبخاصة إنَّ غالبية الشعب الأمريكيّ تكونَّ من المهاجرين، فيما وصفت الأمة الأمريكيَّة بكونها (أُمَّةً من المهاجرين)، ومع إستمرار هذه الظاهرة، فقد بلغَّ عدد المُهاجرين الأجانب للولايات المتحدة الأمريكيَّة والمسجلين رسمياً في عام 2021 نحو (46.2) مليون مُهاجر، إضافةً إلى (11.4) ملايين مهاجر غير شرعي، ويقترب هذا الرقم من نفوس دولة إسبانيا البالغ نحو (47) مليون نسمة، وهو أكبر عدد من المهاجرين تمَّ تسجيله على الإطلاق في أي مسح حكوميّ أو تعداد سكانيّ أمريكيّ مُنْذُ عام 1850. مع الأخذ بعينِ الاعتبار أنَّ غالبية هؤلاء المهاجرين هم من حملة الشهادات الجامعيَّة والعليا واللذين ساهموا في كلِّ ميادين الحياة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة.

2. تميّزت الولايات المتحدة الأمريكيَّة، بكونها الدولة الوحيدة في العالم التي نظمت مجموعة من الإجراءات القانونيَّة والإداريَّة، ومنذ صدور أول قانون للتجنيس في عام 1790، وأعقبها سلسلة طويلة من التشريعات والأنظمة والتعليمات والتي أرسيت بموجبها سياسات للهجرة وبصيغ عمليَّة لتنظيم هذه الظاهرة.

3. وانسجاماً مع التوصيف الرسميّ للدراسة المنشورة في موقع البيت الأبيض في 17 أيلول/ سبتمبر 2021، والتي ذكرت آنفاً (بأنَّ الغالبيَّة العظمى من

الأمريكيّين هم مهاجرون شرعيون أو من نسل مهاجرين)، عندئذ يمكن إدراك الدور الفاعل والمؤثر للمهاجرين في بناء التجربة الأمريكيَّة، آخذين بنظر الاعتبار تضافر مجموعة من العوامل، وفي مقدمتها التقدم العلمي السريع، والرفاهية الاقتصاديَّة واحترام الحريات الشخصية، وتوفر بيئة علمية متقدمة على استقطاب خيرة العقول والكفاءات العلميَّة ومن مختلف دول العالم، مما ساهم في بناء أسس الحضارة الأمريكيَّة وفي مختلف ميادين الحياة.

4. تبلور خلال العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين وجود تيارين في الساحة الأمريكيَّة للتعامل مع سياسة ظاهرة الهجرة الدوليَّة للولايات المتحدة الأمريكيَّة:

- التيار الأول، ويتبنى سياسة تستهدف الحد من ظاهرة الهجرة الدوليَّة للولايات المتحدة الأمريكيَّة. ويُمثله الرئيس السابق (دونالد ترامب Donald Trump) والمؤيِّدون لسياسته من بعض أقطاب الحزب الجمهوري وشرائحٍ معينة من الشعب الأمريكيّ.
- التيار الثاني، والذي يتبنى سياسة استمرار الهجرة الدوليَّة للولايات المتحدة الأمريكيَّة ويسعى لمنح الجنسية الأمريكيَّة لملايين المهاجرين غير الشرعيين من المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكيَّة وأكثرهم من المكسيك ودول أمريكا اللاتينية ويمثله الرئيس الحالي (جو بايدن Joe Biden) وأقطاب الحزب الديمقراطي وشرائح واسعة من الشعب الأمريكيّ.

وفي الختام، فإنَّ الآليَّات المُطبَّقة في النظام الاقتصاديّ الرَّأسماليّ المُطبَّق في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، والحاجة المُلِحَّةِ لسوق العمالة في الساحة الأمريكيَّة، وبما يخدم قطاعات الاقتصاد الأمريكيّ، سيدفع صانعي القرار السياسيّ والاقتصاديّ للتعامل مع سياسة الهجرة الدوليَّة بشكلٍ متوازنٍ، بعيداً عن الخلافات السياسيَّة والعنصريَّة، وبما يخدم التجربة النموذجيَّة لبناء الحضارة الأمريكيَّة، سواءٌ أكان ذلك في المدى المنظور أم على الصعيد الإستراتيجيّ.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الأمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الأول، تحقيق شُعيب الأرنؤوط وعادل رشيد، ط 1 (دمشق: طبع دار الرسالة العالميّة، 2013).
3. الأمم المتحدة، الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، موقع الأمم المتحدة في الإنترنت، (تاريخ الدخول 2022/08/26) وعلى الرابط: https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/
4. الأمم المتحدة، لمحة عن خطة التنمية المستدامة لعام 2030، موقع الأمم المتحدة في الإنترنت (تاريخ الدخول 2022/08/26)، وعلى الرابط: https://www.ohchr.org/ar/sdgs/about-2030-agenda-sustainable-development
5. باسكال يونيفاس، الجيوبوليتيك مقاربة لفهم العالم، ترجمة أياد عيسى، (دمشق: منشورات الهيئة العامَّة السورية للكتاب).
6. البنك الدولي تعداد السُّكّان، الإجمالي، موقع البنك الدولي في الإنترنت (تاريخ الدخول 25 آب/ أغسطس 2022)، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/SP.POP.TOTL?view=chart
7. البنك الدولي، إجمالي الناتج المحلي، موقع البنك الدولي في الإنترنت، (تاريخ الدخول 25 آب/ أغسطس 2022)، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.CD?view=chart
8. البنك الدولي، القوى العاملة، موقع البنك الدولي في الإنترنت، (تاريخ الدخول 25 آب/ أغسطس 2022)، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/SL.TLF.TOTL.IN?view=chart
9. البنك الدولي، المساحة، موقع البنك الدولي في الإنترنت، (تاريخ الدخول 25 آب/ أغسطس 2022)، وعلى الرابط: https://data.albankaldawli.org/indicator/AG.SRF.TOTL.K2?view=chart
10. جورج فرديمان، الأعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، ترجمة أ. د. منذر محمود محمد، (دمشق: دار الفرقد، 2019).
11. خضير عباس أحمد النداوي، الإستراتيجيَّة النفطية الأمريكيَّة في دول حوض بحر قزوين، ط 1 (عمان: دار دجلة ناشرون وموزعون، 2014).
12. رشود بن محمد الخريف، معجم المصطلحات السُّكّانية والتنموية، (الرياض: طبع مؤسسة الملك خالد الخيرية، 2010).
13. علي الدين هلال وآخرون، مُعجم المصطلحات السياسيّة، (القاهرة: مطبعة أطلس، 1994).

14. قرار جديد لإدارة ترامب.. لا جنسية أو إقامة دائمة للمهاجرين الفقراء، موقع قناة الحرة الفضائية الأمريكيَّة 2019/08/12، (تاريخ الدخول 2022/08/22) في الإنترنت وعلى الرابط: https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/8/12/

15. كريم صبح، سياسة الولايات المتحدة الأمريكيَّة وموقفها من الهجرات الوافدة، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، العدد 99، بدون تاريخ.

16. كريم صبح، سياسة الولايات المتحدة الأمريكيَّة وموقفها من الهجرات الوافدة، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، العدد 99، بدون تاريخ.

17. مارتن غريفيش وتيري أوكلاها، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدوليَّة، ترجمة مركز الخليج للأبحاث (دبي: طبع مركز الخليج للأبحاث، 2008).

18. مجدالدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصطلح "الهجرة "، مراجعة أنس محمد الشامي وزكريا جابر احمد، (القاهرة: طبع دار الحديث، 2008).

19. محمد محمود النيرب، المدخل لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكيَّة، ط 1 (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1997).

20. محمد مصطفى الفياح، حوار الثقافات وحقوق الإنسان في زمن العولمة، (الرباط: منشورات رمسيس، 2005).

21. محمود حمدي زقزوق وآخرون، الموسوعة الإسلامية العامَّة، مصطلح الهجرة، (القاهرة: طبع وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، 2003).

22. مراسيم جديدة بشأن الهجرة... "بايدن يمحو وصمة العار"، موقع قناة (DW) الفضائية الألمانية 2021/02/03 (تاريخ الدخول 2022/08/26) في الإنترنت وعلى الرابط: https://www.dw.com/ar/%D9%

23. مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، المعاهدات الدوليَّة الأساسية لحقوق الإنسان، (نيويورك: منشورات الأمم المتحدة، 2006).

24. منظَّمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، التقرير العالميّ لرصد التعليم، 2019.

25. المنظَّمة الدوليَّة للهجرة (IOM)، تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، سويسرا، جنيف.

26. منظَّمة العمل الدوليَّة، قاموس مصطلحات الهجرة للإعلام، 2017.

27. نجيب سويعدي، إدارة سياسة الهجرة وعلاقاتها بصناعة القرار المحلي، دراسة مقارنة بين الولايات المتحدة الأمريكيَّة وكندا وفرنسا، رسالة ماجستير، مقدمة إلى كلية الحقوق والعلوم السياسيّة بجامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 2012.

28. Camarota S.A. and Zeigler k., Immigrant population Hits record 46. 2 million in November 2021, Center of Immigration Studies, December 20,2021. It is available at: https://cis.org/Camarota/Immigrant-Population-Hits-Record-462-Million-November-2021

29. https://www.statista.com/statistics/183489/population-of-the-us-by-ethnicity-since-2000

30. United States Census Bureau, Nation Continues to Age as It Becomes More Diverse. It is available at: https://www.census.gov/newsroom/press-releases/2022/population-estimates-characteristics.html

31. Nan Wu, Unpacking the Federal STEM Initiatives and Immigrants' Role in the US Workforce. It is available at: https://immigrationimpact.com/2022/06/28/federal-stem-initiatives-for-immigrants/

32. National Science Foundation, Immigrant play increasing role in U.S. Science and engineering. It is available at: https://www.nsf.gov/news/news_summ.jsp?cntn

التَّعَارُفُ الْحَضَارِيُّ فِي التُّرَاثِ الإِسْلَامِيِّ بَيْنَ التَّنْظِيرِ والْمُمَارَسَةِ

د. عبدالكريم القلالي

أستاذ العقيدة والفكر والأديان بجامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس،
عضو مختبر العلوم الدينية والإنسانيَّة وقضايا المجتمع، فائز بجائزة
دولة قطر العالمية لحوار الحضارات في دورتها الثالثة 2020-2021.

الملخَّص:

يتناول هذا المقال بالتحليل والبيان مفهوم التعارُف الحضاريّ، وعمق دلالاته، ودواعي اختياره باعتباره ضرورةً شرعيَّةً وحضاريَّةً، ومقصداً من المقاصد الحسنة للحضارات الإنسانيَّة.

ويبرز أصول التعارُف في التراث الإسلاميّ من خلال استخلاص أُسُسِهِ التي يقوم عليها وبيان موقف الحضارة الإسلاميَّة من التعارُف مع الحضارات الأخرى، وما تحققه من علاقات قائمة على المعروف منطلقة من الوعي بالذَّات والآخر، والقسط في القول والعمل، وتعزيز القواسم المشتركة وإبرازها والحدِّ من الصور النمطيَّة والخلفيات المسبقة المتحاملة.

كما يبين الفجوة الحاصلة بين التنظير والممارسة بما توفر في نصوص وقصص التراث من ثراءٍ معرفيٍّ لم يجد السبيل الأمثل للممارسة العمليَّة في الواقع، بسبب تحديَّات مختلفة ومتنوِّعة.

Civilizational acquaintance in the Islamic heritage Between endoscopy and practice

Dr. Abdel Karim elkallali

Professor of Faith، Thought and Religions at the University of Sidi Mohamed bin Abdullah in Fez، member of the Laboratory for Religious and Human Sciences and Community Issues، winner of the Qatar International Prize for Dialogue of Civilizations in its third session 2020-2021.

Abstract:

This article deals with analysis and clarification of the concept of civilizational acquaintance، the depth of its connotations، and the reasons for choosing it as a legitimate and civilized necessity، and one of the good purposes of human civilizations.

It highlights the origins of acquaintance in the Islamic heritage by extracting its foundations on which it is based and clarifying the position of Islamic civilization regarding acquaintance with other civilizations، and what it achieves from relations based on the known stemming from awareness of the self and the other، fairness in speech and action، and strengthening and highlighting common denominators and reducing stereotypes and backgrounds prejudiced predispositions.

It also shows the gap between theory and practice، given the richness of knowledge available in heritage texts and stories، which did not find the best way to practice in reality، due to different and varied challenges.

المقدِّمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أضحى الحديث عن التعارُف الحضاريّ مطلباً مُلِحّاً وضرورة من ضرورات العصر في ظلِّ تفاقُم خطاب الصدام والكراهية والهيمنة والاستكبار، وهو أمر يقتضي إبراز اهتمام الحضارة الإسلاميَّة بالتعارُف الحضاريّ، وتجاوز بعض الأقوال أو الممارسات النشاز التي قد تصدر من بعض المنتسبين والأتباع، لكنَّها لا تعبِّر إلا عن فَهْمِهم ورؤيتهم، ولا يمكن اعتبارها رؤيةً معبِّرةً عن وجهة نظر الحضارة الإسلاميَّة التي لم تقتصر على التعارُف القائم على الوصف الإيمانيّ فحسب، بل على الوصف الإنسانيّ أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13)

والتعارُف الحضاريّ في منظور الحضارة الإسلاميَّة لا يأتي طرحه بديلاً للخروج من مأزِق، كما هو الشأن بالنسبة لمن يريد أن يجعل حوار الحضارات في مقابل صراع الحضارات، بل إنَّ "التعارُف الحضاريّ" مطلبٌ أصيلٌ ينبغي تحصيله لا بديلاً عن الصراع فحسب، بل كمسلك حميد مطلوب وجوده بين الأمم والشعوب تحقيقاً لعمارة الإنسان واستخلافه في الأرض، فضلاً عن كونه ضرورة شرعيَّة وحضاريَّة. وإذ نؤكد هذه الحقيقة فإنَّ التعارُف الحضاريّ لا ينفك عن الدين، بل الدين والتدين حافظ له في كثير من مجالاته، وهو أقوى وأبقى من غيره من الرَّوابط التي ثبت تقلبُّها وتغيُّرها. ولا نقصد من خلال إحياء هذا المفهوم والدعوة إليه أن يقتصر الأمر على مؤتمرات وندوات تعرض فيها قضايا "التعارُف" بل المقصود أن يكون التعارُف سارياً بين الأفراد والمجتمعات والدول والأمم من مختلف الحضارات قولاً وفعلاً؛ ذلك أنَّ الاقتصار على المؤتمرات والاكتفاء بعرض أمثلة ونماذج صار أقرب ما يكون إلى تقليدٍ علميٍّ لدى بعض المراكز والمعاهد والجامعات دون اكتراثٍ بامتداداته

العمليَّة في الحياة الاجتماعيَّة، بل هو في بعض المحافل يكون قرباناً لنيل حظوة أو ادعاء أو تجميل صورة، دون مبالاةٍ بما تعيشه الدول والمجتمعات من تناحر في المعاملات يؤذي به الإنسان أخاه الإنسان بحثاً عن رفاهية اقتصاديَّة أو غلبة سياسيَّة دون مبالاة بِقِيَم المعروف التي يقتضيها التعارُف.

وإذ نعرض هذا الأمر فإنَّنا لا نغفل مظاهر القلق وغياب الثقة في كثير من دعاوى "الحوار" و"التسامح" و"التعايش" لأسباب ترجع إلى أرباب هذه الدعوات وفشلهم في كثير من الاختبارات والمواقف. ويستدعي ذلك استعادة الثقة بأرباب الخطاب قبل الخطاب ومن ثَمَّ الممارسة التي يكون التعارُف فيها يسوده قول وفعل المعروف، يمكن أن يدعو إليه الضعيف، كما يدعو إليه القوي. ولا مناصَ من تعاون الجهود لتوضيح الرؤية وبيان ما يتعلق بالتعارُف الحضاريّ: نشأةً، وتطوراً، وقضايا، وأفقاً، لتحقيق مستقبل آمن للإنسانيَّة جمعاء تُحَقَّقُ فيه وظيفة عمارة الأرض. واعتباراً لما سلف، فإن استدعاء موضوع التعارُف الحضاريّ من القضايا ذات الأولوية في مجال العلاقات الإنسانيَّة، ومن آكد القضايا التي ينبغي أن تحظى بالمدارسة والاهتمام، لما له من أهميَّة علميَّة وعمليَّة تتجلَّى فيما يلي:

- استناد مصطلح التعارُف الحضاريّ إلى القرآن الكريم.
- العناية بإبراز ما تميز به التراث الإسلامي في مجال الدعوة إلى التعارُف الحضاريّ، ومدِّ الجسور مع مختلف الحضارات بحثاً عن المعروف المشترك.
- التأسيس لمفهوم قائم على التعارُف في العلاقات بين الحضارات، وهو أمرٌ أسمى من التعايش والتحاوُر.
- العناية بتوسيع دَلَالَة التعارُف الحضاريّ، والدعوة إلى تجاوز المفاهيم الضيِّقة لمدلوله.

وسيتمُّ تناول الموضوع من خلال الجواب على إشكال: كيف تَمَّ تناول التعارُف الحضاريّ في التراث الإسلامي؟

ويتضمن هذا الإشكال جملة من الإشكالات الفرعيَّة، أهمُّها:

ما مفهوم التعارُف الحضاريّ؟ وماذا يتميز به عن المصطلحات الأخرى السائدة؟ وما أهميته؟ وما أبرز تجليَّات التعارُف الحضاريّ في التراث الإسلاميّ؟ وكيف يمكن الانتقال به من حيِّز التنظير إلى مجال الممارسة العمليَّة؟ وأيُّ مستقبل للتعارف الحضاريّ في ظل التحديَّات المعاصرة؟.

وقد تمَّ تناول الموضوع وفق منهج وصفيّ تقريريّ يُبْرِزُ مفهوم التعارُف الحضاريّ وملامحه في التراث الإسلاميّ، ومنهج تحليليّ يقارن بين المفاهيم، ومنهج نقديّ قائم على التتبع والملاحظة والتوجيه.

المحور الأول: مفهوم التعارُف الحَضَاريّ

التعارُف في اللغة مصدر "تَعَارَفَ" ويدل أصله اللغوي "عَرَفَ" على معنيين، أحدهما: تتابع الشيء متصلاً بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة، تقول: عَرَفَ فُلَانٌ فَلَاناً عِرْفَاناً ومِعْرِفَةً، وأَمْرٌ مَعْرُوفٌ. وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه، لأنَّ من أنكر شيئاً توَحَّشَ منه ونَبَا عنه[1]. وإذا عرفه اطمأنَّ إليه وسكن. وعلى هذا المعنى اللغوي ينبني مفهومه الاصطلاحيّ الذي يقتضي معاملة بالمعروف؛ فيكون "مفهوم التعارُف في الإسلام ذا سَعَةٍ يمكن أن يشمل كلَّ المعاني التي تدلُّ على التعاون والتساكن والتعايش، ويمكن أيضاً أن يستوعب التعارُف قِيَم الحوار والجدل بالتي هي أحسن والاحترام المتبادل"[2]. فهو تعارف معاملته مقيَّدة بالتعامل بالمعروف وتكون العلاقات مؤسسة على "المعروف" المقابل لـ"المنكر" وليس المقصود ما قد يتبادر من ظاهر لفظ "التعارُف" من معرفة أوليَّة، فلا تعارف دون معرفة. فالتعارُف - كما يقول طه عبدالرحمن- موجِّهٌ للعمل التعاونيّ،

1. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج 4، ص 229.
2. عبدالعزيز التويجري، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الواحد والعشرين، الرباط، منشورات الإيسيسكو، 1999م، ص 17.

وإنَّ غايته أنْ يوجهه إلى الأغراض النافعة، وأن يذكره بحدوده الفاصلة؛ فهو يعتبر أنَّ العلاقةَ بين العملين "التعارُفيّ" و"التعاونيّ" تلازميَّةٌ "وليس للعمل التعاونيّ بدٌّ من أن يستعين بالعمل التعارُفيّ، حتى يزوده بهذه المعايير العليا، مكمِّلاً نقصه؛ إذ تؤخذ هذه المعايير من القِيَم الخُلُقيَّة التي اختص هذا العمل الثاني بالإيصال إليها"[3].

ومصطلح الحضارة مشتق من "حَضَرَ" ويدل على "إيرادِ الشَّيءِ، وَوُرُودِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ...، وسكونِ الحَضَرِ الحَضَارةَ"[4]. فهي من "حَضَرَ حُضُوراً وَحَضَارةً" وعند تتبع معانيها اللغويَّة نجدها تعني الإقامة في الحَضَر... والحَضَرُ والحَضْرةُ والحَاضِرةُ: خِلَافُ البادية[5]. والحِضَارَةُ بالكسر الإقامةُ في الحَضَرِ، وكان الأصمعيّ يقول الحَضَارةَ بالفتح[6].

وقد تباينت تعاريف الحضارة من عصر ومن علَم لآخر؛ فعرَّفها ابن خلدون بأنَّها "أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم، في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصر"[7]. وعرَّفَها مالك بن نبي بأنَّها "القدرة على القيام بوظيفة أو مهمَّة معيَّنة"[8]. وينطلق في تعريفها من "جملة العوامل المعنويَّة والماديَّة التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكلِّ عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعيَّة اللازمة لتطوره؛ فالفرد يحقق ذاته بفضل إرادة وقدرة ليستا نابعتين منه، بل ولا تستطيعان ذلك، وإنما تنبعان من المجتمع الذي هو جزء منه"[9]. وهو بهذا التعريف يجعلها مسؤوليَّة فرديَّة واجتماعيَّة تصدق على الأمور البسيطة والثمينة. وعرفها "وِل ديورانت" بأنَّها

3. طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، الدار البيضاء/ بيروت، المركز الثقافي العربي، 2005، ص 23 (بتصرف).
4. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 75.
5. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1414هـ، ج 4، ص 197.
6. ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 197.
7. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 1408هـ - 1988م، ج 1، ص 461.
8. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، بيروت، دار الفكر المعاصر/ دمشق، دار الفكر، 1988م، ص 42.
9. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص 42.

"نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافيّ"[10]. معتبراً أنَّ لها ارتباطا بالأمن والاستقرار، والحضارة عنده "تتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصاديَّة، والنظم السياسيَّة، والتقاليد الخلقيَّة، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق"[11]. ونلاحظ ما في تعريف "وِل ديورانت" من قصور شديد، حيث قصر الحضارة على الإنتاج الثقافيّ ومهما تعددت مجالات الإنتاج الثقافيَّة، فإنَّنا نرى أن الإنتاج الثقافيّ وجه من أوجه الحضارة ومكون من مكوناتها.

والتعريف المختار للحضارة، أنَّها: جملة المظاهر العلميَّة والأدبيَّة والاجتماعيَّة والفنيَّة والفكريَّة والروحيَّة والماديَّة التي ينتجها الإنسان. وهي بهذا المعنى نتاج مشترك بين مختلف الشعوب والأمم، فهي لا تقتصر على انتماء أو جنس معين، ولعل أصدق تجلٍّ لهذا المفهوم عمليّاً يتجلَّى في الحضارة الإسلاميَّة التي استطاعت استيعاب مختلف الأعراق والأجناس، اجتمعت أفكارهم تحت مِظَلَّة جامعة أقوى من فارق الانتماء العرقيّ واللغوي فعاشوا حياة الوحدة والوئام والتعاطف فيما بينهم بعد أن كانت الحروب والعداوات قد بلغت فيهم مبلغاً عظيماً[12].

و"التعارُف الحضاريّ" في دلالته المركبة له ارتباط بمكوناته المفردة، والتعبير به دون غيره من المصطلحات له دَلَالَتُهُ، باعتباره مصطلحاً قرآنيّاً من جهةٍ، ولما يحمله من دلالات لا تحملها مصطلحات قرآنيَّة أخرى أيضاً -كالتعاون مثلاً- فكلٌّ من "التعارُف" و"التعاون" مصطلحات قرآنية لكن الذي يفصل بينهما هو السِّيَاقُ ودَلَالَةُ الاستعمال، فالتعاون ورد في سياقين: سياق الأمر بالتعاون على البرِّ والتقوى، وسياق النَّهي عن التعاون على الإثم

10. وِل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، بيروت، دار الجيل/ تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1408هـ - 1988م، ج 1، ص 3.

11. وِل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، ج 1، ص 3.

12. ينظر: عبدالكريم القلالي، دور وسائل الإعلام في الوقاية والحد من خطاب الكراهية وبناء التعاون الحضاري في أفق التأسيس لحضارات متعاونة، قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ص 75.

والعدوان ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: 2) فقد يكون تعاوناً في الخير أو الشرّ ويسمَّى تعاوناً[13]، لكنَّ التعارُف لا يُعَدُّ تعارفاً إلا إذا كان في المعروف، والفرق بينهما - كما يقول طه عبدالرحمن - أنَّ "التعاون تعامل لا قيدَ أخلاقيّاً معه، والتعارُف تعامل مقيَّد بالمعروف"[14]. وبذلك تكون دائرة التعاون أوسع، وإن كان المعروف مطلوباً تحصيله فيهما معاً، إلا أنَّهُ في التعارُف أدقُّ. ويرى أنَّ "العمل التعاونيّ يتأسس على العمل التعارُفيّ"[15] وأنَّ "رتبة المبادئ التعاونيَّة، لا ترقى إلى رتبة المبادئ التعارُفيَّة التي يتحقق بها الكمال الخلقيّ للإنسان"[16]. فالتعارُف الحضاريّ درجة عليا في المعاملات والعلاقات حيث لا تكون تعارفاً إلا إذا انضبطت بالمعروف، وبذلك يعتبر "التعارُف" مرتبة أرقى وأسمى تقتضي اقتصار "التعاون التعارُفيّ" على المعاني الخيِّرة، بل لا يسمَّى تعارفيًّا إلا إذا كان تعاوناً على المعروف "والتعارُف وظيفته إصلاح الخلل الذي قد يعتري التعاون ويخرج به عن مساره، فيضر بأطرافه عاجلاً أو آجلاً، وممن حقق هذا المعنى وذهب إليه "طه عبدالرحمن" حيث اعتبر أنَّ العمل التعارُفيّ أرقى من العمل التعاونيّ، معتبراً أنَّ الارتقاء بالمجتمع إلى رتبة الأمة لا يتمُّ إلا بالانتقال من العمل التعاونيّ إلى العمل التعارُفيّ؛ ومتى مارست الأمة العمل التعارُفيّ تحققت بقِيَمتها الخلقيَّة الخاصة وأصبحت تراعي ما لدى كلِّ أمة من القِيَم التي تحدد خصوصيَّتها الأخلاقيَّة، فضلاً عن كونها تحفظ مصالحها في التواجد والتواصل مع غيرها من الأمم"[17]. كما اعتبر العمل التعارُفيّ مقياساً للعمل التعاونيّ حيث يرى أنَّ "العمل التعارُفي، بمقدوره وحده أن يحسم في كلِّ عملٍ تعاونيّ، مثبتاً له هذه الفائدة أو نافياً لها عنه، وذلك لأنَّه يستمد هذه

13. وقد وردت الآية الكريمة في القرآن الكريم في سياق الحديث عن علاقة المسلمين بغيرهم، وتحريم الظلم والإذاية والاعتداء وهي إشارة لها مراميها ودلالاتها.

14. المرجع نفسه، ص 133.

15. المرجع نفسه، ص 192.

16. المرجع نفسه، ص 153.

17. طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ص 39.

القدرة من القِيَم التي يقع التعامل بها بين الأشخاص والأمم، والتي تهديهم إلى سبيل التعاون على المعروف"[18]. وهو نظر يختلف عن نظر بعض المهتمِّين بتعارف الحضارات، كما هو الشأن بالنسبة لـ"زكي الميلاد" الذي يعتبر أنَّ المقصد من حوار الحضارات هو "الوصول إلى التعارُف أو إلى قدر معقول منه، أو تصحيح الصورة وإزالة عدم الثقة"[19]. ووضع التعارُف في هذا السياق مرتبة دنيا لا ترقى إلى مستوى التعارُف، ومقابلته بتصحيح الصورة وإزالة عدم الثقة نزولاً به من معناه السامي إلى مراحل أوليَّة، وهو أسمى وأرقى من ذلك بحيث لا يكون فيه إلا التعامل بالمعروف الذي تكون فيه المعاني الأخرى الجزئيَّة قد تحققت، وبذلك يكون المعنى الذي حقَّقه طه عبدالرحمن هو الأقرب لما دلَّت عليه الآية، وهو أسمى المراتب التي يمكن الوصول إليها في العلاقة بين الحضارات، وممَّا يؤكِّد سموَّ العمل التعارُفيّ عن غيره من الوسائل الأخرى تحديده مقصداً في الآية ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13)"[20].

وإذا كان الأستاذ زكي الميلاد يعتبر أنَّ "مقولة "تعارف الحضارات" لا تعني مجرد الاعتراف بتعدُّد الحضارات وتنوُّعها، وإنَّما تستند على ضرورة بناء وتقدم الحضارات في العالم، وتأسيس الشراكة الحضاريَّة فيما بينها، وتبادل المعرفة والخبرة، فالعالم ليس بحاجة إلى حضارة واحدة وإنما إلى استنهاض الحضارات كلِّها"[21]. فإنَّنا نرى أنَّ الاقتصار في التعارُف على هذا المعنى مُضِرٌّ به، وغير مُحَقِّق للمعنى المراد من التعارُف الذي لا يقتصر على تبادل المعارف والخبرات فحسب بل ينظِّم التعامل ليجعله في أمور المعروف،

18. المرجع نفسه، ص 23.

19. زكي الميلاد، نحن والعالم من أجل تجديد رؤيتنا للعالم، مؤسسة اليمامة، 2005، ص 64.

20. عبدالكريم القلالي، دور وسائل الإعلام في الوقاية والحد من الكراهية وبناء التعاون الحضاري في أفق التأسيس لحضارات متعاونة، ص 77.

21. زكي الميلاد، تعارف الحضارات الفكرة والخبرة والتأسيس، مقال مضمن في كتاب: تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات، القاهرة، دار الكتاب المصري/ بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1435هـ/ 2014م، ص 88.

وتلك هي الخاصيَّة التي نسعى لإحيائها في رؤية الحضارة الإسلاميَّة للتعارف، كما أنَّ الزعم القائل بأنَّ "مفهوم تعارف الحضارات أكثر ضبطاً وصواباً من مفهوم حوار الحضارات، وأوضح تعبيراً عن الرؤية الإسلاميَّة في هذا الشأن، وأنَّ التعارُف هو الذي يؤسس للحوار وينهض به، وما تحتاج إليه الحضارات في عالم اليوم هو التعارُف الذي يرفع الجهل بِصُوَرِهِ كافَّةً والجهل المسبب للصدام بين الحضارات"[22]. زَعْمٌ يحتاج إلى تأمُّل ونظر، ذلك أنه مفهوم قائم على اعتبار التعارُف الحضاريّ نظراً بسيطاً يتعلق برفع جهل أرباب كلِّ حضارة بأرباب حضارة أخرى، كما يَعتبر الحوار شيئاً أسمى من التعارُف، والذي يُظْهِرُ عند التأمُّل أنَّ التعارُف أسمى من الحوار، فالتعارُف فيه تعامل بما هو معروف من القضايا التي تقابل الشرّ والمنكر، والحوار مرحلة دنيا قد يكون قبل الاطمئنان والسكون إلى الآخر، أمَّا التعارُف فلا يكون إلا بعد تحقُّق ذلك، ولا ينبغي حصر مفهومه في معرفة الآخر، بل في معاملته بالمعروف. ونرى أنَّ سبب هذا الإشكال ناتج عن الاختلاف في المفهوم أو عدم تحريره.

وتعبيرنا بالتعارُف الحضاريّ لا يعني إلغاء ما هو مُعْتَبَرٌ من المصطلحات الأخرى التي تستعمل في هذا السياق، كـ"التعايش" و"التعاون" و"التفاهم" و"الحوار" فكلُّها مصطلحات ومعانٍ مطلوب تحصيلها غير أنَّ دَلَالَةَ التعارُف أدقُّ وأشملُ وأجمعُ "وإذا كان التعايش يشكِّل الحد الأدنى في العلاقات الإنسانيَّة؛ فإن التعاون يُعْتَبَرُ مَقْصِداً أسمى منه، لما يتحقَّق به من منافع للإنسانيَّة جمعاء، فتستفيد من بعضها وتتعاون في الحياة لتذلِّل ما سخره الله للإنسان ليحيا الجميع مطمئناً من جوعٍ وآمِناً من خوفٍ، وعند تحقيق "التعاون" يمكن السعي إلى "التعارُف" الذي يهذب "التعاون" ويجعله تعاوناً مقتصراً على المعروف فقط، وقد يورد اعتراض في هذا المقام في كون التعايش أيضاً لم يتحقق على النحو الذي ينبغي؛ فنقول: إنَّ ذلك يختلف بنسب متفاوتة، ورغم ما هو حاصل

22. زكي الميلاد، تعارف الحضارات الفكرة والخبرة والتأسيس، مقال مضمن في كتاب: تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات، ص 88.

من فلتات تظهر في مواطن مختلفة؛ فقد تحقق منه ما هو مُهِمٌّ ممَّا يسعف إلى الانتقال إلى التعاون، ولا يعني هذا إغفال تعزيز "التعايش" فهو حدٌّ أدنى بل ينبغي أن لا يكون محل إشكال أصلاً لأنَّه أصلٌ وحقٌّ من الحقوق الأساسيَّة التي يفترض أن تكون حقَّ كلِّ الأمم والشعوب، وإن كان الواقع المعيش والمشاهد ناطقاً بغير ذلك، فالمطلوب بعد "التعايش" و"التفاهم" و"الحوار" تحقيق "التعاون" ومن ثَمَّ الرُّقِيُّ به إلى مستوى "التعارُف"[23].

وبهذا يظهر أنَّ التعارُف الحضاريّ كمصطلح ليس أمراً جديداً، ويتم التعبير عنه بألفاظ قريبة ومتعددة كـ"تعارف الحضارات" ونحوها من المصطلحات المشتَّقة من المادَّتين "ع ر ف" و"ح ض ر" وقد أخذ حيِّزاً لا بأس به من التنظير، وإن كان في شِقٍّ كبيرٍ منه لا يتوافق مع المعنى الذي نقصده بـ"التعارُف الحضاريّ" المقتضي التعامل بالمعروف، ورغم ما بُذِلَ من جهود في الحديث عن تعارف الحضارات سواء في مؤلفات[24] أو رسائل علميَّة[25] أو ندوات ومؤتمرات[26]، ومقالات علميَّة[27]، فإنَّ القصور الملاحظ هو فيما يتعلق بالمفاهيم المقتصرة على المعاني الدنيا من التعارُف، ونجدد التأكيد على أن تعريف الأستاذ زكي الميلاد للتعارف الحضاريّ الذي ذكر فيه أنَّ مقولة "تعارف الحضارات" لا تعني مجرد الاعتراف بتعدُّد الحضارات وتنوعها، وإنما تستند على ضرورة بناء وتقدم الحضارات في العالم، وتأسيس الشراكة الحضاريّة فيما بينها، وتبادل المعرفة والخبرة، فالعالم ليس بحاجة

23. عبدالكريم القلالي، دور وسائل الإعلام في الوقاية والحد من الكراهية وبناء التعاون الحضاري في أفق التأسيس لحضارات متعاونة، ص 77.

24. منها "تعارف الحضارات" الذي أعده وحرره زكي الميلاد بمشاركة نخبة من العلماء والمفكرين. وهناك بعض الدراسات التي تناولت موضوع "تعارف الحضارات" عند الأستاذ زكي الميلاد باعتباره من أبرز المهتمين المعاصرين بموضوع تعارف الحضارات. وله أيضاً هو وصلاح الدين الجوهري كتاب "تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات".

25. من الدراسات التي تناولت الموضوع "تعارف الحضارات الأطروحة البديل في التعامل مع الآخر" لعلي عبود مالك المحمداوي، رسالة ماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد.

26. منها مؤتمر "تعارف الحضارات" بجامعة القاهرة، سنة 2011م.

27. منها مقال "الاستخلاف في فقه التحضر" بمجلة الجديد، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، 1417 هـ/1997م، تناول فيه قضايا متعلقة بمفهوم التعارف.

إلى حضارة واحدة، وإنما إلى استنهاض الحضارات كافَّةً"[28]. هو تعريف يعتبر التعارُف - كما نَصَّ على ذلك في مواطن مختلفة من مقالاته - مجرد تأسيس للحوار ورفع للجهل بصورة الآخر. وهذا هو ما يُنْتَقَدُ على الأستاذ زكي الميلاد حيث اقتصر على مراحل دنيا من التعارُف، فالتعارُف الحضاريّ شيء أسمى من مجرد المعرفة والتبادل بل هو رُقِيٌّ إلى أن تكون العلاقة بالمعروف وفي المعروف، وهو أمر يستلزم ويتضمن قطعاً ما أشار إليه من مفاهيم دنيا في التعارُف؛ إذ الوصول إلى المراحل العليا التي هي التعامل بالمعروف لا يتأتَّى إلا بعد معرفة كلٍّ طرف بالآخر. وإذا تتبعنا مختلف مشتقات "ع ر ف" في القرآن الكريم، فسنجدها تدلُّ على معاني متعدِّدة، كالمعرفة التي هي ضدُّ الجهل، ومعرفة الآخر، والإحسان إليه، والمعاملة بالمعروف، واستخراج المعنى ينبغي أن يراعي كلَّ هذه الدَّلَالَات[29]، وما حصل في تعريف الأستاذ زكي الميلاد وغيره أنَّه عبَّر عن هذا المعنى الكُلِّيّ في القرآن بدَلَالَةٍ جزئيَّةٍ، فلم يوفِّ المصطلح حقه من الوفاء في المعنى.

وفي حدود ما اطلعت عليه من دراسات ومؤلفات ومقالات حول التعارُف الحضاريّ فإنِّي لم أجد من حرص على ربط اللفظ بالمعنى في مفهوم التعارُف مثل "طه عبدالرحمن" في مواقع متفرِّقة من مختلف مؤلفاته. واعتباراً لما سلف فإنَّ الأمر يقتضي الاهتمام بـ"التعارُف الحضاريّ" وبيانه وفق مفهومه الواسع الملائم لسعة الدلالة القرآنيَّة في إطلاق المصطلح، ومراجعة ما تمَّ طرحه من مفاهيم حول تعارف الحضارات، مراجعة شموليَّة ترقى بالمفهوم والأفق، وأرى أنَّه يمكن اعتبار إشارات "طه عبدالرحمن" منطلقاً لهذا التوسع في مفهوم "التعارُف الحضاريّ" والتأسيس له، وتجاوز المفاهيم الضيقة التي فسرت بها آية التعارُف في مراحل مختلفة من التاريخ الإسلاميِّ بما فيها العصر الحاضر.

28. زكي الميلاد، تعارف الحضارات، الفكرة الخبرة والتأسيس، مجلة الحوار الثقافي جامعة عبدالحميد بن باديس، العدد 1، 2021، ص 21.

29. وردت مادة (ع ر ف) في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين استعمالاً، في مواضيع مختلفة بلغت نحو واحد وسبعين موضعاً، أما "التعارف" فلم يرد إلا في موضعين "يتعارفون" و"لتعارفوا".

المحور الثاني: التعارُف الحضاريّ في التراث الإسلاميّ

من مقاصد إثارة موضوع التعارُف الحضاريّ في التراث الإسلامي استكمال الرؤيَّة المتعلقة به، وتأسيس العلاقات الإنسانيَّة على مفهوم تعارفيّ يحقِّق عمارة الأرض؛ لذا فإنَّ إضافة قيد التعامل بالمعروف في التعارُف الحضاريّ أمرٌ لا بُدَّ من مراعاته لتجاوز المفهوم السائد في التعارُف المقتصر على أن يعرف أصحاب الحضارات بعضهم بعضاً فقط، والمطلوب أن تكون العلاقات بين الحضارات قائمةً على التعاون في أمور الخير، وبذلك تكون علاقات الإثم والعدوان ليست من التعارُف الحضاريّ، وهذا القيد من مقتضيات الدلالات الواسعة للفظ "لتعارفوا" في آية التعارُف في سورة الحجرات، وهو مصطلح ينبغي أن تراعى فيه سعة دلالاته وتنزيل كافَّة مقتضياته دون قصره على معنى أوليّ لا يَفِي بالمعاني الأخرى، وهو أمرٌ يقتضي تجاوز التفاسير التي ضيقت المفهوم وتمَّ توارثه؛ فصار المعنى ضيِّقاً بعد أن كان الأصل واسعاً، لا سيَّما وأنَّه في سياق ذكر الشعوب والقبائل التي خضعت أيضاً لمفهوم ضيِّقٍ في معنى القبيلة والشعب الذي حكمته ظروف ونوازل تاريخيَّة ظلَّت التفاسير بعدها أسيرة لذلك المفهوم، وبعضها ضيق المفهوم بالتصورات الضيقة المطروحة، فكان مفهوم الشعب والقبيلة لدى البعض مدعاةً للعصبية والانكفاء في حين أنَّ سياق ذكره في التعارُف دعوة صريحة لمدِّ الجسور وبناء العلاقات واكتشاف الآخر والتعارُف معه في المعروف، ولا يزال المصطلح بحاجة إلى آراء توسع المفهوم تنظيراً وتطبيقاً تقريراً واستشرافاً، وهو أمر يحتاج تجاوز بعض الأمور التي لا تزال تلقي بظلالها على محاولة تفسير "التعارُف الحضاريّ" حيث القلَّة هم الذين يستطيعون الانفكاك من أسر ذلك التقليد السائد في وضع الحدود والمفاهيم، وهو تفسير لا ندعو إلى الاقتصار فيه على مقتضى الآية في التعارُف بل بيانها مرتبط بالنصوص المعززة لمعاني التعارُف الدالة على الرغبة في عالميَّة الخير انطلاقاً من عالميَّة الرسالة التي تحمل للإنسانيَّة كلَّ معاني المعروف، كما في قول الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: 28)، فالآية تشير إلى مرسِل وهو الله عز وجل، وإلى مرسَل وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى مرسَل إليه وهم الناس، وإلى ما أُرْسِلَ به من البشارة لأهل الخير والمعروف، وهو نذير لأهل الظلم والبغي والعدوان. وهي ليست عالميَّة خاصَّة بالذي أوحي إليه، بل عالميَّة تدعو أتباعه إلى حملها ونشر المعروف بينهم وبين غيرهم، وهو نشر لا تُحِدُّهُ حدود نوعيَّة أو جغرافيَّة ما دام الأصل والمصير واحداً، فينبغي أن تكون هناك وحدة في الدعوة إلى معاني المعروف وممارسته، وهي وحدة قد تتحقق نسبيّاً ولا تتحقق مطلقاً اعتباراً لسنن الله في الخلق، لكنَّ الدعوة إلى التعارُف حول أمور المعروف ينبغي أن لا تتوقف، وفي التعبير بالفعل المضارع "لتعارفوا" الذي يفيد التجدُّد والاستمرار واستحضار الصورة دلالات، وكلُّ فرد أو جماعة أو دولة يكون مطالباً وفق المواثيق الشرعيَّة والإنسانيَّة والدوليَّة أن يتعاون في مجال المعروف ولا يتعاون في مجال الشرِّ. وهذه المفاهيم يمكن تعزيزها بمواقف مختلفة من التاريخ، وهي مواقف لا نقصد بإحيائها الإغراق فيما هو تاريخيّ بل توظيف الماضي في الحاضر واستشراف المستقبل به، والنظر في نصوص التراث الموجِّهة للعلاقة بين الأمم والشعوب، واستخراج منهج التفاعل معها في مختلف مراحل التاريخ. ومن القواعد الكبرى التي تؤطِّر علاقة المسلم بغيره ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: 8). فحالة العداء لا تكون إلا في حال الظلم والعدوان، أمَّا الأصل فهو حسن المعاملة والبرّ والقسط في العلاقة. والاختلاف لا يقتضي أبداً التناحر أو البغضاء، وعدم تحصيل الوحدة لا يعني غياب التعاون أو التعارُف، أو ما يصطلح عليه طه عبدالرحمن "الاختلاف الفكريّ التعاونيّ، والاختلاف الفكريّ التعارُفيّ"[30]. ولكلٍّ منهما مرتبته، غير أن تحصيل التعاون لا يعني الاقتصار عليه، بل هو وسيلة لتحقيق مقصد التعارُف، فلا بدَّ من الجمع بين

30. طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ص 143.

العمل التعاونيّ والعمل التعارُفيّ مرتقياً بالإنسان في مدارج الكمال السلوكيّ، ولتهذيب العمل التعاونيَّ لا بدَّ من ربطه بالمعروف ونبذ المنكر أو ما يعبِّر عنه القرآن الكريم بـ"التعاون على البرِّ والتقوى" ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: 2). وكلَّما كان العملُ التعاونيُّ أو التعارُفيُّ مؤسَّساً على قِيَمه الواردة في التراث حقَّقَ النتائجَ والاستمرارَ وتعدِّي النفع إلى الغير "وفي المنطق التعارُفيّ التكريميّ يكون الحوار تعارفيّاً، وتآلفيّاً، وتواصليّاً، وتشاركيّاً، وإقناعيّاً، وأمَّا على خطِّ "التناكر الصراعيّ" فيكون الحوار مصلحيّاً، وإلغائيّاً، وقهريّاً مفروضاً، وبعيداً عن الإقناع والتواصل من أجل الصالح الإنسانيّ، وإنما يوظف من أجل تحقيق مصالح فرديَّة جزئيَّة لصالح مشاريع أو أفراد أو حضارات أو أفكار معيَّنة"[31] والتعرُّف إلى الآخر لن يكون سديداً، ما لم تحكمه ضوابط موضوعيَّة، فقد كانت هناك محاولات التعرُّف على الحضارة الإسلاميَّة في الدراسات الاستشراقيَّة، وبذلت في ذلك جهود آفتُها أنَّها كانت بدافع السيطرة والهيمنة، أو ما يمكن أن يُعَبَّر عنه بـ"سوء النية" من خلال مظاهر وشواهد عِدَّة تؤكِّد ذلك وتؤيِّده، وهذا القصد السَّيِّء ينبغي أن لا يُقَابَل بمثله، بل المطلوب التعرُّف إلى الآخر ودراسته ومعرفته لمقاصد حسنة للإنسانيَّة، ومظاهر "تمركز الفكر الأوروبيّ حول ذاته، وعجزه عن إدراك العالم من منظور غير منظوره الخاصِّ"[32] كثيرة ومتعدِّدة. وكما أنَّ الآخر المختلف مطالب بمعرفة غيره فإنَّ غيره أيضاً مطالب بمعرفته، وكلا المعرفتين لا بدَّ من الموضوعيَّة فيهما والتخلُّص من الخلفيَّات السلبيَّة الموجَّهَة، والتطلع إلى معرفة الآخر لمد جسور التعاون، ومن ثم ضبط التعاون بالتعارُف "ولا يلزم أبداً من هذا العمل التعارُفيّ الكونيّ أنَّه ينبغي أن يتعارف الآخرون فيما بينهم كما يتعارف المسلم معهم، وإنَّما الذي يلزم منه هو أن المسلم يجتهد

31. عبدالعزيز برغوث، مفهوما التعارف والتدافع وموقعهما في الحوار من المنظور الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 63، شتاء 1432هـ/ 2011م، ص 91.

32. رسل برتراند، حكمة الغرب الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة: فؤاد زكريا، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2009، (مقدمة المترجم) ص 8.

في أن يتعارف مع كلِّ إنسان، بحيث كلَّما اتسعت دائرة تعارفه، زادت حظوظ اشتراكه مع الآخرين في تعارف بعضهم مع بعض، حتى إذا أضحى بموجب قصده -بعد بذل أقصى جهده- في التعارُف مع كلِّ الناس يكون قد شاركهم جميعاً في تعارفهم، فضلاً عمَّن اختصَّ بالتعارُف معهم؛ وهكذا يؤدِّي تعارف المسلم مع الناس إلى تبيُّن أنَّهم جميعاً يشتركون في التعارُف؛ أي أنَّ "العمل التعارُفيّ الكونيّ "يُفضي إلى "كونيَّة العمل التعارُفيّ"[33].

والنصوص المتعلقة بالعلاقات بين المسلمين وغيرهم داعية إلى المعاملة بالحسنى وقول وفعل التي هي أحسن، من خلال امتثال مكارم الأخلاق معاملةً ووفاءً وإحساناً، وجميع ذلك دالٌّ على أنَّ "التعارُف يعدُّ قِيمَةً أساسية من قِيَم عالميَّة الإسلام وخصائصِه العامَّة الأخرى. فإذا كان الإسلام عالميّاً، وواقعيّاً، وميسَّراً، وعلميّاً، وإقناعيّاً، ومتوازناً، ومتكاملاً، وإنسانيّاً...، فإنَّ هذه العالميَّة لا يمكن أن تتجسد على حقيقتها ولا يمكن أنْ تمارَس حق ممارساتها إلا في ظلِّ إطار التعارُف الإسلامي الذي يدعو إلى التكريم..."[34]. وهو تكريم مرتبط ببني آدم جميعاً ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: 70) ومن مقتضياته مراعاة الكرامة الآدميَّة في التعامل وعدم ارتكاب ما يناقضها "وعندما يتعامل المسلم مع غير المؤمنين بالإسلام من أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى، فإنَّه يتعامل معهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويبحث عن "الحسِّ المشترك" الذي يتجاوز الاختلافات، وعن الفطرة البشريَّة السليمة التي تدفع جميع الناس إلى التعارُف والتفاهم والتعايش لتبادل المصالح والمنافع وبناء الحضارة"[35]. وهو أمرٌ له أصوله وشواهده المتعددة في التاريخ الإسلاميّ "ومن يطَّلع بأمانةٍ

33. طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ص 29.

34. عبدالعزيز برغوث، مفهوما التعارف والتدافع وموقعهما في الحوار من المنظور الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 63، شتاء 1432هـ/ 2011م، ص 88.

35. فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران، الولايات المتحدة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1434ه/ 2013م، ص 69.

ورويَّةٍ على الرؤية الإسلاميَّة في موضوع الحوار والتفاعل مع الآخر، فسيدرك كيف أن القرآن الكريم أسس لرؤية كونيَّة متوازنة ومتكاملة في الحوار والاتصال والتفاعل، كما سيجد في السيرة النبويَّة، وفي سنة النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام، وفي أعمال الخلفاء والصحابة والتابعين أمثلة واقعيَّة حيَّة لتجسيد قِيَم الحوار والاتصال القرآنيّ في ممارسات الأُمَّة الإسلاميَّة، وحضارتها في صلتها مع الأديان والأمم والشعوب، والثقافات الأخرى"[36]. والتقسيم الوارد في آية التعارُف ﴿شُعُوباً وَقَبَائِلَ﴾ إقرار للتعدُّد والتنوُّع، وتوجيه إلى التدرج في التعارُف، حتى يَعُمَّ ذلك الجميع، فالأصل أنَّ التعدُّد والتنوع بين بني الإنسان غرضه تحقيق التعارُف، والذي يَعُدُّهُ ذريعةً للتنافر والاختلاف يخرج عن هذا الأصل والقصد. والانتساب للأصل الواحد يعزِّز التعارُف والتعاون ويدفع العنصريَّة والطبقيَّة، ومهما تباعدت الأوطان والبلدان يظلُّ الأصل الإنسانيّ الجامع قائماً. واستقصاء الشواهد والأمثلة الدَّالة على التعارُف الحضاريّ أمر يطول القول فيه، وحسبنا أن نشير إلى مظاهر وأمثلة دالة على ذلك:

- **حديث القرآن عن الأمم الأخرى،** والإشادة بأخلاقها وخصالها الحميدة، وتوجيه الخطاب إلى الناس عامَّة في مختلف المواطن، والتذكير بالأصل الإنسانيّ المشترك ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء: 1) وطبيعة الفطرة الإنسانيَّة في الخلق ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ (الحجرات: 13) والإقرار بالتنُّوع الإنسانيّ وأنَّه عامل تقارب وتآلف وتعارف وليس عامل تنافر كما يتوهم البعض ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13). وفي الحديث عن هذه الخصال والتذكير بالمشترك دعوة لاستثماره ومدّ الجسور وكسر جواجز النفور وتقريب الأمم بعضها من بعض لتتعامل بالمعروف،

36. عبدالعزيز برغوث، مفهوما التعارف والتدافع وموقعهما في الحوار من المنظور الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد: 63، شتاء 1432هـ/ 2011م، ص 76.

وهو تعامل لا ينفي الخصوصيَّة الأخلاقيَّة عند الاختلاف "والخصوصيَّة الأخلاقيَّة للأمة المسلمة لها تعلُّق باختلاف الناس، أشخاصاً وأُمَماً، حيث إنَّ المسلم يأتي عملاً تعارفيّاً مع الآخرين - أو قل باختصار يتعارف معهم- لكي يزداد تخلُّقاً؛ إلا أنَّ هذا التعارُف ليس له حدٌّ يقف عنده، بل يتوجب على المسلم أن يبذل جهده في أن يشمل تعارفه أكثر الناس، حتى إذا بلغ نهاية طاقته، استحق أن ينزل منزلة من تعارف مع الناس جميعاً، إذ قاصد الشيء في باب الأخلاق أيضاً كفاعله؛ يلزم من هذا أنَّ الخصوصيَّة الأخلاقيَّة للأمَّة الإسلاميَّة تقوم بالنهوض بعمل تعارفيّ كونيّ"[37].

- **موقف النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم من الأمم الأخرى،** وذكر خصالها الحميدة، كما في الإشادة بالعدل لدى ملك الحبشة، والنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حين رأى "ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية...، وأنَّه لا يقدر على أن يمنعهم ممَّا هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنَّ بها ملكاً لا يُظْلَمُ عنده أحدٌ، وهي أرضُ صدقٍ، حتى يجعل الله لكم فَرَجاً ممَّا أنتم فيه. فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم"[38] وفي ذلك التماس لمكارم الأخلاق وجميل الخصال حيثما وجدت، ولو اختلف الدين، بل وفيه حماية للحق في التدين وطلب الأمان في كنف من له ديانة مختلفة، وهو معنى عظيم من المعاني الجامعة للإنسانيَّة على دفع الظلم والعدوان، مهما اختلفت الانتماءات.

- **وثيقة المدينة المنورة،** وهي وثيقة أُسِّسَتْ للتعارف بين مختلف الطوائف لتستقِيَم الحياة على الحقِّ والعدل، وهي كتاب جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم "بين المهاجرين والأنصار، وَادَعَ فيه يهود وعاهدهم، وأقرَّهم

37. طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ص 29.

38. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1375هـ - 1955م، ج 1، ص 322.

على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم"[39]. وتضمنت الوثيقة جملة من القضايا المشتركة ومظاهر متعدِّدة للتعاون والتعارُف في أمور المعروف، وهو تعارُف حضاريّ صريح؛ حيث أقرَّت الوثيقة اشتراك مختلف الطوائف في المدينة في دفع الظلم والإثم، وأنَّ من خرج عن هذا التعارُف في أمور المعروف فإنَّه يعرض نفسه للخروج ممَّا تمَّ الاتفاق عليه، ونصَّت الوثيقة على الاشترك في الإنفاق الماليّ، ومما ورد فيها: "أنَّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم، فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته"[40].

- **مراسلات النبيّ صلى الله عليه وسلم للملوك والأمراء،** يدعوهم فيها إلى الإسلام ويعرفهم بحضارته، ومن الأمراء ما كان يجهل رسالة الإسلام مثل كسرى، ومنهم من كان ينتظرها مثل قيصر، وكانت تلك الرسائل مختومة بختم النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم للتأكيد على أنَّها صادرة من عنده. وراسل من خلالها مختلف الأمراء، كالنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس عظيم القبط في مصر، وهرقل عظيم الروم، وكسرى ملك الفرس، والمنذر ملك البحرين، وهوذة بن علي باليمامة، وجيفر وعباد بعمان....[41] وفي هذا التنوُّع حثٌّ على إيجاد قضايا مشتركة مع مختلف الحضارات ودعوة إلى الاجتماع على المعروف والكلمة السواء.

- **حماية غير المسلمين من الظلم والعدوان،** "وإنَّه من تبعنا من يهود فإنَّ له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم"[42]. فالأمر لا يقتصر على حسن المعاملة والتزام القسط بل يتجاوز إلى واجب النصرة والحماية،

39. ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 503.
40. المصدر نفسه، ج 1، ص 503.
41. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ، ج 8، ص 128.
42. ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 503.

وهو أمر من شأنه توثيق الصلات والعُرَى بين النَّاس، وتوثيق روابطهم المشتركة من خلال التعامُل بالمعروف في السَّراء والضَّراء.

وقد كانت المواقف المعتدلة في التراث الإسلاميّ ممثِّلةً لشتَّى أوجه التعارُف القائمة على المعاملة بالمعروف في الأمور الصغيرة والكبيرة وإن اختلفت الديانات[43]، ونذكِّر في هذا السياق بموقف ابن تيمية من معاملة الأسرى غير المسلمين؛ وذلك أنه لما استولى التتار على بلاد الشام وأراد ملكهم تحرير الأسرى المسلمين دون غيرهم من النصارى، فاعترض ابن تيمية وطالب بتحرير كلِّ الأسرى؛ فلما رأى ذلك ملك التتار أطلق جميع الأسرى لديه، وقد كان ملك التتار قال له: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يطلقون. فقال له ابن تيمية "بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا؛ فإنَّا نفتكهم ولا ندع أسيراً لا من أهل المِلَّة ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله. فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله"[44]. وهناك أيضاً ما يدلُّ على حسن الصلة مع غير المسلم، وقد ذكر الإمام القرافيّ أنَّه ممَّا يجب في معاملة غير المسلمين الذين يعيشون بين ظهراني المسلمين "الرِّفق بضعيفهم وسَدُّ خُلَةِ فقيرهم وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذِّلة، واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً منا بهم لا خوفاً وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيَّتهم وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم وإيصالهم لجميع حقوقهم" [45].

43. إن اختيار هذه المواقف وإبرازها لا يعد انتقاء أو إغفالاً للشواهد والأقوال المخالفة، فإنا نورد ما نراه موافقاً لرؤية الحضارة الإسلامية، وذلك لا يعني أنه لا توجد مواقف ورؤى شاذة بل هي موجودة ولا يمكن التحاكم إليها بل هي التي تحاكم إلى رؤية ومنظور الحضارة الإسلامية.

44. ابن تيمية، الرسالة القبرصية، بيروت، دار ابن حزم، 1990، ص 40.

45. شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، دار الكتب العلمية، ط 1، 1990م، ج 3، ص 15.

ونصوص التراث إذ تزخر بالشواهد الدَّالة والدَّاعية إلى حسن المعاملة فإنا نجد أحياناً في بعض التأويلات فهما منحرفاً دخيلاً تأباه حضارة الإسلام، والنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قال "ألا من ظلم مُعَاهَدا، أو انتقصه، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسٍ، فأنا حجيجه يوم القيامة"[46]. وقد كانت المعاملات النَّبويَّة مثالاً يُحْتَذَى في القسط والتعارُف، ولم يكن ذلك مقتصراً على الأمم الموجودة فحسب كواقعٍ يحتاج إلى سياسة وتعامل مع فئة قويَّة بل تجاوز ذلك إلى التعامل مع الضعيف، ووفق رأي "غارودي" فإن الحضارة الإسلاميَّة لم تقتصر فقط على التعامُل مع الحضارات التي وجدتها قائمةً بل سعت إلى إحياء حضارات أخرى لم تكن ذا بالٍ، فالإسلام "لم يكمل ويخصب وينشر أقدم وأرفع الحضارات فحسب، كحضارة الصين والهند وفارس واليونان والإسكندريَّة وبيزنطة، بل حمل إلى إمبراطوريات مفكَّكة وحضارات ميِّتَة روح حياة جماعيَّة جديدة، وأعاد إلى مجتمعاتهم أبعادهم الإنسانيَّة..."[47].

المحور الثالث: التعارُف الحضاريّ بين التنظير والممارسة

التعارُف الحضاريّ يحتاج إلى رؤى نظريَّة وتنظيريَّة تبرز حقيقته في مختلف الحضارات، وتبين موقف كلِّ حضارة من التعارُف مع الحضارات الأخرى، ومن ثَمَّ الحرص على تنزيل ما هو نظريّ في الواقع العمليّ. وإذا كانت الحضارة الإسلاميَّة قد تبيَّنت فيها هذه الملامح فإنَّه ممَّا يعاب ما هو حاصل من الاقتصار على جانب النظر والتنظير دون الاهتمام بجانب الممارسة والتطبيق سواء على المستوى الفرديّ أو الاجتماعيّ أو الرسميّ، حيث مبادرات التعارُف الحضاريّ لا تزال تثار أحياناً على استحياء، والمطلوب تحقيق التعارُف تنظيراً وممارسةً باعتبار ذلك وظيفةً استخلافيَّةً وواجباً إنسانيّاً، والاهتمام بالتنظير والممارسة ينبغي أن يكون متوازياً ومتوازناً.

46. سنن أبي داود، تحقيق: عادل محمد - عماد عباس، القاهرة، دار التأصيل، 1436هـ- 2015م، كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، ج 5، ص 203.

47. روجيه غارودي وعود الإسلام، بيروت، الدار العالمية، 1984م، ص 19.

1. **التعارُف الحضاريّ تنظيراً،** بالرجوع إلى ما ورد في التراث الإسلاميّ من قضايا متعلقة بالتعارُف الحضاريّ، نجد أنَّ النصوص الدالة على معنى التعارُف ومقتضياته كثيرة، كما تؤكد ذلك شواهد ووقائع من التاريخ الإسلاميّ دالة على ما كان بين الحضارة الإسلاميَّة والحضارات الأخرى من تعارف، وكل ذلك يمكن أن يعتبر إرثاً كافياً لاستئناف الدور المنشود وتحقيق الآمال المتعلقة بالتعارُف الحضاريّ بين مختلف الحضارات. وهو أمرٌ لا غبار عليه من الناحية النظريَّة. ونشير إلى بعض الجهود التي تعتبر منطلقاً في التنظير لتحقيق التعارُف كما هو الشأن بالنسبة للاستشراق والاستغراب -وإن كان البَوْنُ بينهما شاسعاً - فالاستشراق لا يخفى ما خلفه من آثار إيجابيَّة وأخرى سلبيَّة، الإيجابيّ يتجلَّى في أعمال فئة موضوعيَّة قليلة سعت لمعرفة ثقافة الآخر وحضارته، والسلبيّ فيما جانب فيه الموضوعيَّة من أحكام مجانفة تحكمت فيها أهداف متعددة أخرجتها عن موضوعيَّتها العلميَّة، فصارت المعرفة توجَّه توجيهاً بعيداً عن البحث عن الحقيقة، وظلَّ أتباع الحضارة الإسلاميَّة حيناً من الدَّهر يشتغلون بالرُّدود على المستشرقين دون التفكير في دراسة الغرب. وقد هيَّأ الله جهوداً مشكورةً ونخبةً من أهل العلم والرَّأي والقرار للاهتمام بهذا المشروع العلميّ الكبير مشروع "الاستغراب" الذي يُعْنَى بدراسة الغرب ويضع أُسُساً للعلاقة مع الآخر، وصدرت أول موسوعة ترصد الغرب بكلِّ تجلياته المعرفيَّة والعلميَّة والدينيَّة والاجتماعيَّة وباصطلاحاته ومصطلحاته الحضاريّة والتاريخيَّة والإثنيَّة والسياسيَّة، ومن أهدافها إبراز خصوصيَّات مختلف الحضارات[48]. وإذا كان الاستشراق قد قدَّم صوراً سلبيَّة عن الحضارة الإسلاميَّة في كثير من المواقف التي جانب فيها الموضوعيَّة وأفرط في التنظير تحذيراً من الحضارة الإسلاميَّة من خلال

48. صدرت الموسوعة سنة 1443هـ/ 2022م عن كرسي الإيسيسكو لحوار الحضارات في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بتعاون ودعم لوجستي من اللجنة القطرية لتحالف الحضارات بوزارة الخارجية القطرية ومنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو" عبر اتحاد جامعات العالم الإسلامي المنضوي تحتها، ونشر وتوزيع دار نشر جامعة قطر. ينظر حوار حول موسوعة الاستغراب مع الأستاذ الدكتور عزالدين معميش رئيس تحرير موسوعة الاستغراب ومديرها التنفيذي، على الرابط التالي: https://cutt.us/bnbqu

انتقاء مواقف معينة وتفسيرها بهوى استشراقيّ بغية الطعن في الحضارة فإنَّ الاستغراب لا يزال يخطو خطواته الأولى ويحتاج إغناء جانب التنظير وتقديم معرفة إيجابيَّة قائمة على الموضوعيَّة ومعرفة الآخر معرفة حقيقيَّة من خلال سبر أغوار تاريخه وحاضره والنظر في نمط تفكيره وفق المنهج القرآنيّ في التعامل مع الموافق والمخالف ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ (الأنعام: 152) ولا يزال التعارُف الحضاريّ يحتاج إلى تنظير مفصَّل من لدن أتباع مختلف الحضارات، سعياً لاستجلاء مواطن القصور والخلل في الموقف من الآخر في مختلف الحضارات، ذلك أنَّ التوافق نظريّاً يعين على تحقيق توافق عمليّ إذا وجدت الرغبة في التطبيق والتنزيل لدى الأفراد والمجتمعات والأمم.

2. **التعارُف الحضاريّ ممارسة،** الأُمَّة التي يكون لديها في شريعتها ما يحثُّ على التعارُف ويُرَغِّب فيه ينبغي أن تكون سبَّاقة ومثالا في الامتثال، غير أنَّ المتأمل في الواقع يرى خلاف ذلك في مظهرين، الأول: يتجلَّى في الممارسات المخالفة لمقتضيات التعارُف، والثاني: يتجلَّى في الضعف الذي لا يُعِينُ على أخذ زمام مبادرة التعارُف والدعوة إليها وممارستها.

وضعف ممارسة التعارُف الحضاريّ يقصد به ما هناك من قصور في التعارُف مع أرباب الحضارات الأخرى، أمَّا ما يوجد داخل مختلف الحضارات من خلافات مذهبيَّة ونزاعات عرقيَّة وطائفيَّة، فهي ممَّا ينبغي أن يتجاوز وأن لا يكون له أثرٌ في الصراع، وليس معنى ذلك أن يرتفع الخلاف أو تنقرض الطوائف أو يضعف الانتماء، بل ينبغي أن يكون النظر إلى الاختلاف نظراً إيجابيّاً، وأنَّه مظهر تعدُّد لا مظهر صراع وتآمر، وبذلك تزول مؤثراته السلبيَّة.

وإذا توفَّر لدينا من المقومات النظريَّة في الحضارة الإسلاميَّة ما يكفي، فإن الإشكال يتعلق بمدى استجابة بعض الحضارات الماديَّة لأمر تعارف الحضارات مع حضارات تراها غير متكافئة معها ماديّاً؛ لذلك لا تجد صدىً

ولا أثراً لكثير من الدعوات رغم سموِّ قِيَمها ونبل مقاصدها "وعندما يؤسس التعارُف الحضاريّ بوصفه مقصداً من مقاصد الوجود الحضاريّ للبشريَّة على "منظومة التقوى" ومفرداتها الأخلاقيَّة، والتشريعيَّة، والعمليَّة، والتربويَّة، فإنَّ هذا التعارُف يتحوَّل إلى إطار لنفي الخبث، ونشر الخير والإحسان والتسامح والتفاعل والتواصل، الذي من خلاله يتعارف الناس ويتفاعلون من أجل تحقيق مصالحهم الدنيويَّة والأخرويَّة، كما أمر الحقُّ تبارك وتعالى، وعندما ينضبط الحوار بإطار التعارُف، فإنه يَنْزِعُ نحو الحقِّ والتدافع بدل الباطل والصراع"[49]. وأمرُ التعارُف الحضاريّ في الواقع يحتاج إلى تعزيز بمختلف الوسائل وما تيسر من الإمكانات، وذلك من خلال:

أ. **المبادرات الرَّامية إلى تحقيق التعارُف،** من خلال برامج عملية وتدريب الأجيال المقبلة على قبول الآخر والتعارُف معه، وضبط المعاملات والعلاقات بحدود المعروف. وتضمين ذلك في المبادرات التحفيزيَّة والتشجيعيَّة المتعلقة بالحوار لتكون من أجزائه، ونشير على سبيل المثال في هذا السياق إلى جهود دولة قطر التي اتخذت من التعليم والشباب والهجرة والإعلام قضايا لتعزيز الحوار والتحالف الحضاريّ الذي من شأنه تعزيز التعارُف، ومن ذلك إطلاق جائزة قطر لتحالف الحضارات للعام 2019، حيث أطلقت اللجنة القطريَّة لتحالف الحضارات وبالتعاون مع اللجنة الوطنيَّة القطريَّة للتربية والثقافة والعلوم جائزة قطر لتحالف الحضارات على مستوى الأفراد والمدارس، وتهدف الجائزة إلى تشجيع طلبة المدارس بدولة قطر على تقديم أفضل البحوث، وتحقيق التميُّز بين المؤسَّسات التعليميَّة وتوظيف التعليم في تعزيز الحوار الحضاريّ وقبول الآخر[50]. وهو مسلك استشرافي يستهدف الأجيال الحاضرة والمقبلة ويهيِّئهم للانخراط في التعارُف الحضاريّ دون

49. عبدالعزيز برغوث، مفهوما التعارف والتدافع وموقعهما في الحوار من المنظور الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 63، شتاء 1432هـ/ 2011م، ص 86.

50. ينظر التقرير السنوي العاشر للجنة القطرية لتحالف الحضارات، ص 14. وهو متاح على الرابط التالي: https://cutt.us/68NXd

عوائق، غير أنَّ هذه البرامج لا بُدَّ من تعزيزها بما هو عمليّ في المعاملات والعلاقات بحيث تكون معاملاتٍ منضبطةً محكومةً بالمعروف، فلا يكون مدُّ يد التعاون لأيِّ حضارة فيما فيه ظلم أو عدوان، أو هدم للقِيَم والأخلاق.

ب. ممارسة التعارُف الحضاريّ قولاً وفعلاً، التعارُف الحضاريّ شيء أسمى من العلاقات بين الدول المختلفة في حضاراتها، فالعلاقات بين الدول غالباً ما تكون آنيَّةً ومرتبطة بمصالح ماديَّة، بينما التعارُفُ الحضاريّ شيءٌ أعمق وأبقى، وشرط التعارُف الحضاريّ صدق النوايا والتزام العدل في القول والفعل مع الحضارة التي ينتمي إليها الفرد ومع الحضارات الأخرى؛ فالتعارُف يوجِّه المادة ويضبطها ولا تضبط المادةُ التعارُفَ وتوجهه وإلا وقع الاختلال. وما هو شائع من تداول الصور النمطيَّة المجافية للحقيقة ينبغي تجاوزه بإعادة النظر في كثير مما قيل ويقدم على أنَّه مسلمَّات والحقيقة أنَّه إلى المغالطات أقرب، ولطالما ضرَّ ذلك بالحوار الحضاريّ "والصور النمطيَّة الجماعيَّة لا تعبر عن وقائع التاريخ الموضوعية، بقدر ما تعكس حمولة عاطفيَّة سطحيَّة، وذاكرة تاريخيَّة انتقائيَّة، شَابَهُما التأويل والترديد، وغذَّتها ظروف الصراع السياسيّ والاجتماعيّ عبر القرون لكنَّ الوعي بمظاهر التنميط، وكشف جوانب التحيُّز، يَظَلَّانِ شرطَاً ضروريّاً لاستئناف الحضارة الإسلاميَّة وتجديد نضارتها، بجهود كلِّ الأقوام المسلمين، فهي حضارة كانت وستبقى مِظَلَّةً إنسانيَّةً جامعةً لعددٍ وافرٍ من الأمم والشعوب التي استظلَّت بظلال الإسلام ورضيته ديناً"[51].

ج. تأسيس منابر خاصة بتفعيل التعارُف، وعرض نماذج عملية منه بوسائل مختلفة، ونشير على سبيل المثال إلى تجربة "مركز مناظرات قطر" "الذي يعد من أهم منابر المناظرات الطلابيَّة الدوليَّة الهادفة إلى تنشئة الأجيال الصاعِدَة

51. محمد المختار الشنقيطي، نرجسية الريادة ولجام الإسلام: صورتان متضادتان عن الكرد والسودان والأمازيغ في التراث العربي، مجلة تجسير، العدد 2، 2020، تصدر عن مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 35.

على قِيَم قبول الآخر والتعايش المتبادل واحترام خصوصيَّته الثقافيَّة"[52]. وهذه المنابر تنقل الرؤى النظريَّة من أبراجها العاجيَّة إلى الواقع العملي مع بيان طرق الامتثال والتمثُّل، وتتم لبنتها من خلال الممارسة العمليَّة في العلاقة مع الحضارات، بحيث تتصرف الحضارة وفق القِيَم والتشريعات لا وفق المصالح.

مستقبل التعارُف الحضاريّ: الواقع والإمكان

التعارُف الحضاريّ أصبح ضرورةً مُلِحَّةً ومخرجاً للإنسانيَّة جمعاء من مختلف المخاطر التي تحدق بها، وإذا كان "غارودي" اعتبر أن "حوار الحضارات أصبح ضرورة عاجلة لا سبيل لردها، إنه قضية بقاء، لقد بلغنا حد الخطر، بل لعلَّنا تجاوزناه"[53] معتبراً المخرج من ذلك هو ما سمَّاه "استئناف حوار حضارات الشرق والغرب" فإنَّا نرى أنَّ هذا الحوار ينبغي أن يكون في أمور المعروف لتكون الأمور المنبنِيَّة عليه تعارفاً حضاريّاً، ولكيلا يكون الحوار من أجل الحوار، والمطلوب المطالبة بتعارف الحضارات بدل الاقتصار على حوار الحضارات. وتحقيق التعارُف الحضاريّ يقتضي توظيف كافة الإمكانيات والوسائل الماديَّة والفكريَّة والروحيَّة لتحقيق التعارُف الحضاريّ المنشود. وفي الحضارة الإسلاميَّة ثراءٌ معرفيٌّ يمكن الانطلاق منه لمدِّ جسور التعارُف للحضارات الأخرى؛ ذلك أنَّ رؤيته تنطلق من منطلق التعارُف لا التصارع، واعتبار الاختلاف آية من آيات الله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: 22) ومن العقبات التي تقف في طريق التعارُف ما هو سائد من مغالطات في مختلف الحضارات في رؤيتها للحضارات الأخرى والمنبنية على حقائق مشوَّهة ومحرَّفة، كما هو الشأن بالنسبة للمنظور الغربي للحضارة الإسلاميَّة؛ لذا نرى أنَّ التنزيل لن

52. محمد بن عبدالرحمن آل ثاني، دولة قطر وتحالف الحضارات، مجلة تحالف الحضارات، العدد 1، يناير 2022م، ص 11.
53. غارودي، حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، بيروت، منشورات عويدات، 1987م، ص 186.

يكون هيِّناً وبسيطاً بسبب ما تراكم من نظريات غير سليمة، وما نشأ من رؤى تضمَّنت مغالطاتٍ، فمعرفة الإنسان الغربيّ بالمسلم ما تزال تطبعها قوالب فكريَّة جاهزة، صحيح أن هنالك دعواتٍ من قبل نخبة من المسلمين لدراسة الغرب، لكن ألا تحتاج مختلف الحضارات إلى معرفة الحضارة الإسلاميَّة معرفة موضوعيَّة، والأمر نفسه يقال عن أتباع الحضارة الإسلاميَّة الذين ينبغي أن يقدموا رؤيتهم ورحمتهم للعالمين.

ومن خلال اطِّلاعنا على ما دون في التعارُف الحضاريّ فإنَّ الموضوع لم يَنَلْ حقَّه من العناية والاهتمام، سواء داخل الحضارة الواحدة أو في علاقات الحضارات مع بعضها، ويمكن القول بأننا ما زلنا في مرحلة لفت الانتباه للمفهوم وتعزيزه قصد الاهتمام وإحياء المشروع، رغم توفر بعض النصوص المتفرقة المتعلقة به.

ولا مناصَ من الرِّعاية الرسميَّة لمبادرات مدِّ الجسور بين الأمم والشعوب، ومهما تتابعت جهود بعض المؤسسات والغيورين فإنَّه دون رعاية ودعم رسمي تظل جهوداً محدودةً وناقصةً، ومن المبادرات الرسميَّة الجديرة بالتنويه ما تقوم به دولة قطر من جهودٍ في هذا المجال حيث قامت "بإنشاء العديد من المؤسَّسات والأجهزة الحكوميَّة وغير الحكوميَّة التي تعنى بمجالات تحالف الحضارات قبل الانطلاق الرسمي للتحالف. ومن هذه المؤسَّسات على سبيل المثال: "مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان" الذي يُعد إحدى المؤسسات الرائدة المعنية بالحوار بين الأديان والثقافات، وبناء القدرات في مجال الحوار وثقافة السلام، و"مركز عبد الله بن زيد الثقافي الإسلامي" الذي ينفذ العديد من البرامج، من أهمِّها برنامج التواصل الثقافيّ، وبرنامج تعليم اللغة العربيَّة الذي يساعد أصحاب الثقافات الأخرى على فهم طبيعة المجتمع وسرعة الاندماج فيه"[54]. وهناك جهود وأمثلة أخرى، وقصدنا بهذا الإيراد الإشارة

54. محمد بن عبدالرحمن آل ثاني، دولة قطر وتحالف الحضارات، مجلة تحالف الحضارات، العدد 1، يناير، 2022م، ص 11.

إلى النموذج للاقتداء. ويمكننا القولُ بأنَّه بما توفر من رصيد نظريّ وتجارب مختلفة في مختلف الحِقَبِ التاريخيَّة، فإنَّ استئنافَ التعارُف أمرٌ مُمْكِنٌ، ومن شأنه تحقيق الأمن للإنسانيَّة جمعاء، شرط توفر الوعي والإرادة والعزيمة، وهو تعارف ينبغي أن يشمل مختلف المجالات الدينيَّة، والسياسيَّة، والاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة، وغير ذلك مما تحتاجه الإنسانيَّة في علاقاتها.

الخاتمة:

• النتائج

التعارُف الحضاريّ ليس ترفاً ولا نافلةً بل هو ضرورةٌ شرعيَّةٌ وحضاريَّةٌ، يضمن حقَّ الجميع في العيش المشترك الآمن، ويحقق للإنسانيَّة الإطعام من جوع والأمان من خوف. وهو من أهم وسائل درءِ الهيمنة والسيطرة وحلِّ مختلف المشكلات القائمة بين الدول والأمم والشعوب، ومحقق لانتفاع الإنسان بأخيه الإنسان "ليتخذ بعضهم بعضاً سِخْرِيّاً".

• توصيات

- إنشاء مراكز وتخصصات علمية تعنى بالتعارُف الحضاريّ.
- عقد ملتقيات ومؤتمرات تُعْنَى بالتعارُف الحضاريّ تنظيراً وممارسةً.
- التنسيقُ بين عقلاء الحضارات والسعي إلى بذل الوُسع لممارسة التعارُف الحضاريّ.
- تقديم رؤية متكاملة متعلقة بـ"التعارُف الحضاريّ" في مختلف الحضارات، ودراستها دراسةً موضوعيَّةً شاملةً، وتأصيلها من خلال مصادرها الأصيلة.
- توجيه مناهج التربية والتعليم للاهتمام بتعارف الحضارات.
- الاهتمام بموضوع التعارُف الحضاريّ على نحو شموليّ، يشمل تاريخ التعارُف الحضاريّ، وواقعه، ومستقبله.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن تيمية، الرسالة القبرصية، بيروت، دار ابن حزم، 1990.
3. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.
4. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 1408هـ - 1988م.
5. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
6. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1414هـ.
7. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1375هـ - 1955م.
8. تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات، القاهرة، دار الكتاب المصري/ بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1435هـ/2014م.
9. رسل برتراند، حكمة الغرب الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة: فؤاد زكريا، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2009.
10. روجيه غارودي وعود الإسلام، بيروت، الدار العالمية، 1984م.
11. زكي الميلاد، نحن والعالم من أجل تجديد رؤيتنا للعالم، مؤسسة اليمامة، 2005.
12. زكي الميلاد، تعارف الحضارات، الفكرة الخبرة والتأسيس، مجلة الحوار الثقافي، جامعة عبدالحميد بن باديس، العدد 1، 2021.
13. أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق: عادل محمد - عماد عباس، القاهرة، دار التأصيل، 1436هـ - 2015م.
14. شهاب الدين القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، دار الكتب العلميَّة، ط 1، 1990م،
15. طه عبدالرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، الدار البيضاء/ بيروت، المركز الثقافي العربي، 2005.
16. عبدالعزيز التويجري، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الواحد والعشرين، الرباط، منشورات الإيسيسكو، 1999م.
17. عبدالعزيز برغوث، مفهوما التعارُف والتدافع وموقعهما في الحوار من المنظور الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد: 63، شتاء 1432هـ - 2011م.
18. عبدالكريم القلالي، دور وسائل الإعلام في الوقاية والحدّ من خطاب الكراهية وبناء التعاون الحضاريّ في أفق التأسيس لحضارات متعاونة، قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلاميَّة، جامعة قطر، 2022.
19. غارودي، حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، بيروت، منشورات عويدات، 1987م.

20. فتحي حسن ملكاوي، منظومة القِيَم العليا التوحيد والتزكية والعمران، الولايات المتحدة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1434هـ - 2013م.

21. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني/إبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1384هـ/ 1964م.

22. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، بيروت، دار الفكر المعاصر/ دمشق، دار الفكر، 1988م.

23. محمد المختار الشنقيطي، نرجسية الريادة ولجام الإسلام: صورتان متضادتان عن الكرد والسودان والأمازيغ في التراث العربي، مجلة تجسير، العدد 2، 2020 (مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة).

24. محمد بن عبدالرحمن آل ثاني، دولة قطر وتحالف الحضارات، مجلة تحالف الحضارات، العدد 1، يناير 2022م.

25. وِل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، بيروت، دار الجيل/ تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1408هـ - 1988م.

مواقع إلكترونية:

1. https://cutt.us/bnbqu

2. https://cutt.us/68NXd

تقرير عن:

مؤتمر الدوحة الرابع عشر لحوار الأديان
"الأديان وخطاب الكراهية بين الممارسة والنصوص"

تحت رعاية معالي الشيخ/ خالد بن خليفة بن عبد العزيز آل ثاني رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية انعقد في مدينةِ الدوحةِ يومي (24-25) مايو 2022 أعمال المؤتمرِ الرابع عشر لحوارِ الأديان تحت عنوان: "الأديان وخطاب الكراهية بين الممارسة والنصوص"، وذلك بمشاركةِ نُخبةٍ من المفكرين والباحثين من علماءِ الأديانِ السماويةِ الثلاث (الإسلام والمسيحية واليهودية)، بلغ عددُهم (263) شخصية من (78) دولة، علاوة على المشاركين من دولةِ قطر، وقد افتُتِح المؤتمرُ بكلمةٍ كريمةٍ لسعادةِ السيد سلطان بن سعد المريخي، وزير الدولة للشؤون الخارجية.

كان من المقرر عقد المؤتمر في 3-4 مارس 2020، وتم تأجيله نظراً لظروف جائحة كورونا، وحرصاً على سلامة المشاركين.

وفي تصريح للأستاذ الدكتور إبراهيم النعيمي رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان قال: "إن مركز الدوحة لحوار الأديان بات محل فخر لكل مواطن قطري ولكل عربي ومسلم في أي مكان، مبيناً أن طرح هذا النوع من القضايا للحوار مع أتباع الأديان الأخرى يعكس أنَّ دولة قطر تؤمن أن بناء الأمم يبدأ ببناء الإنسان، وهذا البناء يتم من خلال التعاون مع أخيه الانسان؛ لبناء مجتمعٍ قائمٍ على الاحترام المتبادل والعيش المشترك بوئام وتجانس مهما اختلفت الأديان والثقافات والأعراق؛ ولنا أن نفخر بمبادرات دولة قطر وبدورها الإيجابي في القضايا التي تخص الحوار بين الحضارات والثقافات ممثلة في مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان واللجنة القطرية لتحالف الحضارات؛ مما أكسبها مكانة عالمية مرموقة وجعلها واحدة من دول العالم الأكثر تأثيراً في مثل هذه القضايا،

موضحاً أن قطر بقيادتها الرشيدة، سباقة في كل تلك القضايا لمهمة، وهي دولة تبحث دائماً عن السلام والوئام، ولها إسهامات وأدوار مشهودة في هذه المجالات".

وتابع أن: "استمرار هذا الحوار على أرض قطر، فيه إثراء لدورها الرائد الذي ظلت تضطلع به في هذا المجال، خاصة وأنها بلد متعدد الثقافات عبر الكثير من الجنسيات التي تعيش فيها أو التي تزورها أو تشارك في المؤتمرات أو الفعاليات التي تنظمها، الأمر الذي جعل من مؤتمرات حوار الأديان بالدوحة إضافة أخرى لتلك الأبعاد الإنسانية".

وحول المؤتمر قال: "يُعقد المؤتمر الدوحة لحوار الأديان بشكل دوري كل سنتين، ويحضره أكثر من 300 شخصية من 70 دولة، علاوة على المشاركين من دولةِ قطر، ويمثل هذا المؤتمر الملتقى الدوري الفكريّ والتشاوري بين المفكرين ومُمثِّلي الأديان السماوية بالإضافة إلى كوكبة مختارة من علماء الأديان والأكاديميين ورؤساء مراكز حوار الأديان من مختلف أنحاء العالم".

وعن اختيار موضوع المؤتمر الرابع عشر ذكر: "خطاب الكراهية ينطوي على انتهاك وانتقاص لحقوق الإنسان، وهو من أهم القضايا الدينية والإنسانية الأكثر إلحاحاً في الوقت الحالي، ما يتعين معه التأكيد عليها وصيانتها؛ من هنا فإن المؤتمر الرابع عشر جاء ليهدف إلى معالجة مسألة خطاب الكراهية وأبعاده ومواقف الأديان منه، والدعوة إلى المحبة والتسامح والتعاطف، بمشاركة علماء دين ومسؤولين سابقين وأكاديميين ورؤساء مؤسسات وأساتذة جامعيين ومنظمات المجتمع المدني، فضلا عن مشاركة ممثلين عن دول اشتهرت أو تضررت من خطاب الكراهية حول العالم".

انعقد على مدارِ يومي المؤتمر بعد الجلسة الافتتاحية ثلاثُ جلساتٍ عامة، وتسعُ جلساتٍ فرعيةٍ متزامنة، وجلسةٌ ختامية، قُدِّمَت خلالهما أوراقٌ المشاركين، أدناه تفاصيل الجلسات:

الجلسة الافتتاحية:

ألقى فيها الأستاذ الدكتور إبراهيم بن صالح النعيمي رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان الكلمة الترحيبية للمؤتمر، ثم رحّب بسعادة السيد سلطان بن سعد المريخي - وزير الدولة للشؤون الخارجية- قطر؛ ليلقي الكلمة الافتتاحية للمؤتمر.

وانطلقت مباشرة بعد الجلسة الافتتاحية الجلسة الرئيسة، وقد أدارتها الأستاذة الدكتورة عائشة يوسف المناعي نائب رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان. تحدث في هذه الجلسة قيادات دينية للأديان السماوية الثلاثة، فألقى الدكتور علي محيى الدين القره داغي (قطر)، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين كلمته عن أهمية مكافحة خطاب الكراهية، ثم تحدث رئيس الأساقفة سعادة أنطوني جورج فريندو- رئيس أساقفة تيرانا - ألبانيا، ليتحدث بعد ذلك سعادة الحاخام آرثر شنير، وهو رئيس مؤسسة إحياء الضمير بالولايات المتحدة الأمريكية في كلمة مسجلة له.

وحول المحاور التي تناولها المؤتمر، فقد تم مناقشة ثلاثة محاور: الأول منها يعنى بخطاب الكراهية من حيث الأسباب والدوافع والمخاطر. وقال: إنه سيتم في هذا السياق تناول الخطاب الديني المتطرف ودوره في انتشار خطاب الكراهية، ومفهوم خطاب الكراهية والفهم الخاطئ للدين وتعزيز الخطاب المعتدل، بالإضافة إلى مسألة تصاعد وانتشار خطاب الكراهية، والخطاب المتطرف لبعض رجال الدين والقيادات السياسية، وأثر ذلك على تحقق السلام العالمي.

والمحور الثاني الذي حمل عنوان "أنماط وأشكال خطاب الكراهية" وركز على خطورة انتشار صور خطاب الكراهية، والتحريض على العنف والإرهاب، والتوظيف السياسي لخطاب الكراهية وتداعيات انتشار خطاب الكراهية وأثره على التعايش السلمي. كما سيتناول ممارسات خطاب الكراهية وآثارها،

والعنصرية المتزايدة بسبب خطابات الكراهية، وتصاعد خطاب الكراهية على اللاجئين والأقليات الدينية، وخطاب الكراهية والتمييز ضد المرأة.

والمحور الثالث للمؤتمر "الدور المنشود لمواجهة خطاب الكراهية" وتناول "دور القيادات والمؤسسات الدينية والإعلامية في مناهضة خطاب الكراهية" مسؤولية علماء الدين ودور العبادة في التوعية بضرورة احترام الأديان، وتأثير الإعلام في الحد من خطاب الكراهية، والقيم الدينية والأخلاقية ودورها في مواجهة خطاب الكراهية، وثقافة السلام والتعايش واحترام التنوع الثقافي والديني.

وناقش المشاركون ضمن المحور الثالث أيضاً موضوع القوانين والاتفاقيات الدولية الخاصة بتجريم خطاب الكراهية حيث سيتم تبيان حدود تطبيق حرية التعبير ومجالات حمايتها في القانون الدولي الإنساني، والحديث عن الاتفاقيات الدولية ومواجهة خطاب الكراهية والأطر التشريعية الدينية والقانونية في مواجهة خطاب الكراهية.. كما سيتم الحديث عن دور المؤسسات التعليمية والتربوية في التصدي لخطاب الكراهية، ومناقشة أهمية تأهيل الأجيال الناشئة للتعامل مع خطاب الكراهية، ومواجهة خطاب الكراهية من خلال الثقافة والفنون وضرورة احترام التنوع وقبول التعددية والفهم الإنساني للآخر.

وهكذا، فقد تنوع المتحدثون من حيث الديانة، والجنسية، والنشاط الوظيفي، ومن حيث الموضوعات ذات الصلة بالمؤتمر ليؤتي المؤتمر أكله، ويحقق الأهداف الكبرى التي سعى إليها. وللوقوف على موضوعات الأوراق، وملخصها والسير العلمية للمتحدثين فإنا نلفت عنايتكم إلى كتيّب المؤتمر المخصص لذلك. علماً أن العمل جارٍ على إصدار كتاب يحمل الأوراق العلمية الكاملة لكل الأبحاث التي ألقيت في المؤتمر بعد أن تحكّم ويتبع المؤلفون تعديلات اللجنة العلمية.

استرشاداً بما تضمَّنته الأوراقُ والبحوثُ المُقدَّمة، وما جرى خلالَ جلساتِ المؤتمرِ من حواراتٍ ومداخلاتٍ ومناقشات؛ فقد توصَّل المؤتمرُ إلى عددٍ من التوصيات، وقرَّر إصدارَ البيانِ الختاميِّ التالي:

- **أولاً:** التأكيد على أن الأديان السماوية تدعو في أصولها وتشريعاتها الأصيلة إلى المحبة والسلام، وترفض كافة صور خطاب الكراهية والتطرف والعنصرية والتمييز على أساس الدين أو الجنس أو العرق.

- **ثانياً:** التأكيد على أن مواجهة الفكر المتطرف وخطاب الكراهية هو هدفٌ إنساني، ولا بد من تضافر كافةِ الجهود للتصدي لهذا الخطاب المتطرف والآثار الناتجة عنه على مستوى الأفراد والمؤسسات والقيادات الدينية والفكرية والسياسية؛ بإيجاد روحٍ إنسانية ودينيةٍ مسالمةٍ ومُحبةٍ، لبناء عالَمٍ مُسالِمٍ متحضر.

- **ثالثاً:** إدانة كافة أشكال وصور خطاب الكراهية، والتبرأ من ممارسات الجماعات المتطرفة التي تنسب نفسها للدين في غيبةٍ عن جوهره وما يدعو إليه.

- **رابعاً:** ضرورة اتخاذ كافة الوسائل التشريعية لإيجاد استراتيجية إعلامية مهنية وأخلاقية؛ للحد من اتخاذ المنابر الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي كمنصَّات لنشر خطاب الكراهية، وفرض الرقابة القانونية على تلك المنابر.

- **خامساً:** الدعوة إلى تبنِّي مقترحٍ يُرفع للمنظمات الدولية يقضي بضرورة تطوير المناهج التعليمية (وخاصة في مرحلة النشء)، لغرس القيم الدينية الصحيحة التي تدعو إلى احترام الآخر والتعايش معه، وحذف كل ما يحض على الكراهية. وعلى القياداتِ الدينيةِ المسؤولة في الدول تحديداً أن تضطلعَ بمسؤولياتِها في ذلك التطوير بما نصت عليه الشرائعِ والتعاليم الدينيةِ من دعوة للمحبة والحوار ونبذ للكراهية والتطرف.

- **سادساً:** التحذير من وجود بعض صور الخطاب المزدَوَجِ بين المعنيين بحوار الأديان؛ فلا يكون هناك خطابٌ يخاطب به المرء نفسه وأتباع دينه، وخطابٌ آخرُ يخاطبُ به الآخرين. فإنه إن لم يستقم الخطاب، ويكون صادقاً وحقيقيّاً؛ فسيكون هو أحدُ أخطرِ مولِّدات الكراهية.

- **سابعاً:** التأكيد على أن ظاهرة "الإسلاموفوبيا" والتحامل على الإسلام ليس هو منهج الكَثرة في الغرب، وإنما منهج القلة الذين يتجاهلون المعرفة الحقيقية لجوهر الإسلام، ويتجاهلون كذلك الصلاتِ الحضاريةَ المتسامحةَ بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى.

- **ثامناً:** التأكيد على ضرورة الانتقال من مرحلة الحوار إلى مرحلة الشراكة الحقيقية والفاعلة بين المؤسسات الدينية والحوارية ومؤسسات المجتمع المدني ليكون لهم صوتٌ موحَّد ضد كل أشكال ممارسات خطاب الكراهية من أيِّ طرفٍ كانت هذه الممارسات.

- **تاسعاً:** إرسال رسالة موحدة للفاعلين الأساسيين في المجتمع الدولي إلى ضرورة توحيد كافة الجهود لمساندة الشعوب المقهورة التي تعاني من خطاب الكراهية والإبادة الجماعية كما يحدث في (كشمير وأقلية الروهينجا والإيجور)، وضرورة الجهر الصريح؛ احتجاجاً ورفضاً وتضامناً بل وسعياً بكل السُّبل الممكنة للمساعدة؛ عند حدوث اضطهادٍ أو كراهيةٍ من طرفٍ دون طرف، أيّاً كان دينَه أو جنسه.

التعايش السلمي بين الحضارات والأديان: جهود اللجنة القطرية لتحالف الحضارات أنموذجاً

الباحثة: العنود فهد النعيمي - ماجستير في مقارنة الأديان
جامعة حمد بن خليفة - كلية الدراسات الإسلامية، 2020

قدمت هذه الرسالة للحصول على درجة الماجستير في الأديان المقارنة من كلية الدراسات الإسلامية بجامعة حمد بن خليفة عام 2020. وتُكمن مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة على السؤال الرئيس وهو إلى أي مدى عكست اللجنة القطرية لتحالف الحضارات جهود دولة قطر في تعزيز قيم التعايش السلمي بين الحضارات والأديان في الفترة من 2010-2017 من خلال إشرافها ومتابعتها لجهود الدولة، وذلك باستقصاء التقارير السنوية التي تصدرها اللجنة؟

وللإجابة على إشكالية البحث تم الإجابة على عدد من الأسئلة التالية:

1. ما القيم الإنسانية لدى الأديان السماوية لتحقيق التعايش السلمي مع الآخر في مواجهة دعوى صراع الحضارات؟
2. ما جهود دولة قطر المبذولة محلياً ودوليا لتعزيز قيم التعايش السلمي؟
3. ما جهود اللجنة القطرية لتحالف الحضارات في تحقيق رؤية قطر في تعزيز قيم التعايش السلمي بين الحضارات والأديان.

وتمثلت أهداف الدراسة فيما يلي:

- محاولة فهم الدعاوى المعاصرة لتحقيق قيم التعايش السلمي بين الحضارات قبالة دعوى صراع الحضارات.
- إبراز دور الدولة في تعزيز قيم التعايش السلمي من خلال أدوات الحوار وحل الصراعات والنزاعات، والتأكيد على قيم التسامح ومحاربة التطرف والتعصب.

- بيان جهود اللجنة القطرية لتحالف الحضارات في تعزيز دور دولة قطر في إبراز مساهمة الحضارة الإسلامية إلى جانب الحضارات الأخرى في التقدم الإنساني وتعزيز قيم التعايش السلمي محلياً ودولياً.

اعتمدت الباحثة في إنجاز رسالتها على المنهج الوصفي الاستقرائي، وذلك من خلال جمع المعلومات من التقارير السنوية الصادرة من اللجنة القطرية لتحالف الحضارات في الفترة بين 2010-2017، وتقرير فريق رفيع المستوى من منظمة الأمم المتحدة. واعتمدت الباحثة على منهج تحليل محتوى التقارير بالاستعانة ببرنامج "الأنفيفو 12"(NVIVO12).

قسمت الباحثة رسالتها إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، تناولت في الفصل الأول التعايش مع الآخر وفقاً للقيم الإنسانية في الأديان السماوية، وقسم الى مبحثين، تناول الأول المصطلحات والمفاهيم، بينما تناول المبحث الثاني القيم الإنسانية في التشريع الإلهي وصور التعايش السلمي بين الأديان في المجتمع الإسلامي، وفي الفصل الثاني تم الحديث عن جهود دولة قطر في تعزيز قيم التعايش السلمي، وتضمن المبحث الأول سياسة دولة في تعزيز قيم التعايش السلمي، بينما استعرضت الباحثة في المبحث الثاني مبادرات دولة قطر في تعزيز قيم التعايش السلمي على الصعيدين المحلي والدولي.

أما في الفصل الثالث تناولت الباحثة جهود اللجنة القطرية لتحالف الحضارات في تعزيز قيم التعايش السلمي بين الحضارات والأديان، ففي المبحث الأول تناولت جهود اللجنة القطرية لتحالف الحضارات من خلال التعريف باللجنة وهيكلها التنظيمي، في حين تناولت في المبحث الثاني إطار خطة عمل دولة قطر لتحالف الحضارات، ومبادراتها في تعزيز قيم التعايش السلمي. واشتمل الفصل الرابع والأخير على تطبيق برنامج "الأنفيفو 12".

حيث خصص المبحث الأول لتطبيق برنامج "الأنفيفو 12" على المصطلحات الرئيسية، بينما تناولت الباحث في المبحث الثاني بيان العلاقة بين مصطلح

التعايش السلمي ومصطلحات القيم الإنسانية في تقارير اللجنة القطرية لتحالف الحضارات.

وتضمنت خاتمة الرسالة أهم الاستنتاجات والتوصيات، حيث أشارت الباحثة من خلال قراءتها لتقارير اللجنة القطرية لتحالف الحضارات بأن دولة قطر تسعى لترسيخ فكرة التعايش السلمي وقيم الحوار والتسامح والاحترام المتبادل ورفض فكرة صدام الحضارات. كما سعت اللجنة القطرية لتحالف الحضارات لإبراز كافة الجهود في مجال القضاء على التمييز العنصري والتطرف الديني وتحقيق التعايش وإقرار مبادئ المساواة في الحقوق والواجبات. ويبدو من الحقل الدلالي الذي نتج عن تحليل المصطلحات الرئيسة في التقارير أهمية التركيز على الشباب وتفعيل دورهم الإيجابي في تعزيز قيم التعايش السلمي بين الأديان والحضارات.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات الضرورية من أجل تحقيق أهداف الدولة في تعزيز قيم التعايش السلمي، منها التوسع في المشاركات من حيث النوع وعدد المحاضرات التوعوية والبرامج التثقيفية التي ترسخ المبادئ السلمية للتعايش السلمي، وكذلك ضرورة تفعيل دور الجهات ومشاركتهم بشكل أكبر لخدمة أهداف اللجنة القطرية لتحالف الحضارات وزيادة التوسع في التقارير المكتوبة، ونشر المعلومات مدعمة بإحصائيات وأرقام تُبين مدى تطور العمل في الأهداف المحددة من أجل إبراز الدور المُميز الذي تقوم به مؤسسات وهيئات الدولة في مجال نشر ثقافة التعايش السلمي.

إعادة النظر في النظام الدولي الجديد

- المؤلف: يروغ سورنسن
- المترجم: أسامة الغزولي
- الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
- سنة النشر: 2020

تمر الديموقراطيات الليبرالية الكبرى، في عالم اليوم، بدرجة غير مسبوقة من التأزم على كافة الصعد الوطنية والإقليمية والدولية، من حيث الممارسات المرصودة ومن حيث القيم والغايات المنشودة. وعلى نطاق أوسع بقي النظام العالمي الليبرالي، الذي أنشأته ودافعت عنه هذه القوى منذ نهاية الحرب الكونية الثاني، والذي ظن الجميع أنه بانتهاء الحرب البادرة لمصلحة قوى الديموقراطية الليبرالية حقق انتصاراً وصل بالإنسانية إلى "نهاية التاريخ". كما زعم فرانسيس فوكوياما (1992)، ظل هذا النظام - منذ تسعينات القرن العشرين-، وفي أوج شهر العسل الليبرالي موضع تساؤل من قبل الليبراليين أنفسهم.

وفي هذا السياق يأتي كتاب "إعادة النظر في النظام الدولي الجديد" لمؤلفه يروغ سورنسن الذي قسمه إلى موجز لأطروحته وتسعة فصول، تناول في فصله الأول الجدل حو النظام الدولي بعد الحرب البادرة وطرح فيه التحليل الخاص به، بينما ركز الفضل الثاني على هشاشة الدول التي تضر بالمواطنين، فهي تقلص فرصهم في رغد الحياة الذي يعني الأمن والنظام والعدل والرفاه والحرية باعتبارها قيماً يريد معظم الناس أن يحققوها.

وينتقل الفصل الثالث إلى معالجة الأحوال الدولية، مع التركيز على العلاقات بين الدول وناقش فيه تراجع خطر الحرب بين الدول، ويناقش الفصل الرابع شرطاً إطارياً رئيساً يرتبط في بنية القوة في النظام الدولي، بينما تناول في الفصل الخامس المفردات الرئيسة الثلاث على أجندة الأمن: الدول الهشة، ثم التباريات بين القوى العظمى والمنافسات في مختلف المناطق، ثم الأمن الإنساني. ويخلص الفصل إلى إننا ماضون باتجاه واضطراب متفاقمين.

ويعالج الفصل السادس الشؤون الاقتصادية والديناميات المتغيرة للعولمة. وقد ثبت أن التوقعات الليبرالية صحيحة، إلى حد ما، وأن بقيت العولمة الاقتصادية مشوبة بتفاوت شديد وبقي التلاقي محكوماً في حدود صارمة. وهذا يسبب ردود فعل سلبية تجاه العولمة وتجاه التعاون المكثف، ويستقصي الفصل السابع أحوال المؤسسات الدولية والوضع الراهن للحوكمة، هل هي "حوكمة جيدة" بما يكفي أو أنها في حالة جمود؟ بمعنى أن كان هناك قدراً كبيراً من الحوكمة، لكنها لا تتخطى تأمين حلول قصيرة المدى لإدارة الأزمات. ويناقش في الفصل الثامن موقع القيم الليبرالية داخل النظام الراهن. ويؤسس الفصل لمناقشاته على التوتر بين اثنتين من القيم الليبرالية الأساسية: قيمة الاستقلال مقابل قيمة الاعتماد المتبادل. وقد تميزت الفترة التالية على نهاية الحرب الباردة بتحرك باتجاه تكثيف الاعتماد المتبادل، ولكن البندول يتحرك الآن في الاتجاه المعاكس: في اتجاه مزيد من تأكيد الاستقلال. وهذا لا يُحسن شروط تأسيس نظام دولي فعال.

واختتم الكتاب بالفصل التاسع الذي قدم فيه الباحث خلاصة أشار فيها أن الليبراليون محقون في تشخيصهم لتقدم كبير باتجاه الليبرالية بعد نهاية الحرب البادرة. ولكنهم يقللون، على نحو خطير، من حجم التوترات والتناقضات التي لحقت بالعملية. فالتحولات داخل الدول والتحولات في العلاقات بينها، من ناحية، نشأت عنها مشكلات عديدة يميل الليبراليون إلى

استبعادها من فرضياتهم، ومن ناحية أخرى التوترات بين القيم الليبرالية، بما فيها التوترات بين الاستقلال والاعتماد المتبادل، هي توترات عميقة في بنية النظام الدولي الحالي. ونتيجة لذلك فقد تتغلب الديناميات التدميرية على الديناميات البناءة، ليس لأن الواقعين محقون في افتراض الحضور الكلي للصراع والتنافس في أي نظام دولي كان، ولكن لأن الشروط المحلية والدولية الراهنة تعوق التقدم الذي يعتبره الليبراليون أمراً مسلماً به.

يُعالج سورنسن في كتابه "إعادة النظر في النظام الدولي الجديد" تساؤلات المتفائلين حول مستقبل النظام، والليبراليين المتشائمين الذين يحذرون من احتمالات انهياره. وعلى الرغم من أن الكاتب سورنسن أميل إلى التفاؤل، فإنه يسعى من خلال كتابه هذا - وقد حقق قدراً ملموساً من النجاح في مسعاه - إلى تجاوز الواحدية التي تحتم أن يكون مع هؤلاء المتفائلين أو أولئك المتشائمين ليتخذ موقفاً انتقائياً يمضي به لتوصيف مثالب النظام العالمي القائم، حتى يكون التعرف على العقبات بداية للتحرك إلى الأمام.

وهكذا يلفت سورنسن الانتباه إلى شروط ثلاثة تحكم تطورات هذا النظام، وقد تكون هي ما يقرر مستقبله:

- **أولاً:** هشاشة جميع الدول المتخلفة والمتقدمة على حد سواء.
- **ثانياً:** تراجع خطر الحرب بين الدول، مع تصاعد الحرب داخل الدول، وهو تصاعد يرتبط بظاهرة الإرهاب.
- **ثالثاً:** بنية القوة في النظام الراهن، وتمحورها حول دول الولايات المتحدة التي لا بد لقوتها المادية من وجه اجتماعي يتمثل في تخليق وإدامة نظام مشروع.

ويناقش الكتاب أيضاً تأثير الشروط في النظام الدولي في مجالات أربعة هي: الأمن والاقتصاد والمؤسسات والقيم، ليخلص إلى إننا نعيش، بالفعل في نظام

عالمي ليبرالي، لكن هذا النظام لم يقارب ما توقعه له الليبراليون من سلمية وتعاونية وتلاقٍ.

في هذا الكتاب، الذي يفتح لقارئه أفقاً رحباً، ينجح يورغ سورنسن في أن يقول الشيء الكثير عن أمور كثيرة في عدد قليل نسبياً من الكلمات. وهو يبدأ من حيث يتعين، منطقياً، أن يبدأ كل الباحثين تقريباً، في حقل العلاقات الدولية بتقييم ما يدعيه المتفائلون الليبراليون والمتشككون الواقعيون بشأن النظام الدولي، كما برزت ملامحه بعد انتهاء الحرب الباردة – وهو الحدث الأكثر أهمية، بأكثر من معيار، في ثلاثة أرباع القرن المنصرمة. وقد يُجادل آخرون، ولهم الحق في ذلك فيما يزعمه من أن مواقف الليبراليين والواقعيين هي التي تقرر الموضوع الأوسع في المناقشات حول النظام الدولي. أما بالنسبة للمتخصصين بتدريس العلاقات الدولية، فلا تزال هاتان المقاربتان، في جوهر الأمر، هما الأقدر فيما يبدو على اكتساب المعقولية لدى غالبية الدراسين مُقارنة بغيرهما مما هو مطروح على بساط البحث.

وبالرغم من ذلك، فإن سورنسن لا يتجنب في كتابه الموقف النقدي إزاء الليبرالية. كما أنه ليس من أولئك الذين لا يدركون الوجه الآخر المظلم لليبرالية في الشكل الاقتصادي للاقتصاد الرأسمالي الحديث. وهو ليس شديد التمسك بالطرائق القديمة للتفكير في العالم على درجة قد تدفعه صوب التجاهل الطوعي لطرائق أخرى للتفكير في الأمن الدولي.

والحقيقة أنه يلفت انتباهنا بكل صراحة إلى الحاجة لتبني طرائق جديدة في تدبر أحوال العالم، على نحو يأخذ بنظر الاعتبار ما هو إنساني والحاجة إلى حماية الفرد من أخطار عديدة لها تأثير مباشر في الحياة الفردية، من بينها الفقر وغياب العدالة الاجتماعية والتدهور البيئي والنظم السياسية التي لا تعترف بحقوق الإنسان. لكن سورنسن يذكرنا بأن الدول لم تزل اللاعب الرئيسي في السياسات الدولية، وقد تكون الطريقة الأسهل لإدراك

أهمية الدول بوصفها لاعبين على الساحة الدولية أن تنظر إلى ما يحدث عندا تفشل الدول أو عندما تصبح هشة.

في نهاية كتابه الشيق هذا يتركنا سورنسن أكثر الباحثين غزارة في الإنتاج والأرسخ تأثيراً في حقل العلاقات الدولية على أول الطريق الذي يرى أنه يمضي بنا إلى التحليل التعددي الانتقائي للنظام الدولي. وبهذا المعنى يكون الكتاب، في مجمله هو أطروحة معنية بالانعتاق من النظرة الواحدية للتاريخ، وهي النظرة التي دعا إليها أول مبشر بالماركسية في روسيا، جورجي فالينتينوفيتش بليخانوف، في كتابه الشهير الذي نشره في العام 1895 "تطور النظرة الواحدية للتاريخ".

وفي النهاية يبقى الأمر متروكاً لكل للباحثين للنظام الدولي لكي يفكروا ويبتكروا الإطار المناسب للتحليل، وإذا كان الفعل يعني التحرك قُدماً كما أشار الكاتب، فيتعين أن يقوم ذلك على أفضل تحليل ممكن للشروط التي أرسها النظام الدولي الحالي.

اللجنة القطرية لتحالف الحضارات

Qatar Committee for Alliance of Civilizations